

عبد العزيز بن عبد الله
أستاذ بكلية الآداب

تأثير شيخ المغرب

العصر الحديث والفترة المعاصرة

الجزء الثاني

مع العصر السارعي

اهم الاحداث والاعلام
والاماكن مرتبة ابجديا

نشر وتوزيع :

مكتبة المعارف

الرباط

مكتبة السلام

الدار البيضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصل الاول

قِيَامُ الدَّوْلَةِ الْعُلَوِيَّةِ وَتَجْدِيدُ وَصْدَةِ الْمَغْرِبِ

الملوك العلويون من اصل حسني انحدروا الى المغرب من ينبع النخل بالحجاز وأول من دخل منهم الى المغرب هو حسن بن قاسم اواخر القرن السابع ولعل ذلك في آخر ايام السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق ، الذي امتزح الدولة من قبضة آخر الموحدين فاصبح اعظم ملك في المغرب الاسلامي وقد ورد حسن هذا على سجداسة مع وفد الحجيج الذي رغب اليه في ذلك ويقال بان اهل تافيلالت لم تكن تصلح الثمار ببلدهم فوجهوا سفارة الى الحجاز للاتيان برجل من اهل البيت ولم يرد الحسنيون على المغرب مع عرب بني معقل (I) كما انهم لم يقوموا بأي دور سياسي في البداية وانما كانوا ملجأ خلال الازمات والخصومات بين القبائل وادعاء الملك .

وأول قائد ميامي من جفدة حسن بن قاسم هو مولاى على الشريف الذي اقام بفاس وجاهد في السودان والاندلس وترك في هذه ذكرا طيبا جدا الكثير من الفرناطيين الى الرغبة في مياميته .

(I) كما يزعم طيراس (ص 240)

والمولى الشريف بن علي هو الذي دعا ابا حسون السملالي الى امارة سجلماسة عام 1041 هـ بالاضافة الى درعة والسوس بينما استصرخ البوعصاميون بزاوية الدلاء فكانت الغلبة لبودميعة ثم قلب هذا ظهر المجن لمولاي الشريف واعتقله حتى افتكه ولده محمد الذي بايعه السجلماسيون سنة 1050 هـ في حياة ابيه وقد زوج ابو حسون مولاي الشريف فتاة مغافرية ولدت له المولى اسماعيل .

وكان مولاي محمد قد عبأ جيشا ضد ابي حسون الذي فر الى سوس فاستولى هو على درعة علاوة على نفوذه في اقليم سجلماسة حيث خضعت له قصور تابوعصامت وقد شعر بضرورة توسيع نطاق نفوذه لدره الخطر الذي يهدد مملكته الصحراوية المحدودة ، فاتجه نحو الغرب وكان محمد الحاج الدلائي مستوليا على نواحي فاس ومكناس وسلا .

وقد استنجد اهل فاس وكذلك عرب الخلط بالمولى محمد ضد الدلائيين فاقتحم مدينة فاس الجديد عام 1059 هـ وانضوى تحت لوائه سكان فاس القديمة وبايعوه ثم اضطر الى النزوع عنها للعودة الى سجلماسة بينما ولي محمد الدلائي ولده احمد على العاصمة الادريسية فاستمر بها الدلائيون عشر سنوات الى ان استولى عليها القائد الدريدي .

ولما استعصى اقليم فاس على محمد بن الشريف اتجه نحو استتصام نفوذه في الصحراء الشرقية ، لربط الصلة شرقا مع تافيلالت فوصل الى بسيط انكاد حيث بايعه الاعراب من الاحلاف ومقل من سكان وجدة وكون جيشا تزعم به حركة تحرير الاقليم الشرقي من حكم الاتراك فغزا بني برناسن المواليين للترك وكانت وجدة مناطا لجنوده يغيرون منها على ندرومة وتلمسان حيث قضى على الحاميات وانضمت الى صفه قبائل اخرى تعززت بها قوته كاهل السعيدية وتاهرت والاغواط ولكن الامير محمد اضطر ازاء رد فعل الاتراك الذين زحفوا الى تلمسان الى القفول لسجلماسة ولعله خشي مقبة الاصطدام بالخصم فعاد الى مرابطه الاولى لجمع شتاته وكان قد حقق هدفه الاول وهو اثاره القبائل المغربية ضد الدخلاء الاتراك الذين شعروا لأول مرة بالخطر يدهم سلطانهم في المغرب الاوسط ، فوجه اليه عثمان باشا والي الجزائر وفدا اثر وفد لمفاوضته في سجلماسة وقاعدة العرب والبربره (I) مناشدا اياه الروابط

(I) كما في نص رسالة محمد بن الشريف التي اجاب بها عن خطاب الباشا التركي .

الاسلامية وانتسابه للرسول الذي حظر تناحر المسلمين فتأثر المولى محمد وتمهد
لتقائيا بعدم تجاوز وادي طافنة .

وفي هذه الفترة كان المراك مستمرا في الغرب بين الدلائيين والخضر
غيلان الذي تقلص ظله تدريجيا بعد ان حاول استرجاع منطقة رئيسه محمد
المياشي .

وقد توفي المولى على الشريف سنة 1069 هـ فاعاد ولده محمد الكرة على
شمال المغرب حيث غزا الحياينة بعد اربعة اعوام في احواز فاس التي استنجد
اهلها بالدلائيين ضد الشريف .

وكانت هذه الحركات العلوية التحريرية غير منظمة فانبرى مولاى الرشيد
على اثر انحيازه عن اخيه يوطد دعائم الدولة الجديدة وكانت الظروف مواتية لان
سلطة الامراء الاقليميين اذنت بالافول واصبح المغرب فى حاجة الى انتفاضة
يتزعمها قائد حربي وهكذا انهار السعديون فى مراكش فخلفهم كروم الحاج
الذى مد شبكته من الاطلس الكبير الى ام الربيع وكان باقى المغرب موزعا بين
تجل ابى حسون بسوس والاطلس الصغير والدلائيين بقلب البلاد وغيلان
بالهبط والغرب والشيخ اعراس بالريف وتمخض هذا التقسيم عن خلل فى
الاقتصاد وتفكك فى السياسة وانحلال فى الحقل الاجتماعى فكان الشعب عن
بكورة ابيه مستعدا للانضواء تحت راية زعيم مقدم يوحد الاتجاه ويستأصل
الفوضى .

وقد انحاش المولى الرشيد اول الامر الى تدغة ثم دتمت وآواه الدلائيون فى
زهورتهم ثم فر منها الى ازرو وقلب بلاد البربر حيث انضمت اليه جماعة من
الاصغر توجه بها الى فاس الجديد فمسكر بظاهره وقد اكرم الدريدى وفادته
وامده بالمال والميرة وكانت هذه الجولة الاستطلاعية خير رائد للامير العلوى
فى تخطيط سياسته العسكرية .

وقد صرف وجهته نحو تازة متأثرا بخطة اخيه القديمة واستقر عند
الاحلاف فى المغرب الشرقى وقتل حوله عرب انكاد ومقل بوجدة كما
سانده بنويزناسن فى الاستيلاء على اموال اليهودى ابن مشعل الذى كان مقيما
بين ظهراينهم وقد وضعت كثير من الاساطير حول هذه الحادثة وحول مساعدة

بعض طلبه فاس للامير الذي لم ينس هذه الممنونية فاذن باقامة مهرجان سلطان الطلبة الذي يعتبر تنويجا للعلم وتقديرا لرجالاته .

وكانت سهول انكاد موطننا لعراك عنيف شب بين مولاي الرشيد واخيه المولى محمد انتهى بموت هذا الاخير اوائل 1075 هـ

وهكذا مرت اعوام قبل ان يتمكن الرشيد من بسط نفوذه على المغرب الشرقي ولما استتب له الامر في هذا الاقليم اقتحم تازة وجعل منها عاصمة وضرب خيامه قرب الابراج السعدية وكانت انباء حركته ترد على عمالة فاس فتثير الرعب في اهلها الذين لم ينسوا بعد ما كان حل بهم من ويلات نتيجة للصراع الذي قام بين المولى محمد وخصومه مما حدا بالفاسيين الى التحالف مع سكان الحوز من الحياينة والبهاليل والصفريين وتكوين جيش جهوى اكتتبوا لشراء خيله وعتاده واسهمت كل دار ببندقية في هذه العدة الحربية وكانت باب الفتوح معرضا لهذه القوة .

وقد رأى المولى الرشيد من الانسب عدم تشتيت قواه في محاربة خصومه المحليين قبل تعزيز جيشه بالعناصر الفلالية التي اخلصت منذ الطفرة الاولى للأسرة العلوية فغير وجهته نحو سجلماسة حيث قضى على ابن اخيه المولى محمد ووطد الحاميات ثم عاد الى عاصمة ملكه الجديدة .

وباداه جيش فاس بالاغارة ولكنه رجع منهزما من غير قتال فتعقبه الرشيد الى قنطرة سبوولعل الامير شعر بعدم استكمال اداته الحربية فلم يهاجم المدينة بل فاوض اهلها وحاصرها مرتين عام 1076 هـ اصيب في الاولى برصاصة في اذنه ثم طوقها ثانيا وانكفا لتجديد قواه من اجل الحملة على الريف حيث اسر الشيخ عبد الله اعراش ثم اعاد الكرة آخر السنة على فاس ففتح المدينة الجديدة وفر اميرها الهلالى الدريدى ومن الغد هجم على فاس القديمة ففر كل من رئيسى عدوتى اللمطين والاندلس ابن الصغير واحمد بن صالح ولكن الامير ظفريهما وقتلها .

وبذلك تمت البيعة بفاس للمولى الرشيد فى اوائل ذى الحجة من نفس السنة فاجزل العطاء واقام السنة فكان لذلك وقعه العميق فى نفوس الناس وظهر الامير بمظهر الخليفة الناصر للدين والموحد للوطن . ولم يقر للامير قرار حتى عزز نفوذه فى المغرب الشرقى بالاستيلاء على الغرب فقصده الخضرم غيلان الذى انهزم من القصر الى اصيل .

وكانت للامير خطتان رشيدتان في استئصال خصومه هما تبديد قواهم
بالحملات الدورية وتجزئة هذه الحملات ضد اعدائه دون ان يترك لهم فرصة
التكتل ضده فلم يكن يشرع في محاربة هذا حتى ينقلب فجأة ضد الآخر فلهذا
لم يكد الامير يستكمل الضغط على خصمه في بلاد الهبط للانصياع حتى عاد
الى فاس في العام التالي وكذلك احواز مكناس لمطاردة الفلول الباقية من شيعة
الدلائيين وكان محمد الحاج قد عسكر بجيشه غربى وادى فاس فتعقبه الرشيد
الذى تنقل في طفرات هجومية متوالية من مكناس الى بنى زروال ثم الى تطوان
حيث اعتقل رئيسها احمد النقسيس مع ثلة من اشراف المدينة وبذلك قضى دفعة
واحدة على مجموعة الامارات المستقلة بالشمال رابطا الشرق بالغرب ثم عرج على
الاطلس الاوسط فدارت معركة عنيفة في فازاز بطن الرمان انهزم فيها الدلائيون
واستولى على زاويتهم (عام 1079) فنقل اهل الدلاء الى فاس ثم نفى بعضهم
لتلمسان .

ولم يبق امام الامير الطموح سوى الجنوب فزحف نحو مراكش في نفس
السنة حيث قتل رئيس الشبانات ابا بكر بن عبد الكريم مع جماعة رجاله ثم فتح
بلاد الشاوية وغزا ايت عياش في نفس الوقت الذى فر الخضر غيلان الى الجزائر
وانقلب اثناء ذلك على فاس فاقام بعض المظاهر الحضارية لتركيز دولته .

وفي عام 1081 اكتسح نواحي الاطلس الصغير والسوس فجعل بذلك حدا
ملك اولاد ابي حسون السملالي (المتوفى 1070 هـ)

وهكذا لم تكد تمضى سنوات معدودات على ظهور المولى الرشيد على المسرح
السياسى حتى اصبح سيد البلاد غير منازع ووحده الاقاليم التى فرقّت بينها
امارات جهوية جعلت من المغرب صورة لعصر ملوك الطوائف بالاندلس وقد كان
عامل الوحدة فى كل من الفردوس المفقود والمغرب فى القرنين الخامس والحادى
عشر امير مغربى جري .

وما لبث الملك المتوج ان عاد الى فاس ظافرا فاستتم سلسلة مؤسساته
العمرانية وكان قد امر قبل ذلك بسنتين ببناء قنطرة نهر سبو ثم جدد قنطرة
الرصيف وسك نقود النحاس المستديرة واقرض التجار مبالغ من المال انعاشا
للحياة الاقتصادية بعاصمة الشمال كما حفر الابار لتعمير الفلوات وشرع فى بناء
مدرسة الشراطين والقصبة المسماة بقصبة الشراردة (احييت اليوم الى ثانوية
داخلية لجامعة القرويين) حيث رابط جيش شراقة اى الجنود الواردون من

المغرب الشرقي من عرب اشجع وبني عامر وبربر مديونة وهوارة وبني سنوس. فكانت النواة الاولى لجيش وطني انضوى تحت رايته المواطنون من العرب والبربر .

وفي السنة التي توفي فيها (1082) هـ كان يواصل نشاطه لا يستكمال وحدة البلاد وتحريرها فوجه كتيبة من الفرسان الى طنجة واخرى الى الجنوب وعاد هو الى مراكش حيث مات في يوم ثاني عيد الاضحى في بساتين المسرة بعد ان تهشم رأسه بفرع شجرة وهو على صهوة جواده فدفن بالقصبة ومنها نقل الى ضريح علي بن حزمهم بفاس وكان لا يزال في بده كهولته لم يتجاوز عمره اثنتين واربعين سنة .

وكانت سنوات ملك هذا الشاب رغم قلتها - حافلة بالمبررات فهو الى جانب نظمه لما انتشر من عقد الدولة ركز مظاهر العمران واثار الامن والرخاء رغم بعض الانتفاضات الدورية كما شجع العلم والعلماء وكابد الامرين من دسائس الفرنسيين والانجليز بالشمال وكان البريطانيون قد استقروا بطنجة بعد ان زوج اخوان السادس اخته لكارلوس الثاني ملك الانجليز وجهز اليه العروس بمفاتيح طنجة مما حدا فرنسا آنذاك الى التفكير في احتلال بعض المراكز المغربية فسي ساحل الريف ولكنها لم تفعل حيث اقتصر بعض تجارها على طلب تأسيس شركة في الحسيمة فرفض الامير هذا المقترح رغم وعود رولان فريجوس بامداده بالعتاد الحربي كما رفض التفاوض مع الهولنديين لانه كان يهدف لاقصاء الاجانب مهما كلف ذلك من ثمن ، وكانت اتفاقات بعض الملوك السعديين مع الدول المسيحية قد خلفت ذكريات مؤلمة لم تزل عالقة بنفوس الشعب وهذا ما حدا المولى الرشيد الى عدم استئصال اساطيل القرصنة بمصب ابي رقراق لانها كانت تشكل حاجزا دفاعيا ضد المغير الاوربي الذي بدأ يتعلل باسسط الاسباب للتدخل في المغرب وكان هذا الاسطول يقض مضاجع الغربيين الذين انبثوا على الساحل : الانجليز في طنجة والبرتغاليون في البريجة (الجديدة) والاسبان في المعمورة (مهديّة) واصيلا والعرائش بينما طفق الفرنسيون بمخرون بسفنهم الحربية على طول المراسي بين الريف ومصب الملوية عباب البحر الابيض المتوسط حيث حصن الرشيد مرسى الحسيمة او المزمة وحجرة نكور (مركز اول دولة عربية بالمغرب في القرن الاول للهجرة) وصارع الانجليز الذين كانوا يعملون من وراء الخضر غيلان واضعا بذلك اللبئات الاولى لتحرير الوطن بكامله من ربة الاستعمار الغربي الناشئ .

الفصل الثاني

تَطَوُّر المَغْرِبِ فِي العَرْدِ لِإِسْمَاعِيلِي

عندما توفي المولى الرشيد كان مولاى اسماعيل خليفة فى مكناس حيث بايعه سكانها مع قبائل الغرب ولم يكن عمر الامير الشاب ينيف بكثير عن ربع قرن (26 سنة) وقد نكصت مراکش عن مبايعته فهب لفتحها وفر ابن اخيه احمد بن محرز الذى تعزز ببعض قبائل سوس ودخل المولى اسماعيل الى عاصمة الجنوب (عام 1083 هـ) فنقل الى فاس جثة اخيه الرشيد ووطد حامية المدينة .

ومالبث المغرب ان انتقض على الملك الجديد فثار اهل فاس وقتلوا قائد الجيش الذى اعد لفتح الواحات الصحراوية واستنجدوا بابن محرز الذى هب المولى اسماعيل من مراکش لمقاتلته فى تازا من حيث فرالى الصحراء وكان النضر غيلان قد ظهر فى ناحية الهبط من جديد فانبرى اليه المولى اسماعيل وقتلته (1084 هـ) ثم عاد الى فاس فاستولى على شقيقتها القديم والجديد .

وبعد ما وضع الامير الاسس العمرانية لعاصمته الجديدة (مكناس) توجه الى انكاد للثأر من القبائل المتمردة وبلغه آنذاك استيلاء ابن محرز على مراکش فوجه جيوشه عن طريق تادلة للاقتصاص منه والتقى الجمعان بوادى العبيد قتاد ابن محرز الى مراکش حيث حاصره المولى اسماعيل نحو من سنتين (1086 هـ) الى ان خرج عنها .

وبينما كان ابن محرز هذا فى طريقه الى سوس حيث ظل المولى اسماعيل يرقب حركته ثار الصنهاجيون بالاطلس الاوسط (I) تحت راية الدلايين فعبا الامير جيوشا متوالية لمحاربتهم ثم وجه كتائب (عام 1089هـ) لمقاتلة اخيه الحران فى جبل شاغرو قادها بنفسه ففر هذا الى الصحراء بعد ان انهزم جيشه ومرت ستة اعوام (1083-1089هـ) كابد الامير خلالها ضروبا من الازمات والوانامن المحن من جراء الانتفاضات المختلفة التى كادت تطيح بالمملكة الجديدة ولم تحل تهدة هذه التمردات العارضة دون مواصلة توطيد دعائم الدولة بتعزيز الجيش الوطنى وتركيز المقومات العمومية وضمان تحرير المناطق المغربية التى يحتلها الاجانب .

الجيش الاسماعيلى : كان عشرات الآلاف من المتطوعين يتواردون من شرق البلاد وجنوبها للانخراط فى الجيش الوطنى الذى تكونت نواته الاولى من شراكة (المغرب الشرقى) والاداية من الجنوب واحواز الرباط والشراردة والمغافرة (2) وكذلك العبيد الذين كانوا يرابطون فى مكناس وقد انضمت الى هذه العناصر القارة فلول من سوس وهم بقايا بنى معقل الذين ادخلهم السعديون (اولاد مطاع وجرار ووزارة والشبانان) وكذلك اهل عبدة والمنابذة والرحامنة واولاد احمر والخلط وكان معظم هؤلاء الجنود من العرب .

وقد اقام المولى اسماعيل بالنقط الاستراتيجية معاقل (قصابى) ترابط فيها حاميات يتراوح افرادها بين 400 و3000 وتمتد من تازة الى وجدة ومن مكناس الى فاس ثم من هذين الى مراکش وتافيلالت ثم تارودانت وتمدها القبائل بالمؤن وقد احصى من هذه الحصون 76 فى غربى البلاد وشمالى الاطلس على الخصوص وكان القائد فى كل قصبه هو المسؤول (3) عن سلامة منطقة حراسته حيث يجب ان

(I) توجد بالاطلس المتوسط قبائل صنهاجية لاتحمل هذا الاسم وقد عدد اسماءها صاحب الاستقصا ج 9 ص 199 (طبعة دار الكتاب)

(2) عندما غزا المولى اسماعيل صحراء سوس وتخوم السودان قدمت عليه الوفود من بنى معقل وغيرهم وكان من بينهم بكار المغفرى والد خنائة فاهداها الى السلطان وبني بها وولدت منه مولاى عبد الله (الاستقصا ج 4 ص 27) .

(3) أحمد المنصور السعدى قد عمل قبل ذلك على تأمين الطرق فجعل كل شيخ ضامنا لما يضيغ فى اياله واكد اليهود على رؤساء القبائل بذلك (تاريخ الدولة السعدية ص 66)

تصود الطمانينة والهدوء وقد بدأت البلاد خلال هذه الفترة تعيش فى بحبوحة من الأمن الاستثنائى على ان بعض الحواضر قد حصنت بالفعل هى ايضا استجابة لأبى على اليوسى الذى لاحظ على المولى اسماعيل عدم عمارة الثغور وبدائية الاسلحة كالعصى والمقاليع وبذلك رابط العبيد فى بعض هذه الحصون المقامة قرب المدن .

ولم يكن هنالك ديوان عام للجيش اللهم الا فيما يخص العبيد (I) واعمل سوس الذين كانوا يمثلون العنصر النظامى فى الجيش الوطنى فكانت اسمائهم وحياتهم قيد فى سجلات خاصة (2) وكان المولى اسماعيل يستمد جنده من القبائل اول الامر حتى اطلعه عمر عليش على دفتر فيه اسماء العبيد الذين كانوا فى جيش المنصور السعدى وكانوا منتشرين فى مراكش واحوازاها وقبائل الدير فجمع منهم ثلاثة الاف . وقد سمي هؤلاء العبيد بالبخارى نسبة الى الامام البخارى لانهم تعهدوا بالانصياع الى الامير الذى استغنى بهم عن القبائل واتباع السنة فى خدمة المملكة وكانوا يحملون فى الحروب نسخة من صحيح البخارى كرمز لهذه الوحدة بين الجيش والعرش على اساس الشريعة الاسلامية .

اما الاعلام فقد حكى الرحالة طوماس بيلوانهم كانوا يشكلون كتائب صغرى على راسها قواد اجانب وكانوا يرابطون فى القصابى ولايستقرون فى مكناس

(I) تقول بعض المصادر بان عليش جمع بامر من قاضى القضاة محمد العياشى نحو 70 الفا من العبيد الحقها بمشروع الرملة قرب سيدى سليمان (I4 الفا حسب الناصرى) والحق بباب السلطان نحو العشرة آلاف من الذكور و20 الفا من الاناث ويقول الزيانى ان عدد هؤلاء وصل الى 150 الفاء اخر ايام مولاي اسماعيل .

(2) مازال بعض هذه الدفاتر فى الخزانة الزيدانية بمكناس وتوجد دفاتر اخرى تحتوى على لوائح جنود القبائل وكان فى كل قبيلة بجانب السجل الجبائى سجل خاص بالخدمة العسكرية يحرر فى نسختين وقد اشار الناصرى فى الاستقصا ج 4 ص 42 الى ان قضية تجنيد العبيد مفصلة فى الكناش الكبير الاسماعيلى ومن بينهم اهل الديوان المجلوبون من القبائل العديدة برسم الجندية وإشار الى الخلاف الذى قام بين السلطان والعلماء حول (ديوان الحراطين) دفاعا عنهم عن حرية هؤلاء وتملكهم بدون حق وقد قتل خلال هذه الازمة العالم عبد السلام بن حمدون جسوس عام (II2Iهـ) على يد عامل فاس .

طويلا ولعل السلطان كان يستخدم بعض العناصر منهم فى المدفعية والهندسة العسكرية ولم يستعملوا قط - كما فعل السعديون - على رأس المناصب الاساسية .

اما مسطرة التدريب العسكرى فقد بدأت عام 1100هـ بتوزيع ابناء العبيد على فرق اختصاصية فى النجارة والبناء وباقى الحرف قبل الانخراط فى الجندية والتدرب على حمل الاثقال وركوب الخيل والكر والفر والمطاعنة والمراعاة ثم تزويج المتخرجين ببناات يربين فى القصر وتسجيلهم فى الديوان العسكرى وبهذه الوسيلة بلغ عددهم مائة وخمسين الفاوزع ثمانون الفا منهم على القلاع لحمايتها ورابط الباقى فى مشرع الرملة او «المحلات» المختلفة

مُحَارَبَةُ الْأَجَانِبِ وَبَدْءُ حَرْكِ التَّحْرِيرِ

لم يكد الامر يستتب للامير الشاب حتى انتفض انتفاضة جديدة نحوالمغرب الشرقى فانضمت الى جيشه القبائل على طول الحدود المغربية الجزائرية فسار بها الى وادى شلف حيث تبددت هذه الكتائب المرتجلة امام المدفعية التركية ولم يصد فى وجه الخصم الا العسكر النظامى وناشد الاتراك السلطان الوفاء بالاتفاقات المبرمة مع اخويه مولاي امحمد ومولاي رشيد فلم يسعه الا الرجوع والواقع ان المولى اسماعيل لم يكن يهدف الى احتلال المغرب الاوسط وانما اراد ان يعطى درساً للاتراك الذين تجرأوا على مساندة ابن محرز واحتلال اقليم بنى يزناسن فردوا على اعقابهم الى تلمسان وراء خط الهدنة .

وقد الى المولى اسماعيل على نفسه ان يحور من ربقة البرتغاليين والاسبان جميع المراكز التى كانوا يرابطون فيها بالسواحل المغربية مع مواصلة الضرب على ايدى الثوار والوالقين فى الماء العكر وهكذا حرر المهديّة التى استمر الاسبان فى احتلالها نحواً من سبعين سنة (1092هـ) وأسر كثيراً من رجالها وانزل بها حامية من اهل سوس وفتح فى اسوار القلعة البرتغالية باباً رائعة من جهة البرمع مسجد وقصر لوالى الحامية ويجرى الآن تجديد هذه الآثار .

وبعد ذلك بثلاث سنوات (1095هـ) توجه الجيش الى الشمال لفتح طنجة فحاصرها واضطر الانجليز الى الجلاء عنها بعد ان هدموا جانباً من اسوارها وابراجها وبعد خمسة اعوام (1101هـ) حوصرت العرائش طوال بضعة اشهر

فاستسلم الاسبان تحت تأثير الالغام المغربية التي احدثت ثغرات في الاسوار وعددهم نيف وثلاثة آلاف نقل معظمهم الى مكناس حيث شاركوا في بناء قصر الرياض وبعد ما استقرت الحامية الريفية في العرائش حاصر المجاهدون أصيلا سنة كاملة فلم يرحماتها بدا من الجلاء عنها بحرا وكان التحرير مرفقا بالتعمير حيث تقام المساجد والمدارس والحمامات والمرافق الحيوية الاخرى .
وقد ظل البرتغاليون مرابطين في الجديدة بينما استمر احتلال الاسبان لسبتة رغم محاصرة السلطان لها بجيش عتيد عدة سنوات وكذلك مليلية والحسيمة وبادس (I) لان معظم الجيوش كانت منهمكة في توطيد دعائم الدولة وتأمين البلاد وقد قضى المولى اسماعيل نحو من ربع قرن في هذه الحملات اصبح المغرب بعدها موحدا وامتدت رقعته الى مجاهل الصحراء واخصب مناطق السودان حيث لم يسبق للمنصور السعدي نفسه ان وصل واعترف الشعب عن بكره ابيه بان له ملكا واحدا - كما يقول اندري جوليان .

حَرْكَةُ سُلْطَمَةٍ مِنْ أَجْلِ الْوَحْشَةِ

كان ادعاء الملك من الاسرة الحاكمة يقلقون المولى اسماعيل ويعي قوته عن استتنام تحرير اجزاء الوطن المحتلة ومن هؤلاء أحمد بن محرز الذي هب من جديد ضد عمه (عام 1094هـ) في سوس وتحصن في تارودانت وبعد حملات متوالية تم الصلح بين الفريقين فتفرغ الامير لثوار الاطلس الاوسط متوجها بنفسه الى فازاز حيث بنى قلاعا بعين اللوح وازرو واقام بهما حاميتين من الفرسان وكان هؤلاء الصنهاجيون الرحل ينحدرون الى السهول ويعيثون في سيطر الساييس وغيره فحالت كتائب السلطان دون غاراتهم فاستسلموا وزودهم المولى اسماعيل - بعد ان انتزع منهم الخيل والسلاح - بالاف الاغنام واسقط عنهم الضرائب فانكبوا على الفلاحة وتربية الماشية وكان المشكل الذي تصطدم به القبائل الطاعنة اقتصاديا في جوهرة لان قلة بل انعدام وسائل العيش تضطر بدو الاطلس الى انتجاع مادة الحياة في السهول فكانت الضمانة الاساسية

I في المنزاع اللطيف في التلميح لمفاخر اسماعيل بن الشريف للمرحوم ابن زيدان ضمن الباب السابع ان الجيش الاسماعيلي فتح بادس وهدم حصنها سنة 1113هـ

للحيلولة دون ذلك هي التوزيع المنطقي للارزاق بين البادية والحاضرة واعفاء المعوزين من التكاليف الجبائية ولم تكن الخطة التي نهجها الامير المولى اسماعيل جنبرية نظرا لعدم شمولها حيث اقتصر على تطبيقها في بعض القبائل دون بعض مثل ايت آدراسن ولو امكن تعميمها ولو بالتدريج لانفجرت تلك الازمة الاجتماعية والاقتصادية التي ظلت تنخر اسس افريقيا الشمالية منذ ثلاثة الاف من السنين بسبب عدم تحقيق التوازن الاقتصادي بين البادية والحاضرة وقد اصطدم الزعيم مسينيسة نفسه بهذا المشكل منذ ازيد من الف سنة لأنه ارتكز في حركته التمديدية على تقوية الحواضر دون البادية وهاته الظاهرة هي التي تفسر لنا تلك الطفرات الدورية التي كنا نلمسها طوال قرون في جبال الاطلس التي لم تقتصر على البربر دون العرب (I) وهي التي كانت مثار تمرد القبائل ضد القادة الحضريين منذ القرن الثاني تحت تاثير الخوارج العرب الذين نادوا باسم الاسلام بالمساواة بين جميع عناصر الشعب ضد بعض الرؤساء العرب من الانتهازيين .

ولا يمكننا ان نفهم حقيقة مايسميه البعض ببلاد السبية وبلاد المخزن الا من خلال هذه النظرية والا فان الشعب المغربي كان دائما موحدا في روحه لا يثيره ضد السلطة المركزية سوى ادعاء يستغلون سذاجته وعوزه لتسخيره من اجل الاستيلاء على الحكم .

ولذلك كان المولى اسماعيل يحاول الضرب على يد الادعاء في نفس الوقت الذي يقيم الحصون والقلاع ضد الرجل المتمردين الذين لا يكاد الامير يبتعد عن مرابضهم حتى يثوروا من جديد انتجاعا لمادة العيش وهكذا وقع (1096هـ) حيث غزا شرقي الاطلس واسس نحو من عشر قلاع من وادي كيكو واد خسان الى القصابي والملوية واخضع ايت يوسى وسفر وشن ومديونة وغيرها موقتا وهكذا وقع وسيقع في غضون تاريخ المغرب الى اوائل القرن العشرين لان المشكل الاجتماعي والاقتصادي ظل قائما خلال هذه الفترة الطويلة ولعل ملوكنا عاشوا في سلك جهنمى لان اقرار التوازن الاقتصادي لا ينتج الا عن الاستقرار السياسي والامن الاجتماعي وهذا الاستقرار لم يتحقق الا في فترات عابرة لم يستغلها هؤلاء الملوك دائما لتحقيق تلك الانتفاضة الجنبرية المرجوة ولهذا ظل تاريخنا مطبوعا

(I) شاركت قبائل ازعير وبني حسن في ذلك كما حاربت في صف السلطان القبائل البربرية المحاذية للاطلس .

بتلك السلسلة المرة من الاندفاعات الثورية التي تتخللها بين الفينة والفينة فترة هادئة تنفس الامة فيها الصعداء وتنصرف الى استكمال اداتها الحضارية .

ولم يسع المولى اسماعيل الا ان ينساق فى هذا التيار المحتوم فهب من جديد (عام 1096 هـ) لاستئصال شأفة اخيه الحران وابن اخيه احمد بن محرز الذين استوليا على تارودانت فقتل هذا الاخير بعدما استمر تشغيبه اربع عشرة سنة وتوالت المعارك طوال سنتين ضد الحران انتهت بفتح عاصمة سوس وفرار هذا الاخير فاستقر الريفيون حماة للجنوب وقد بدأ الجيش يستخدم المدافع والمهاريس والمجانيق وآلات الحصار وعلى رأس المائة الثانية اقام الامير اولاده على الولايات تعزيزا لمملكته فاستخلف كبيرهم محرزاً على فاس والمأمون على مراكش ومحمد زيدان على مكناس وانكب هو على اعداد العدة لاختضاع مابقى من قبائل الاطلس (عام 1104 هـ) بعد تجريدها من عتادها الحربى (100000) من الخيل و 300000 بندقية) وبذلك استكمل المغرب وحدته ولكنه لم يستكمل جهازه الاقتصادى الذى ظل مختلاً غب هذه الحروب الطويلة التى انهكته وأضعفت مقوماته ولذلك راينا بعض القادة مثل ابي على اليوسى يجهز بهذا الخلل ويطالب السلطان بتعزيز الملك عسكرياً لتجهيز المراسى والحصون واجتماعياً بإقامة العدل والماوى والمساجد والمدارس والقناطر ومراقبة الحكام الاقليميين واقتصادياً بتحقيق المساواة والتوازن وذلك بجمع المال بحق وتفريقه بحق (كما ورد فى نص الرسالة I) وتوزيع التكاليف الجبائية حسب الطاقة الفردية مع مراقبة الجباسة .

المغرب الموحد والرياسة

استغرق المولى اسماعيل ازيد من ربع قرن (1083 - 1111 هـ) فى النضال الدائب لجمع شتات الاقاليم الموزعة بين الادعاء وتحرير بعض المراكز المختلة من طرف الغربيين ولولا ازدواج الجبهتين الداخلية والخارجية لاستطاع ان يحرر ما بقى من مدن ساحلية فى قبضة الاجانب .

وبعد استتباب اصول الوحدة السياسية وضع الامير تصميمها اولياً لتقسيم

(I) راجع نصها الكامل فى الاستقصا جزء 4 ص 39

البلاد الى ولايات واهتم خاصة بالتخوم الصحراوية تاركا لنفسه الاشراف المباشر على الاقاليم الوسطى وعين خمسة من اولاده على رأس هذه الولايات فعقد للمولى احمد على تادلة ولعبد المالك على درعة ولمحمد العالم على سوس ونقل المامون الكبير من مراكش الى سجلماسة وولى المولى زيدان على ناحية الشرق الا انه مالبث ان عزل عنها وخلفه اخوه مولاى احفيظ نظرا لخرقه الاتفاقات المغربية الجزائرية بالاغارة على تلمسان ومعسكر ولكن رغم هاته البادرة الطيبة استمرت المناوشات بين الدولتين وقاد السلطان بنفسه حملة ضد الاتراك (عام 1112هـ)

وكان من شأن هذا التقسيم ان يعزز الوحدة لان اللامركزية لم تكن شاملة حيث ظل السلطان ساهرا على تنسيق الاتجاهات بين الاقاليم غير ان هذا الحدث مالبث ان فتح ثغرات جديدة فى هيكل الدولة بثورة بعض اولاد المولى اسماعيل مثل محمد العالم الذى دعا لنفسه بسوس واحتل مراكش فحاربته والسنة طوال ثلاث سنوات قبض عليه بعدها (عام 1115هـ) ونقل الى مكناس حيث توفى بعد ان قطعت يده ورجله من خلاف خلال الطريق (فى وادى بهت) وقد ثار كذلك ابو النصر بسوس بعد ثمانى سنوات (1123هـ) فقتله سكان الاقليم من عرب دليم .

وقد رفع السلطان بعض العصامييين الى رئاسة الولايات كآل الروسى على فاس والخياط على درعة وذلك تمهيدا لعزل الامراء عن الولايات كلها باستثناء ولى العهد المولى احمد الذى ظل حاكما فى تادلة والمولى عبد المالك الذى ارجع الى مراكش وباقى الجنوب حيث توغلت كتائب المخزن داخل الاطلس الكبير

١٧) ولعل هذه التجربة الثانية التى تمت بتنحية الامراء عن مراكز الدولة الا الاكفاء منهم واقامة العصامييين من الشعبيين مكانهم كانت عاملا مهما فى انبثاق نوع من الاستقرار وانتشار الهدوء والسلام (I) وانصراف الدولة الى توطيد العمران وتنمية موارد الدولة والاقتصاد الوطنى .

(I) ذكر الناصرى ان فى هذا العصر استقامت الامور وسكنت الرعية وهدأت البلاد واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه والبلاد فى امن وعافية تخرج المرأة والذى من وجدة الى وادى نول فلا يجد من يسألها من اين مع الرخاء المفرط فلاقيمة للقمح ولا للماشية والعمال تجبى الاموال والرعايا تدفع بلا كلفة وصار أهل المغرب كفلاحى مصر يعملون ويدفعون فى كل جمعة او شهر او سنة ٠٠٠ ولم يبق سارق ولا قاطع طريق «ج 4 ص 46»

ولكن بالرغم من هذا الرخاء والامن فان المغرب لم يستطع اذ ذاك تركيز
اقتصاده على اسس منطقية قارة لان الجبايات ظلت المورد الجوهرى وسوء
توزيعها كان ماثرا للقلقل ولم تكن للدولة فى هذا الحقل الاجتماعى والاقتصادى
سياسة واضحة وتصميم رصين فكان الارتجال يحدو السلطان الى اعفاء حاضرة
فاس مثلا من التكاليف الجبائية فى نفس الوقت الذى يضيق الخناق على اقاليم
معوزة هى اجدر بالاعفاء وسنرى كيف ان جهاز الدولة الموحد الذى لم تكن له
دعامة ثابتة سينهار بعد وفاة المولى اسماعيل وهذه ظاهرة تسلسلت فى تاريخنا
الوطنى الذى لم تصمم اجهزته ومقوماته على ضوء المبادئ الاجتماعية والاقتصادية
البسيطة .

المجهود العمرارى للإسماعيلي

كانت مكناس كرسى الوزارة فى عهد المرينيين فاخترها المولى اسماعيل
حاضرة للملكه نظرا لطيب التربة وعذوبة الماء وصحة الهواء وسلامة المخزن من
التعفين (I) وكانت المدينة زاهرة بالمساجد والمدارس والزوايا فاضاف اليها
الامير الجديد بجنوب المدينة قصورا جلب لتخطيطها صناع المملكة والاسرى
الاوربيين وادخلها فى قصبة جديدة جهزها اولا بالمسجد الجامع قرب قصر النصر
الذى سبق ان اقامه ايام كان خليفة لاخته الرشيد ثم اضاف اليه الجامع
الاخضر المتفتح فى آن واحد على المدينة والقصبة التى فتح فى سورها عشرين
بابا سامقة مقبوة تعلوها ابراج معززة بالمدافع والمهاريس واسس بحيرة تمخرها
الزوارق وأهراء واسعة لخزن المحاصيل وحصنا مستديرا تصوب مدافعه الى
الجهات الاربع واصطبلا تمتد مرافقه بضعة كيلومترات يسع الآف الافراس
ومسلحة مربعة لايداع العتاد يعلوها قصر المنصور المحتوى على اربعين قبة تشرف
على بسائط مكناس وجبالها مع الترخيمات الخشبية الرائعة كل ذلك وسط
بستان شاسع الاطراف (2) وتتخلل هذه القصور المقامة داخل مدينة الرياض
شوارع ورحاب وابواب شاهقة وقد تهدم معظم ذلك ايام المولى عبد الله ابن المولى
اسماعيل على نسق الهدم الذى لحق قصر البديع (9IIIهـ) والذى اندرج بعض
مرمره فى الرياض (3) .

(I) الاستقصا (ج 4 ص 23)

(2) طوله فرسخ وعرضه ميلان الناصرى (ج4ص26)

(3) تاريخ طيراس (ج2ص267)

ولعل من العوامل التي حدت السلطان الى اختيار هذه العاصمة موقعها الاستراتيجي المؤدى الى الاطلس الاوسط والمشرق على المنافذ الشمالية لفازاز وتادلة الشارعتين الى مراكش واقصى الجنوب واهمية هذه المناطق من الناحية العسكرية هي التي تفسر لنا تكليف ولي العهد نفسه بادارة شؤونها .

وقد اقام المولى اسماعيل فى حاضرة ملكه مجموعة من المساجد وجدد بناء الاضرحة كما رمم ضريحى المولى ادريس الاكبر وولده المولى ادريس الازهر مؤسسى الدولة وبطل الفتوح الاسلامية وخطط لليهود ملاحا جديدا فى الرىض الغربى للمدينة (I) .

وكان الامير فى تخطيطاته المعمارية رائعا منطقى التوزيع عرف كيف يصمم مواقع الجيش ومرابض الشعب واجنحة الوزراء فى بحبوحة متناسقة الاجزاء مستمدا العناصر الفنية من الهيكل الاندلسى المغربى وان كانت قد افرغت فى قالب يقل روعة عن كثير من منجزات العهود السالفة .

المولى اسماعيل وأوربا

وكانت اوربا تمد المغرب بالقطنيات والجوخ والالات والاسلحة والبارود والكبريت فى مقابل الجلود واحيانا القمح والعسل واللوز وريش النعام والذهب بحيث كان الميزان التجارى بين المغرب واوربا لايتوازن خصاصة الابالموارد المتجمعة من افنكاك الاسرى وكان المركزان الاساسيان هما تطوان وسلا حيث يربط القراصنة والتجار من الاوربيين والمغاربة المسلمين واليهود وكان انقرصان يقضون مضاجع اوربا سواء فى المحيط الاطلنطيقى او البحر المتوسط (2) .

(I) يزعم طيراس ان المولى اسماعيل كان يضم الحقد للمسيحية وانه قتل 127 أسيرا مسيحيا (التاريخ 2 ص 266 و276) والواقع كما يؤكد ذلك مؤرخون غربيون ان الامير فى طليعة حماة المسيحيين الفرنسيين لانه خولهم امتيازات ماحلموا بها حتى فى الاقطار المسيحية كما سمح لملك اسبانيا ببناء مستشفى يحتوى على مائة سرير للاسرى المسيحيين بمكناس واصدر ظهيرين فى آخر حياته اوعد فيهما باعدام من تهجم على المسيحيين (راجع كتابى التيارات الكبرى لحضارة المغرب ص 42)

(2) راجع فصل الاسطول والقرصنة فى الجزء الثانى من معطيات الحضارة المغربية (الطبعة الثالثة)

أحمد بن حدو سفير المغرب لبلاط شارل الثاني



سفر المغرب في لاهاي عام 1659 م



وكان فى طليعة دول اوربا التى تتعامل مع المغرب انجلترا وهو لندة ثم فرنسا
فى حين كانت احتكاكات السلطان بالبرتغال واسبانيا فى المراكز المحتلة تقلص
من هذا التبادل بين الطرفين وكان بالمغرب قناصل غربيون يسهرون مبدئيا على
مصالح مواطنيهم من التجار ولكن اغلبهم كانوا نفعيين انتهازيين وكان بعضهم
يشترى منصبه لعدم كفاءته ويسعى فى تضخم ارباحه مهما تكن الوسائل
لاسترداد مادفع لرؤسائه ومنهم من عين قنصلا بهذه الطريقة وهو ابن اثنتى
عشرة سنة ومنهم من استقر فى اوربا واناب عنه فى المغرب وقد نهج المولى
اسماعيل مع اوربا سياسة التدافع نظرا لاطماع الغربيين فكان يلطف موقعه
احيانا مع فرنسا املا فى الحصول على مساعدتها ضد انجلترا واسبانيا بل كاد
البلدان يوقعان معاهدة تحالف فى المعمورة عام 1681 (I) تخفيفا من حدة غارات
القراصنة على السفن الفرنسية واستمرت المحادثات على يد بن حدو قائد قوات
الشمال ولكن لويس الرابع عشر رفض المصادقة على المعاهدة وواصلت فرنسا
محاربتها للقرصان فوجه السلطان فى العام التالى سفيرا لديها هو الحاج محمد
تميم واسفرت المفاوضات عن امضاء معاهدة صداقة مع تنمية فكرة التحالف وحذت
المشاكل التجارية والقرصنية غير ان فرنسا استأنفت حملاتها الاستفزازية
بدعوى عدم وفاء القرصان بالتعهدات فتوقفت المبادلات الاقتصادية مع المغرب
سنتين (1686 - 1688) ووجه ملك فرنسا الى زميله المغربى السفير بيدوسانت
- او لو ولكن المحادثات لم تسفر عن اى اتفاق لان المولى اسماعيل كان يهدف
الى عقد تحالف هجومى ضد المراكز الاسبانية بالمغرب ولم تكن حركة التهذئة
الموصولة داخل البلاد تعوق السلطان عن التفكير جديا فى الوسائل الكفيلة
بتحرير اجزاء الوطن المحتلة لذلك عمد الامير بدون جدوى الى استئناف الاتصال
بفرنسا بواسطة سفيره القائد ابن عائشة الذى توجه الى باريس على رأس وفد
رسمى ~~وقد اقترح~~ ^{وامر} الامير/ بواسطة سفيره الزواج بالاميرة كونتى من العائلة المالكة
وهكذا لم يسفر الحوار المستمر عن اية نتيجة لان فرنسا لم تتنازل لمساعدة
المغرب ضد اسبانيا فتوقفت العلاقات واستدعى القنصلان الفرنسيان من سلا
وتطوان ولم يبق لفرنسا ممثل بالمغرب مدة اربعين سنة تبوأ التجارة
الانجليزية خلالها المقام الاول ولعل النية لم تكن سيئة من الطرفين الا ان المولى اسماعيل

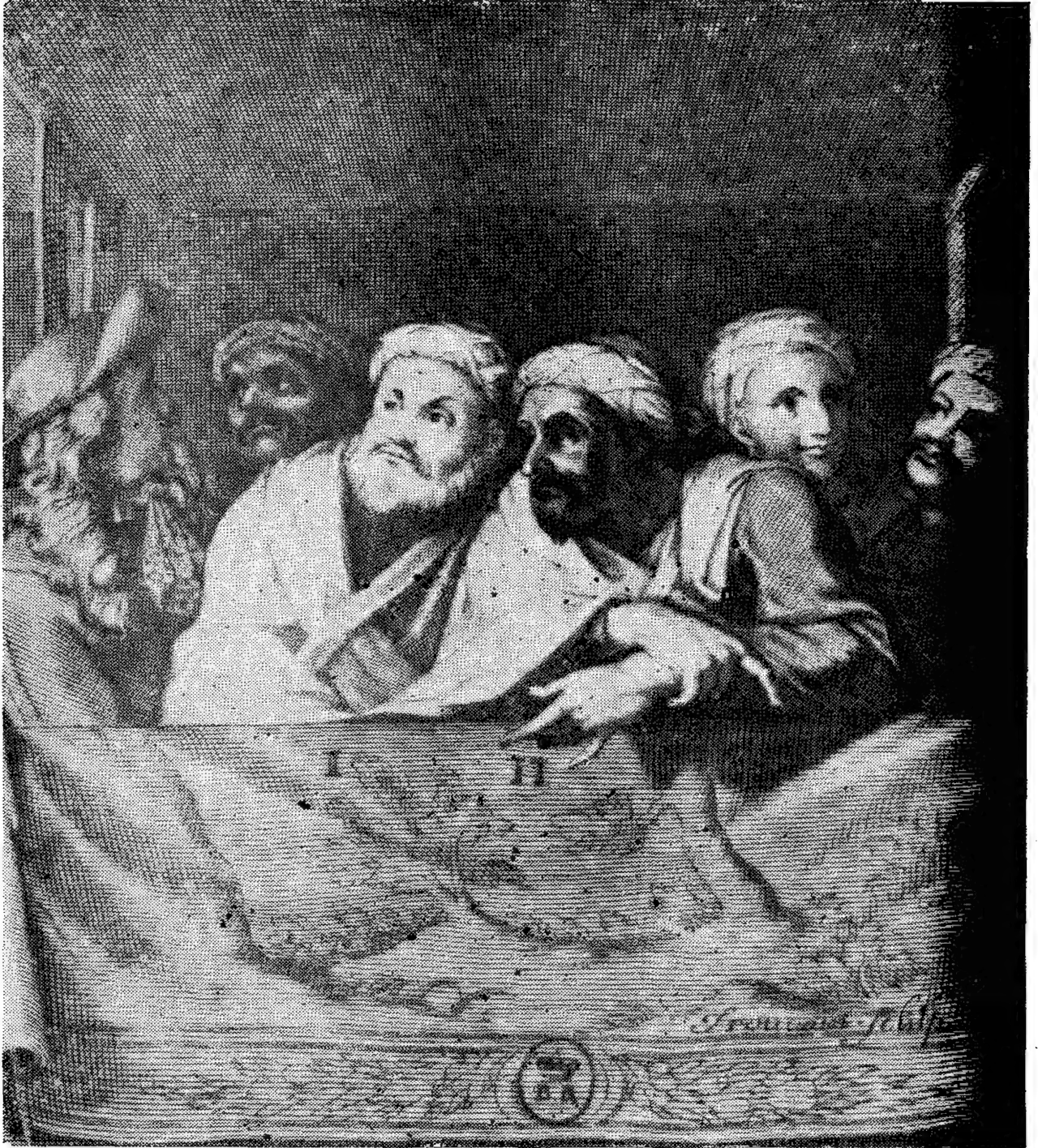
صورة الاميرال عبد الله بن عائشة مع بقية الوفد المغربي عام 1699م

الى ملك فرنسا



Abulhasi ben elhasi Amir et Supérieur de la Nation de l'Alger
Monsieur l'ambassadeur de l'Empereur de Rome en France et de la
le chancelier d'Espagne Capitaine de Navarre et de la l'ambassade
le comte d'Alger de la l'ambassade de l'ambassade
le comte d'Alger de la l'ambassade de l'ambassade

سفارة المغرب بباريس عام 1682 م



كان يهدف الى غايتين هما تحرير الاسارى المغاربة المشتغلين فى الزوارق الملكية بالمياه الفرنسية والحصول على امدادات عسكرية لاستكمال تحرير البلاد فى حين كان من الصعب على ملك فرنسا التحالف مع دولة اسلامية ضد دولة مسيحية والتنازل عن الارقاء المغاربة فظلت والحال هذه اغلبية الاسرى الفرنسيين فى المغرب .

اما هولندة فان حركتها التجارية مع المغرب احتفظت بنشاطها بالرغم عن الصعوبات التى اعترضت تبادل الاسرى المعتقلين فى البحار من طرف القراصنة ولذلك كانت الروابط تتأزم احيانا وبعد جلاء انجلترا عن طنجة واضطرارها الى احتلال جبل طارق (1707هـ) اصبحت اسبانيا من الداعدائها فساعد ذلك على توثيق روابطها مع المغرب ودعم تجارتها لاسيما وان فرنسا كانت قد افرغت لها المجال .

وهكذا ظل المحور الجوهري للعلاقى المغربية الاوربية هو ضمان التدافع بين الدول الاوربية لاستتمام تحرير الوطن .

وقد عاش الامير سبعا وخمسين سنة حقق خلالها المعجزات فلم شتات المغرب ومحقق الادعاء ودعم حركة التحرير ونشر الامن والطمأنينة غير انه لم يستأصل جذور الداء فتعرض المغرب بعد وفاته (28 رجب 1139هـ) الى طغرات ثورية تمخضت عن سلسلة من القلاقل بسبب تدخل العبيد فى قضايا العرش وكان المولى اسماعيل قد اختار اخف الضررين بعدم تأكيد تعيين ولى للعهد ولكنه فتح بذلك باب الفوضى على مصراعيه .

ومع ذلك فقد كان من ابرز الملوك الذين حظى بهم المغرب .





الفصل الثالث

عمرُ الفترة

ماكاد المولى اسماعيل يلفظ نفسه الاخير حتى بدأت لبنات ذلك الصرح الشاهق تتساقط الواحدة تلو الاخرى لأن عناصر الفوضى المنبثة وسط الشعب كانت دائما تتحين الفرصة للانقضاض وقد تضطر الفئات الصالحة احيانا ضمن الدفاع الذاتى - الى تضخيم عوامل الاضطراب وهكذا اصبح عبید البخارى الذين ركزهم السلطان الراحل فى القلاع المنتشرة عبر البلاد - يفرضون حكمهم المطلق من خلال السلطان احمد الذهبى المنصب بتأمر بينهم وبين قواد الودايا ويسيطرون على مرافق الدولة واموالها فاثروا وأقاموا القصور الفخمة فى مكناس ومشرع الرمل مما سيحدو الملوك الى محاولة الارتكاز على القوات المعارضة من البربر الاطلسيين وعرب الجيش فى حين تواصل الجماهير جهدها فى البحث عن الملك الصالح أملا فى توطيد الأمن والنظام واستئصال دواعى الانحلال الاجتماعى والاقتصادى .

وفى بحبوحة هذه الفوضى التى اتسعت شبكتها اختلت المقاييس واودت الفتن المتلاحقة بحياة كثير من الناس فيهم المستبد الذى لقي جزاءه، وفيهم البريىء الذى انساق مع التيار الجارف وهكذا قتل الفاسيون قائدهم ابا على الروسى ودشن الذهبى نفسه العهد الجديد مدفوعا من العبيد بقتل بعض العمال واركاب الدولة فعم الذعر واستقل احمد الريفى قائد الثغور الشمالية طمعا فى السيطرة

وخوفا من الضربات التي تكيلها قوات الاستبداد يمينا ويسارا دون وعي ولا تبصر .
وصده عن احتلال تطوان قائدها عمر لوقاش الذي استخفه الظفر فطمح الى اعتلاء
العرش وتكونت عصابات حول الحواضر تعيث فسادا ، وهكذا ظل المغرب نحوا
من ثلاثين سنة يتأرجح بين الأدعياء والطامعين ومن سار في أعقابهم من انصار
وخصوم .



ولم يكن الشعب يترقب هذه النكبات عند ما بايع المولى احمد الذي لقب
بالذهبي نظرا لنواله الفياض ولكن هذه الاموال التي كان السلطان الجديد
يغدها لتألف الجيش وتقوية الحاشية كان مصدرها بيت مال الدولة الذي بدأ
معينه ينضب فانقلب الانصار اعداء الداء يبحثون عن يروى نهمهم الصارخ
من بين ادعياء الملك .

وكانت الجماهير العالقة بالعرش (I) تستجيب لكل علوى تتلمح فيه سمات
المثالية والاهلية ولكن ارادتها لم تكن دائما هي الغالبة .

قبع أحمد الذهبي في قصره عاكفا على ملذاته وترك العبيد يفتكون
بالقادة والرؤساء فقتلوا امير الاطلس على بن يشى وامير الزيف احمد بن على
وقائد الغرب ابن الاشقر من دعاة العرش وجباته في الجبل والسهل فتقلصت
بذلك موارد الدولة وعزل عبيد الديوان الملك الضعيف ونصبوا مكانه اخاه عبد
الملك الذي استقدم من ولاية سنوس (1140 هـ) وبعد البيعة وجه الملك المخلوع
الى سجلماسة (2) .

وقد سقط في ايديهم لان السلطان الجديد امسك عن العطاء فتناجسوا
بعزله وشعر ابو مروان بالموءامرة تحاك فاستنصر بالبربر ولكن الجنود العبدان
الذين لم يهتمهم مصير البلاد بقدر ما يهتمهم ملء جيوبهم استأنفوا النهب وفتلوا

(I) لاحظ طيراس في تاريخه (ج2 ص 280) ان روح التشبث بالعرش
العلوى رغم المحن والفتن كانت نتيجة لعهدى مولاي الرشيد ومولاي اسماعيل
(2) لاحظ طيراس ايضا (ص 280) ان الاغتيالات العائنية كانت نادرة في
الاسرة المالكة بل حتى التعسفات ضد الامراء المخلوعين .

الرؤساء الذين وقفوا في وجههم فاستجار بالحرم الادريسي والتف حوله الفاسيون ودخل الذهبى عاصمة مكناس فى مواكب قشبية كالتى حفلت بمقدم اخيه قبله « ففرق الاموال والكسى فى العسكر والعلماء والاشراف وبالغ فى ذلك تفصيا مما نغمه العبيد » (I)

ونكصت فاس عن البيعة ملتفة حول أبى مروان وقتل اهلها القائد اليبينى مبعوث السلطان الذى طالبهم بالاستسلام فلم يسع احمد الذهبى الا النزوح على المدينة وحصارها بالمدافع والمهاريس وموالة القذائف على أسوارها ودورها طوال خمسة أشهر استسلم الناس اثرها بعد أن كابدوا الأمرين فخير المولى عبد الملك بين النزوح الى سجلماسة والمكث فى الحرم فاختر البقاء بفاس ثم اغراه بعض القواد ضامين سلامته فخنق بمكناس قبل وفاة اخيه السلطان بثلاثة ايام (4 شعبان 441هـ) .

الأمير سوارى عبد الله وخصومه

استمرت القلاقل بتوانى ثلة من الامراء على العرش انذى اعتلاه المولى عبد الله ست مرات والمولى عبد الله هذا ولد خنائة بنت بكار المعقرى أجمع العبيد والودايا مع بقية قادة الدولة على مبايعته فاستقدم من سجلماسة حيث فر بعد محنة اخيه ابى مروان ، وكان مقيما معه قبل ذلك بسوس وقد دشن الملك الجديد عهده بنوال واسع مزجه بشيء غير قليل من العنف لاسيما مع اهل فاس الذين قطع عنهم عطاياهم وسعى فى انتزاع بساتينهم وقصباتهم بحجة انها ملك للدولة فتكتلوا واعلنوا انصيان ثم زحف الامير نحو المدينة فطوقها (441هـ) بعد ان حارب لما كان فى ارباضها من مصانع وغراسات وطم الوادى فانقطع الماء وروانى قذائفه المحرقة فضاق الخناق واستسلم السكان فتعاقب فى اقل من سنة على فاس اربعة ولاة وتتابعت اعمال التخريب والتقتيل بتهديم خمسة ابواب وتحطيم سور المدينة أعقبها الامير فى مس جنونى بدرس معالم مدينة الرباط فى غمرة الليل بمعاول الاسرى المسيحيين وذلك فى نفس الوقت انذى امر باكمال سور القصبة وبناء باب منصور العليج وفى غضون ذلك امر السلطان بقتل مآت

الاشخاص فى القبائل منهم مائتان من حجاوة بحجة قطع الطريق وقد فر المتفرجون عند اقتراب السلطان من مكان الاعداد بباب البطيوى الى كهف قريب فاطبقه الامير عليهم وماتوا تحت الردم واحتج جيش العبيد رغم شدته على هذه التعسفات التى لم يكن لها مبرر ولم يثن ذلك السلطان عن التنكيل بالفاسيين الذين ولى عليهم قائدا خامسا استصفى اموالهم ففر الكثير الى اقاصى البلاد بعد عنف شديد استمر أكثر من سنتين (1143 - 1145 هـ)

ولعل السلطان كان يهدف بهذا الاستبداد الشائن الى استعادة وحدة الدولة غير ان العنف لم يكن ليزيد فورة القادة والجماهير الا انتشارا وشدة وهكذا زحف السلطان بنفسه نحو تادلا ثم سوس فضرب على ايدى الثوار ولكن جيش العبيد انهزم فى جبال آيت أومالو وبسيط ادخسان امام صمود البربر وانخذ السلطان ذلك ذريعة لقتل ازيد من عشرة آلاف من العبيد جزاء اغتيالهم لأخيه ابى مروان ولم تكن جعبة هؤلاء قد فرغت من المكاييد فاجمعوا على خلع السلطان الذى يادر بالفرار من سوس عن طريق تادلا ومراكش فنزل بوادى نول على اخواله المغافرة .

ونصب العبيد مولاي على الاعرج ابن المولى اسماعيل (عام 1147 هـ) مستقدمين اياه من سجن ماسة التى كانت ملجأ يستجير به ادعياء الملك عند الهزيمة وقد اشتهر هذا الامير بالحكمة والتعقل ودشن عهده باسقاط الجبايات عدا الزكوات الشرعية ولكنه بعد استنفاد ذخائر الدولة فى العطاء اعتقل خثائة أم السلطان مولاي عبد الله وامتحنها بدعوى اختزانها الاموال .

واستمر نزاع الملك الجديد الى عام 1148 هـ مع اهل فاس الذين فتحوا جبهة ثانية ضد عصابات الودايا اذ كانت تغير على المدينة وارباضها ولما استتب الامر فى هذه الناحية زحف جيش العبيد وعلى رأسهم السلطان الى آية اومانو بالاطلس وكانت استراتيجية البربر هى الفرار امام الجيش النظامى الى الجبال ثم الكر فجأة على المتعقبين عند توغلهم فى الشنايا والاوغار فانهزم العبيد مرة ثانية تاركين خيلهم وسلاحهم واخبيتهم ورياشهم واحترم البربر أمير انومنين فصاحبوه الى معبر وادى ام الربيع من حيث عاد الى حضرة الملك خاوى الوفاض قد نفدت من اهرائه الميرة والعتاد والمال فعاد العبيد الى التشغيب مواصلين اثاره الفتن بدوافع مادية فما عجز سلطان عن اشباع نهمهم الا عمدوا الى

خلعه وكان الشعب يعيش في سلك جهنمي بين اطماع هؤلاء الدخلاء من الزنوج (I) وبين ادعياء الملك الذين ينساقون وراء المشغبين لاعتلاء اريكة العرش ولا شك ان هذه الفوضى تتمخض عن خلل اقتصادي بسبب قلة المحاصيل وشيوع الاحتكار وارتفاع اسعار المواد الحيوية وكانت تنضاف احيانا الى عوامل الفتن عناصر الطبيعة كالجفاف فيشتد الكرب وتنهال النكبات وقد تغزر المحاصيل والاقوات في اقاليم اخرى ولكن عسر المواصلات واضطراب الامن الناتج عن القلاقل كانا يسفران غالبا عن ازمات جهوية قاتلة .

تلك هي الحوافز الجوهرية التي فتحت المجال لتعاقب الادعياء امثال محمد بن عربية والمستنضيء وزين العابدين علاوة على مولاى عبد الله الذي كان يتارجح بين النصر والهزيمة .

وهكذا زحزح مولاى علي عن العرش ففر الى الاحلاف شرقا واسترجع مولاى عبد الله نفوذه وهو بتادلا (II49هـ) فسمح لاخيه بعد سنوات (II69هـ) بالاستيطان بمكناس ولكن العبيد كانوا يعيشون فسادا ويتحينون كل الفرص لبث الشقاق فاضطروا الملك بد سائسهم الى اجلاء اخيه لتافيلا لت حيث قضى بقية ايامه وفي غضون ذلك استقدم الوالفون في الماء العكر ابن عربية من سجن ماسة عندما كان المولى عبد الله قد عاد الى طغيانه فقتل أعضاء الوفدين الفاسي والمكناسي الذين جاءوا لبيعته بقصبة ابى فكران وكان ابن عربية قد جاء الى فاس فنصبه اهلها ملكا (II50هـ) وفر المولى عبد الله الى بربر الاطلس وافر العبيد هذا التنصيب طمعا في المال وضعف الملك الجديد عن الضرب على ايدي الناهبين وقد اغار المولى عبد الله مرارا على حاضرة الملك من مقره بالحاجب للثأر من العبيد الذين كانوا محور الفوضى واجلب السلطان بخيله وعبيده على البربر فانهمز وحاول تغطية هزيمته بقطع رؤوس الابرياء من اصل صفرو ونقلها الى فاس ايها ما بانها رؤوس ثوار البربر ثم انتزع اموال الفاسيين وقتل بعض اثريائهم فانتشر النهب وعم الرعب وخيمت المجاعة بشبهها المخيف حتى اضطرت

(1) لاحظ صاحب الاستقصاء ان النكبات التي نزلت بالمغرب في هذه الفترة هي بسبب «استيلاء العبيد على الدولة وشؤم افتياتهم عليها وتحكمهم في اعيانها» (3ص 68)

جماعة من اهل فاس الى التوجه لتطوان لجلب المواد الغذائية المستوردة من اسبانيا .

وخلع الزنوج السلطان واستدعوا اخاه المستضى من تافيلالت فاستأنف العيث والعسف وضرب الجبايات الفادحة لنقع نهم العبدان وصار يفكك اوصال الاهراء الاسماعيلية ويبيع حدائدها وما ضمته من مواد الكبريت وملح البارود واقتلع الدرايز وسك نحاس المدافع فلوسا واطلق ايدي النهب في فاس وتطوان وعندما فرغت جعبته تأمر العبيد على عزله (II52هـ) ففر الى مراکش بعد ان استجار مدة عند قائد الشمال احمد الريفي وقد حاول اثاره قبائل الجنوب ولكنها تمسكت بالمولى عبد الله الذي اضطر العبيد الى مبايعته من جديد (II53هـ) وانضمت فاس ومكناس الى البيعة واختار السلطان مقره الموقت بوادي زم نظرا لاستمرار عبث الزنوج في حضرة الملك ثم استقر بمكناسة منساقا في تيار العبيد الذين صاروا ينتزعون من الناس دورهم وبناتهم باسم السلطان وازدوجت عوامل الاضطراب في المغرب بانطلاق يد باشا طنجة احمد الريفي في الغرب داعيا للمستضى الذي ظل مقيما بالقصبة المكناسية وقد ساعد استبداد السلطان على اندلاع الفوضى بنهب زروع المكناسيين وتوظيف الغرامات فثار العبيد ضده مرة اخرى وخلعوه (II54هـ) فتآمر مع الشمال وفر الى الجبل وفرض القائد الريفي تنصيب المولى زين العابدين الذي كان العبيد قد احتفظوا به بفاس ثم طنجة مكرما لهذا اليوم اذ كانوا يلعبون على حبلين تحقيقا لاعتراضهم التي كانت المبرر الاكبر لجميع الوسائل وفي ضمنها النهب والتنكيل والاغتيال وقد تقاعس اهل فاس وجيش الودايا عن المبايعه لان تعاقب الامراء على العرش بهذه الوثيرة المزعجة كان يندب بشر مستطير ويحدو النخبة الواعية من الشعب الى عدم الاستسلام لعوامل مضطعة لاتلبث ان تنجرف في تيارات من نوع جديد لاسيما وان الطابع الزنجي كان يستم هذا الخلل السياسي بلون مخيف لا يتردى شبحه الا للاحرار النزهاء وهكذا دفع العبيد الملك الجديد الى مجازبة الخارجيين عن البيعة غير ان الزنوج الذين عجزت اوفضة العرش عن الاستجابة الى اطماعهم نزحوا عن الجيش وفر السلطان وكان المولى عبد الله متريشا في الاطلس يتحين الفرصة للوثوب فانحدر الى فاس واجمعت الاغلبية هذه المرة على مبايعته وهي التي انضوى تحتها العبيد والودايا وقبائل العرب والبربر غير ان الزنوج عادوا بعد فترة يسيرة الى التشغيب فاستدعوا المستضى من مراکش ولكن السلطان

عرف هذه المرة كيف ينقذ الموقف بلم شجعت الامة وتوحيد عناصرها المتنافرة من الجبل والسهل فهزم خصمه (عام 555هـ) وكانت ارباض فاس معززة بكتائب البربر من زمور وجروان وآيت ادراسن وآيت اومالو وماكاد يبرز فجر السنة القابلة حتى اعاد المستضيء الكرة على فاس ضحية باشا طنجة الريفى مجهزين بعتاد قوى من المدافع والقذائف فتصدت جيوش السلطان بجحافلها الاطاسية الى كتائب الريف وهزمتها وسلبت اخبيتها وكراعها ورياشها واعتدتها الحربية وقد شهد الامير الشاب سيدي محمد بن عبد الله هذه الواقعة الحاسمة ثم دارت معركة ثانية عام 556هـ على وادى لكوس قرب القصر الكبير بين فيالق القائد الريفى والمستضيء (الفحص والخلط والعبيد وبني حسن) وارجية الجيش الملكى الذى وحد السلطان عناصره باقامة الرماة من العبيد واهل فاس وفرقة الخيالة من الودايا ووزارة واهل سوس واستعرض الجمع فى حشد حافل اضاف اليه فى الطريق كتائب من قبائل حوز فاس فانهزم الخصم وقتل الريفى وزحف الملك نحو طنجة فدخلها مظفرا وتعزز بيت المال بالغنائم التى جمعها طاغية الريف من انهابه وحاول المستضيء من جديد لف انصاره ولكنه انهزم مع دعااته من بنى حسن وواصل الملك زحفه اواخر عام 558هـ نحو الجنوب عبر دكالة والسراغنة ثم مسفيوة يتعقب اخاه المستضيء الذى لجأ الى طنجة بعد ان لفظته حواضر الجنوب . وهنا استخلف المولى عبد الله ولده الامير مولاي محمد باقليم مراكنش بينما وجه اخاه الاكبر المولى احمد خليفة بالرباط ثم عاد الى قصره بابى فكران وقد اثارت تعسفاته الجديدة ضد خصوم الامس موجة من الاستياء سواء فى الحواضر ام الاطلس مما حدا بالبربر الى محاربة المولى عبد الله وكذلك العبيد نظرا لشعور الجميع بان السياسة الجديدة هى « صدم التيس الاسود بالكبش الابيض (I) » وقد دخل اهل فاس آنذاك هم واهل الغرب مع « حزب البربر » مما دل على عدم وجود نعة سلالية فى هذه الانتفاضة الجديدة ضد السلطان ودام حصار فاس ازيد من سنتين تم بعدها الصلح مع المولى عبد الله وكان البربر ينهجون ايضا ضد السلطان سياسة التدافع باثارة العبيد ضده حوالى 562هـ لاعادة وحدة البلاد باقصاء السلطان وتنصيب ولده سيدي محمد بن عبد الله الذى برهن عن كفاءة ونزاهة ولكن الخليفة رفض هذا العرض برا بوالده واضطر

هذا الامير الى تغيير سياسته فتدخل ولده الذي هب (عام 63هـ) من مراكش
للسيطرة بين الملك والشعب فبايع العبيد للمرة السابعة ولكن طائفة من الجرب
انبرت تستعطف الامير الشاب (64هـ) لانقاذ الموقف بقبول الملك لاسيما
وان الحرب استمر اوارها بين الانصار والخصوم من برايرة ايت ادراستين
وجروان وانتهت هذه الازمة القاسية بوقاة السلطان المولى عبد الله في صفر
عام 71هـ بعد ان ظل اثنتى عشرة سنة (59-71هـ) في دار الديبغ
بفاس مهملًا من الشعب .



الفصل الرابع

عند الاستقرار والازدهار

(1171 هـ - 1204 هـ)

فى هذا العهد عرف المغرب شيئا غير قليل من الاستقرار وما يستتبعه من ازدهار فقد تمكنت البلاد من تركيز وحدتها وتحرير عدد من المراكز الاجنبية فى ربوعها وقامت جيوشها واساطيلها حاجزا منيعا فى وجه الغزو الاجنبى على ان اوربا كانت خلال الفترة التى تقرب من ثلاثة ارباع قرن فى فورة من النزاعات والحروب بين دولها زادها اشتدادا انبثاق عهد الاستعمار الجديد حيث اتجهت انظار الغربيين الى آسيا وخيراتها . فبدأ الصراع العنيف والتسابق نحو احتلال جزر الشرق الاقصى وتعزيز الصناعة الاوربية بموادها الاولى وكانت الامبرطورية العثمانية آنذاك فى طريق الأفول فتقلصت بذلك المعارك الدامية بين الاسلام والنصرانية التى استقرت منذ العهود الصليبية وخلفتها قرصنة الجمهورية القائمة على سواحل البحر المتوسط فى الاقطار الاسلامية والنصرانية مما حدا مؤتمرات الحلف المقدس الى التضافر ضد الاساطيل القرصنية والتركية

وهكذا استطاع المغرب بفضل الدعة والهدوء استكمال صرح الدولة وتعزيز المرافق الاجتماعية والاقتصادية الوطنية وعقد الاوفاق التجارية ومعاهدات الصداقة مع اوربا والاقطار الاسلامية فلم يعد هنالك احتكاك حدودى بين المغرب

واتراك الجزائر حيث توطدت الروابط الودية وانتظمت سياسة جديدة فى
الداخل والخارج كللت احيانا بكثير من التوفيق .

مُحمَّد بن عبد الله الخليفة

استخلف المولى عبد الله ولده الامير محمد عام 1157هـ على مراکش برغبة
من اهلها بعد مطاردة الامير الشاب بالقصبة التى لم تبق بها ءانذاك سوى الآثار
السعدية والموحدية ضارباً اطنابه وسط الخرائب وشرع فى بناء قصره بحدائق
اجدال خارج السور الجنوبى وكان الاعراب والبرابر المستوطنون ارباض
الحواضر يعيشون فسادا فى جوانب هذه المدن مثل الاودية بفاس وزعير بالرباط
والاحلاف بوجدة فكان عرب الرحامنة قد الفوا تسخير الحوز لاطماعهم فلذلك
حاولوا دون قيام نظام سياسى قوى فى الجنوب وطردهوا الخليفة من مراکش
فالتجأ الى اسفى وسرت العدوى الى رباط الفتح فاقصى اهل العدوتين المولى
احمد بن عبد الله الذى التحق باخيه وتعززت الخلافة بانصار جدد من عبدة
واحمر رافقوا الامير حيث نزل بالقصبة وبعث روحا جديدة فى الاقتصاد الجهوى
بتعمير الاسواق وتنشيط التجارة فى الميناء ، فتكونت كتل اقتصادية من العرب
واليهود والمسيحيين تنافسوا فى تركيز المبادلات مع اوربا فازدهر الاقليم وعم
البشر وراجعت الرحامنة موقفها وعاد الخليفة مظفرا الى مراکش قد التفت حوله
قبائل انحدرت من كل صوب فتم بناء القصر الملكى الجديد متصلا ببستان النيل
وبقصر ءاخر هو القصر الاخضر او المنصور وجدد الاسوار ورمم جامع القصبة
الموحدى وبنى مسجد بريمة ومدرستين وانتظم فى جيشه فرسان العبيد وعبدة
واحمر والرحامنة ورجال الحوز فزحف نحو السوس (1169هـ) واستأصل بها
رؤوس الفتنة ورتب الحاميات ثم عرج على الشاوية موطدا دعائم الامن فى طريقه
الى الرباط والقصر الكبير وتطاوين وطنجة وما ان عاد الى حضرته عن طريق سلا
التى اقفلت ابوابها فى وجهه حتى نعى اليه والده السلطان المولى عبد الله .

وكان الشعب قد سئم هذه الموجات المتلاحقة من الفتن والحروب الداخلية
فرأى فى شخص الامير الفتى الزعيم الكفء لاعتلاء العرش وكان لوجهته
السياسية ودعته وحنكته وتصميماته الاقتصادية الاثر القوى فى جمع الكلمة
لمبايعته فهبت الوفود والمهنة من جميع انحاء المملكة ثم غادر الملك مراکش نحو

مكناس دار الملك حيث عزز جانب العبيد الذين كانت غازات خصومهم من البربر قد انهكت قواهم واستصفت جناتهم وولى وجهه شطر فاس حيث استقبل بحماس اجماعى فعم نواله سائر الطبقات لاسيما بعد تملكه لمتخلف والده فى دار الدبيبغ من اموال واثاث وحلى (I) وقد نهج الاميرخطة رشيدة فلم يعزل قواد ابيه الا بعد التحرى والاختيار هادفا الى الاستصلاح رغبة فى تفادى الاضطرابات

تنظيم الدولة

وقد عمد السلطان الى تنمية موارد الدولة بتعزيز الجبايات الموظفة على الاسواق بعد ان استفتى الفقهاء فى شرعية هذه المكوس التى كانت مضروبة على الموازين والسلع والغلات وقد عرف المغرب فى هذه الفترة عهد رفاهية وسلام اذ بلغ دخل المكوس بفاس وحدها على ما قيل 500 الف مثقال اى مليونين ونصف مليون فرنك بصرف ذلك الوقت (2) ونشط السلطان الحركة الاقتصادية فى كل من الجديدة والصويرة حيث جلب تجار المسيحيين واسقط عنهم الجبايات مؤقتا ريثما تركزت فيها المبادلات بين الداخل والخارج .

الجيش

فى سنة 1173 هـ حاول السلطان اعادة تنظيم الجيش وتعزيزه بعناصر جديدة سجلت فى ديوان الجيش بمكناس فاضاف الى العبيد الحراطين

(I) ذكر صاحب الاستقصا - ج 4 ص 92 - ان هذا المال كان اكثره ذهباً منها الف خرج او سماط من الجلد ذات اقفال ذهبية قيمة كل واحد الفان اثنان من الدنانير ، ومائة رضى من الذهب الخالص وزن الواحدة اربعة آلاف ريال كما وجد فى المتخلف 285.000 ريال .

(2) سوردون - افريقيا الشمالية ص 241 وقد زعم صاحب درة السلوك ان السلطان تصدق خلال ازمة الجفاف التى استمرت خمس سنوات بخمسمائة مليون دينار وهو مبلغ باهظ نشك فى صحته وان كان هنالك مايؤكد ان الدولة وزعت على الحواضر والبوادر الاقوات والاغذية كما منحت القروض للدور التجارية لجلب المواد الحيوية من الخارج .

وذكر الناصرى (الاستقصا ج 4 ص 97) ان السلطان باع امكاس فاس لعاملها محمد الصفار ب 12.000 مثقال ثم بضعفها (ص 98)

المستقدمين من الصحراء مثل الجبابرة والمعاركة واولاد احمد ثم اهل الحوز والبربر مثل ايت ادراسن وكروان وايت يمور بعد ان نحى خصوم هؤلاء من الاودايا لعيثهم فسادا بحوز فاس والعنصر الجديد فى الجيش النظامى هو البربر اذ عرف السلطان كيف يؤلف بين الطرفين وينهج بدل العنف سياسة المرونة واللين ساعيا فى القضاء على بواعث الفوضى والتشغيب مهما كان مصدرها .

وقد عزز الثغور بحاميات قوامها 16٠500 جندى وزع عليها عام 1200 هـ ثلاثة ملايين مثقال كراتب مسبق لخمس عشرة سنة واقام الابراج فى المراسى مثل المرائش وانفا وكذلك سلا والرباط حيث بنى برج الصراط (1169هـ) ثم برج صقالة (1190هـ) على يد المهندس احمد الانجليزى واستقدم بعثة من الخبراء الاتراك لتدريب رماة الجيش كما وجه 600 جندى من أيت عطة و 400 من عبيد تافيلالت الى طنجة لدراسة الفنون البحرية ولم يكن يانس للفنيين المسيحيين نظرا لاعتزاه اجلاء الاجانب بقوة عن المراسى المحتلة .

وقد كون اسطولا جدد به العهد السالف ولكنه اصطدم بمصاعب فى تجهيزه وان كان قد استطاع جلب بعض المواد من انجلترا والسويد وتركيا (I) فعزز حماية المياه الاقليمية علاوة على المراكب القرصانية بخمسين سفينة منها ثلاثون فركطة تحتوى على 60 قائدا وخمسة الاف بحار والفينس من الرماة (الطبيعية) و 15٠000 من العبيد و7٠000 من الرجال الاحرار ومثلها من الغرب و 8٠000 من الحوز .

نشر الهدوء والامن

وكان من عوامل الفتنة استمرار التطاحن بين برابرة الجبل واخوانهم فى السهول جريا على الظاهرة التى اطردت فى تاريخ المغرب منذ القرطبيين وهى تناحر البدو الرحالة مع القبائل القارة وكان برابرة السهول الممتدة على الدير وطول شعاب الاطلس ينضمون غالبا تحت راية الدولة غير ان الطموح الى الحرية

(I) بعث السلطان سفيرين الى الاستانة لدى السلطان مصطفى العثمانى كما وجه عام 1177 هـ التهامى المدور سفيرا الى السويد لجلب مواد صنع المراكب والبارود واوقد الى انجلترا سفيره محمد المسترى لاصلاح السفن وشراء المواد البحرية ومدافع نحاسية (الاستقصا ج 4 ص 98) .

والانطلاق من القيود حدا شتى القبائل الى الثورة فكان السلطان يضطر الى القيام بحركة للتهدة حيث شاهدناه (عام 1175هـ) على رأس جيشه فى بلاد الشاوية وتادلا والغرب للاقتصاص من شقيرين (أيت اومالو) والحيانة وأيت سكاتو وبنى سادان وعام 1176 هـ ضد مسفيوة وزمور الشلح ومروشة ، وفى غضون ذلك قبض على المتصرف محمود الشنقيطى بفاس وقتل الثائر احمد الخضر بصحراء فجيج وهكذا استطاع السلطان اقامة الامن فى احواز الحواضر الكبرى التى كانت مثل فاس ومكناس عرضة لغارات البربر ونقل القبائل المشغبة الى اقاليم نائية مثل اولاد بوسبع الذين طردهم من الحوز الى الصحراء واقام مكانهم اهل زمران وكذلك اهل التكنة ومجاط وذوى بلال الذين استقروا بحوز فاس بدلا من الاوداية

التوسعات العمرانية

علاوة على الدار البيضاء المقامة فى حدائق اجدال بمراكش والتى احيلت اليوم الى مستشفى بنى السلطان دارا بيضاء اخرى بمكناس على نفس النسق والهندام (وهى اليوم اكاديمية عسكرية للجيش الملكى) كما بنى مسجد الازهر (مسجد الروى الحالى) وفى فاس أسس مدرسة باب عجيسة (الكيسة) وحصن مراسى الساحل من تطوان (برج مرتيل) الى انفا ووطد بين فاس ومراكش طريقا ساحلية - على هامش الطريق المارة بتادلا - على طولها منازل للايواء فى قصبات المنصورية وفضالة وانفا كما زود الرباط بسور جديد بالجنوب الغربى للمدينة فى اجدال الحالية حيث بنى قصرا ملكيا وجامع السنة مدرجا رباط الفتح فى عداد حواضر الملك .

اما الصويرة فقد اشرف بنفسه على تخطيطها ليكمل منها مركزا تجاريا ومربضا للقراصين الجهادية والحيلولة دون حركة التهريب فى الجنوب على اثر احتلال الجديدة على ان العامل الاساسى الذى حدها الى اختيار الصويرة لهذه المهمة الاقتصادية هو ان الحواجز الرملية (1) التى يستعصى بسببها دخول السفن الى افواه المراسى الاخرى مثل سلا والعرائش غير موجودة فى هذا المركز

(I) حسب رحلة المهدي الغزال وقد سبق للشرىف الادريسي ان اشار فى نزته الى هذه الحواجز

الاستراتيجى الذى اتقن السلطان عموانه وشحن الجزيرتين الدائرتين به بالمدافع
وشيد برجا على صخرة داخل البحر (I)

تحرير الأسرى والمراكز المحملة

كان الاسطول القرصنى يمخر عباب المحيط ويغير على الثغور الاوربية
ويقتنص المراكب الاجنبية التى لم تكن تتردد هى الاخرى فى السلب والسبى
والاسر فى عرض البحار وكان السلطان محمد بن عبد الله ميالا الى المهادنة الا
ان دسائس بعض دول اوربا اللاتينية حذته الى التحالف مع امم بروتستانتية
مثل انجلترا والسويد والدنمارك التى عقد معها معاهدات تجارة وصداقة كما
عقد معاهدة تجارة وملاحة لمدة خمسين سنة مع الولايات المتحدة (16 يوليو
1786 جددت عام 1836) .

ومن الدول من فضل سياسة الثأر كفرنسا التى كان القرصان المغاربة
قد غنموا احد مراكبها وساقوه الى مرسى العرائش فقبل اسطولها كل من
العرائش وسلا (1178 - 1179هـ) وقد توغل خمسة عشر مركبا من اسطول
القائد الفرنسى دوشافو *Du Chaffaut* فى وادى لكوس لمطاردة السفن
الملكية ولما رجعت هاجمها عرب الغرب بمدخل المرسى فاستاقوا أحد عشر
قاربا وقتلوا او اسروا 230 جنديا و30 ضابطا ثم انعقد الصلح (1180هـ) على يد
سفير مغربى وتقررت شروط دخول مراكب الدولتين الى المراسى الفرنسية
والمغربية افتكت فرنسا بموجبه اسراها وزودت المغرب بالادوات المركبية .

ونجدة للأسرى المسلمين الذين استنصروا بالسلطان من اسبانيا كتب
الى ملكها فاطلق سراحهم ووجه السلطان (1179هـ) احمد الغزال سفيرا لشكره
ثم تدخل الامير (1182هـ) بطلب من اسبانيا لدى الاستانة لتبادل اسرى الجزائر
بالأسرى الاسبان فأصدر الباب العالى أوامره بذلك الى داي الجزائر .

(I) يقال بان المهندس الذى وضع تصميم تجديد بناء الصويرة هو الفرنسى
كورنوط *COURNOT* الذى اتقن شبكة التوزيع ورسم الاحياء ثم بنى القلعة
المهندس احمد الانجليزى الذى سجل لقبه « احمد لعليج » على باب البحر .

وقد شعر الامير باستراتيجية مرافىء الاطنطيق فعزز تحصينها وبنى الابراج ونقل اليها المدافع والمهاريس من المدن الداخلية توطيدا لسياسته التحريرية ولم يقر للامير قرار ما دام البرتغاليون يحتلون قطاعا من التراب الساحلى فعبا جيشا وحاصر مانزغان (I) عام ١١٨٢هـ فانبثقت من اسوار المدينة نيران المجانيق البرتغالية عقبته قذائف السلطان وقنابله (2) وواصلت الحامية الصمود مستنجدة باشبونة التى امرتها بالاستسلام ولم يجلب البرتغاليون عن المدينة حتى اغرقوا اربعة زوارق واحرقوا الاثاث والاوانى والماشية ومائة مدفع ونشروا الالغام التى نفطت عند دخول الجيش فتهدمت الدور (3) ولكن السلطان جرد عمرانها واسكن بها اهل دكالة.

وقد غزا الامير ميليلة عام ١١٨٥هـ وطوقها ببطارياته من مدافع ومهاريس رمتها بوابل من مقذوفاتها المحرقة فعاتب ملك الاسبان مذكرا اياه بعقد الصلح المبرم بين البلدين فانهى السلطان الحصار وقد سبق له ان قام منذ عام ١١٧٣هـ بجولة استطلاعية فى ارباض سبتة وأخر تحريرها مكتفيا باقامة حامية قوية من رماة انجرة للسهر على الحدود

سِيَّاسَةُ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْتِّحَالُفِ مَعَ أَوْرُوبَا

لم يال السلطان سيدى محمد بن عبد الله جهدا فى اقامة سياسته الخارجية على عنصرين اثنين : تحرير البلاد وتعزيز الروابط الودية مع العالم الاسلامى ولذلك توالى سفاراته الى الاستانة تبودلت اثناءها النفائس مع الباب العالى حيث اهدى الامير الى مصطفى العثمانى خيلا عتاقا بسروج مثقلة بالذهب مرصعة

(I) كانت الجديدة تسمى بمانزاغان ، ثم البريجة ثم المهدومة قبل ان يجدد بناءها السلطان سيدى محمد بن عبد الله

(2) لاحظ محمد المراكشى فى كتابه «الحلل والبهجة فى فتح البريجة ان القنابل المغربية كانت تزن قنطارا وكانت مصنوعة من سبعة معادن .

(3) يقال ان البرتغاليين النازحين عن البريجة توجهوا الى البرازيل وأسسوا مدينة سموها مازاكان الجديدة .

بالجوهر ونفيس الاحجار مع أسياف مذهبة مطعمة بالياقوت الملون (I) فكافأه السلطان بمركب مجهز بالمدافع والمهاريس وآلات المراكب مع ثلاثين من الخبراء المختصين فى صناعة السفن وفن المدفعية

وقد صاهر الملك شريف مكة الامير سرور فزف اليه كريمته كما وجه توطيدا لصلاته مع الدول العربية هدايا لأمرأ طرابلس ومصر والشام ولم ينس شعوب الحرمين والحجاز واليمن والعراق

كما عمد السلطان الى تقوية علاقاته الودية مع دول اوربا (2) مثل الدنمارك التى التزمت بدفع اتاوة (3) للمغرب قدرها خمسة وعشرون مدفعا و6٠500 ريال والسويد التى تعهدت بتقديم 20٠000 ريال سنويا وقد تمت تصفية الشركة التجارية الدنماركية

وعرف السلطان كيف يركز سياسته الخارجية على متناقضات قوامها الجهاد لتحرير الثغور والاسرى وتطوير الاقتصاد وتنمية الموارد الوطنية بالاهتمام بالمبادلات التجارية مع اوربا التى عقد معها اتفاقات ومعاهدات مختلفة وقد اشاد المؤرخ والقانونى الفرنسى جاك كايى بالروح الدولية التى كانت تذكى السلطان لما كان يبديه احيانا من اراء سبق بها ماعرفته اوربا فى العصر الحاضر اذ لم ينس السلطان فى اتفاقاته البنود المتعلقة بالسلم والحرب والحصانات الدبلوماسية واعترف للأجانب بحق ممارسة الديانة المسيحية وحرية التجول والملاحة فى المياه المغربية بشروط دقيقة برهنت عن ادراكه العميق لمقومات القانون الدولى وعن مدى اسهام المغرب فى دعم التشريعات التى تعتبر اساسا للعلائق الدولية فى القرن العشرين .

وقد تبلورت هذه العلائق اما فى مجرد اتفاقات واما فى معاهدات

-
- (I) وفى سنة 200 هـ توجه السفير ابو القاسم الزيانى الى السلطان عبد الحميد باحمال من سبائك الذهب - الاستقصا ج 4 ص II7 -
- (2) نشر المؤرخ كايى Caillé كتابا ضمنه مجموعة المعاهدات والوثائق التى ابرمها سيدى محمد بن عبد الله مع دول اوربا
- (3) اضطرت كثير من الدول او الحواضر الى خطب ود المغرب والتعاقد معه اوداء جزية سنوية له مثل هامبورغ وبريم بالمانيا علاوة على الدنمارك والسويد

واقترحات وتصريحات ملكية ومواثيق وعقود الحاقية تنظم بموجبها دولة أجنبية الى معاهدة مبرمة بين المغرب ودولة ما) ومرسوم ملكي (يخول بعض الدول صلاحيات خاصة) وأمر السلطان (كالامر المتعلق بالتجارة الخارجية في ميناء طنجة) ورسائل ملكية (كالرسالة التي منحت هولندا حق احتكار التجارة في مرسى العرائش).

وهكذا نهج السلطان في الداخل والخارج سياسة موفقة تألف بها القلوب ووطد دعائم الدولة ولم يفته دعم النشاط الثقافي بتشجيع العلماء وبناء نحو 30 مدرسة بالحواضر والبادي وجلب المؤلفات من الشرق والاسهام شخصيا في حركة التأليف والتكوين العلمي فحفظ اشعار العرب مع صحاح الحديث وامهات الكتب تركيزا للملكة العلمية بدلا من الانكباب على المختصرات التي تحجر الفكر .

وكان من دعاة السلفية التي تستمد من الكتاب والسنة تلك الاشراف اللامعة التي تطبع الروح الاسلامية ببساطتها ونصاعتها اوصفائها .

الفصل الخامس

تورة العبيد وازمة ولاية المرشد

كان وجود العبيد الدخلاء بالمغرب نكبة كبرى ما فتئت ويلاتها تنهال على المملكة فتشير الفوضى وتبث الاضطراب وتعرض النظام السياسي لشئني المحن والاهوال وقد عاش المغرب فترات مشرقة منذ قيام الدولة العلوية في العهدين الاسماعيلي والمحمدي لان الملكين استطاعا قمع نزوات الزوج الذين كانوا ينهلون من الماء العكر ولا يعنيههم ما يدهم الدولة من اخطار بسبب دسائسهم وهكذا عرف المغرب سلسلة من الاحداث المزعجة نظرا لاستمرار تلاعب الاجانب بمصير الشعب فلم يكد يبزغ فجر سنة ١١٨٩هـ حتى تمرد العبيد ضد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبايعوا ابنه المولى يزيد وكان السلطان قد شعر بالالاعيب المبيتة للعرش من طرف العبيد فعمد الى القص من جناحهم بتفرقتهم في الاقاليم وامر بنقل الف عائلة زنجية من مكناس الى طنجة فاستعصت ووجه السلطان ولده لقمعها فاغرته بالبيعة وانساق في تيارها وكادت تودي بمقاليد الدولة لولا يقظة انصار الملك من قبائل العرب والبربر مثل الودايا وجروان وآيت ادراسن وقد هب السلطان من حضرته بمراكش للضرب على يد العبيد ففر ولده الى ضريح المولى ادريس بزرهون حيث انبرى الاشراف يستسمحونه فعفا عنه واستصحبه الى مكناسة واذعن العبيد فسامحهم بشرط الخروج من المدينة وواصل السلطان سياسته الهادفة الى تشتيت شملهم بتوزيعهم على الجهات

دفعوا لغائلتهم وتوهينا لعصبيتهم وهكذا اجليت فلول الى طنجة والعرائش والرباط ووزع بعض من كان منهم بهذه الحاضرة على سوس ومراكش وتجمع مع من بقي بالرباط المغربون من مكناسة ونقل بعض قادة الثورة الى المنصورية قرب فضالة بينما اقصى الباقون الى مراكش ولكن العبيد الذين رابطوا بالشغور لم يكفوا عن العيث فابتكر السلطان مسلكا جديدا لقطع دابرهم حيث راوهم فانتقلوا من طنجة والعرائش الى سوق اربعاء سفيان وصحبهم بجيوشه من قبائل الغرب وبنى حسن فاسترقوهم ووزعوهم شذر مذر وكانت هذه البادرة الملكية زاجرة للمشغبين الذين تابع السلطان تجزئتهم على القبائل ليدوبوا في غمار العرب والبربر .

وقد استمرت هذه الفتن سبع سنوات (1190 - 1196 هـ) ضعفت خلالها المحاصيل وانتشرت المجاعة فرتب السلطان في كل اقليم بالبادية وداخل كل حومة بالحواضر واجبات غذائية توزع على المعوزين كما اقرض القبائل مبالغ طائلة لانعاش الحرث والسائمة واسقط الجبايات وزود التجار بالمال لجلب الاقوات من اوربا .

وقد نهج السلطان سياسة التهجير حتى مع غير العبيد امثال اولاد ابي السباع وزمران وتكنة ومجاط وذوى بلال وآيت يمور وكطاية وكانت بين هؤلاء قبائل مناصرة مثل جروان التي نقلت من ازغار الى الاطلس وتوجه الامير الى تافيلالت لقمع عمه حسن بن اسماعيل ونقله الى مكناس وهناك مهد اطراف الصحراء قبل العودة الى مراكش من حيث عرج على الصويرة للاستجمام في قبته الرائعة المبطنة بالديباج والتي تعلوها تفاحة من الابريز وفي هذه الفترة بعث ولده المولى يزيد الى الحج لتنحيته عن الغرب وظهر هذا الفتى من الطيش والنزق خلال مقامه بالشرق ماحدا والده الى التبرؤ منه ومراسلة السلطان عبد الحميد العثماني وامراء العرب لطرده فمكث يتردد بين طرابلس ومكة نحو من اربع سنوات الى ان عاد عام 1203 هـ فالتجأ لضريح مولاى عبد السلام بن مشيش وحاول الوالد الحنون مراوغته فتملكه الجزع رغم برد العفو المتواليه وحدا الشوق السلطان وهو في مرض موته للرحلة بنفسه الى جبل العلم ولكنه توفي بالطريق قرب رباط الفتح (24 رجب 1204 هـ)

وكان المولى يزيد محبوبا في اول امره لفتوته واستقامته وبطولته مما دفع والده سيدى محمد بن عبد الله الى لحظه بعين الرعاية وترشيحه للخلافة ، واسند قيادة المدفعية (الطبجية) والبحرية اليه فصار يتجول في الثغور للسهر على مناعة ابراجها وكلفه بالشؤون الخارجية والاتصال بالقناصل المرابطين بالمراسى ولكن اندساس الاغمار في حاشيته سول له الانتزاء على ملك والده فتارجح بين زاوية ابي اسحاق وضريح ابي العباس السبتي بمراكش حيث تعقبه السلطان وانزله بفاس فشن حربا ضد اخيه المولى عين الرحمن وسط المدينة ولجأ الى زرهون مشيرا الفتن حيثما حل ولكن المجال انفسح امامه بفراغ العرش فبايعه الاشراف وهو بالحرم المشيشى وكذلك اهل جبل العلم ثم تطوان وتوالت عليه الوفود من مدن الشمال (طنجة والعرائش واصيلا) ومن فاس ومكنته حاشية والده بالعرائش من القباب والخيول والرياش التى كانت فى ملك السلطان الراحل فاجزل للكل العطاء ثم توجه الى زرهون حيث استقبل اخاه المولى سليمان الذى ورد مع ركب الصحراء للمبايعة واستقر السلطان بمكناس فتوالت بعثات المهنيين من الغرب والجنوب وانضم الى هذه الكتل حتى المتمردون من آيت او مالو وعلى رأسهم زعيمهم مهاوش وكادت الامة تلتف عن بكرة ابيها حول شخصه فعمد تأليفا لقلوب بعض عناصر الجيش الى الغاء قرارات والده التأديبية حيث نقل الودايا الى فاس بعد ان غربوا عنها ثلاثين سنة وسمح للعبيد المشغبين الذين كانوا موزعين على الثغور بالعودة الى مكناسة وبذلك مكن عناصر الفوضى من التكتل من جديد فى مراتبها بعد ان استأصل والده شأفتها .

مُحَارَبَةُ الْإِسْبَانِ

ولم يكد المولى يزيد يعتلى اريكة العرش وتنجلي امامه بوادر الوحدة الوطنية حتى اقام ست عشرة قلعة فى نقط استراتيجية جهز كل واحدة بعشرين مدفعا ثم فكر فى استئناف الجهاد ضد الاسبان الذين تفادوا محاربته ووجهوا سفيرهم فى طنجة لتهنئته بالملك فلم يحفل به ولا بهديته وامر باعتقال القناصل والرعايا الاسبان بالصويرة والعرائش واستولى الاسبان فى هذه الفترة على مركبين لقرصان

العرائش وكان السلطان يومئذ بها فهب لمحاصرة سبتة ولكن اسبانيا فاوضته
بإعادة السفينتين مقابل تسريح الاسرى المنقولين الى طنجة وكانت افواج
المتطوعين قد توافدت من الحواضر والبوادي برسم الجهاد وتحرير البلاد ولكن
انتقاض اهل الحوز بدعوى عدم تسويتهم في العطاء مع غيرهم - حدثه الى رفع
الحصار مؤقتا عن المدينة الشهيدة وكان اهل الرحامنة عنصروا فتنة تجلت
بوادرها السيئة ايام خلافة سيدي محمد بن عبدالله في مراكش ثم عاد للسعي في
اقامة لف جديد مع عبدة والحوز لبيعة المولى هشام وزحف مولاى يزيد على مراكش
فاحتلها وقتل ثوارها ثم اصطدم مع اخيه هشام الذى استجاش ضده قبائل دكالة
وعبدة فاصيب برصاصة مات اثرها بمراكش (جمادى الثانية عام 1206هـ) بعد
ان ملك سنتين .

مولاى سليمان (1206 - 1238 هـ)

وعند وفاة المولى يزيد انبرى ثلاثة امراء يطالبون بالعرش (I) المولى هشام
بالجنوب حيث شايعة والى اسفى وقائد دكالة (2) المولى مسلمة بالشمال حيث
كان خليفة فبايعه اهل جباله والهبط (3) والمولى سليمان بفاس .

وكان هذا الاخير احب اولاد سيدي محمد بن عبد الله اليه لاسيما بعد
ان غضب السلطان على ولده يزيد وذلك لمثاليته وانكبابه على دراسة العلم فى
سجلماسة حيث عاش بعيدا عن اسباب اللهو محاطا بثلة من العلماء والادباء
استقدمهم والده لتهذيبه من انحاء المملكة وقد التفت حوله عناصر المخزن من
عبيد واودايا وبربر انضم جميعهم الى اهل فاس واستقر الامير فى حضرة ملكه
بفاس الجديد فهبت قبائل بنى حسن والغرب لتهنئته مع سكان ثغور الهبط
الى مصب ابي رقرق .

واستغرق المولى سليمان خمس سنوات (1206 - 1211هـ) لاستئصال
خصومه لاسيما منهم مولاى مسلمة الذى كان له انصار فى رباط الفتح والذى
حاول اثاره ايت يمور فزحف اليه السلطان من فاس ثم تعقبه الى الحياينة فانهزم
وتخلى عنه اشياعه وطفق يتنقل من الجبل الى الريف الى بنى يزناس ثم ندر ومدة دون ان يجد
مجالا للاستقرار الى ان انحاز لتلمسان فازعجه عنها والى الجزائر الى سجنماسة

حيث رتب له السلطان منحة شهرية ورغم هذا البرور لم يطب له المقام فتوجه الى الشرق وبقي يتردد فيه الى ان عاد الى تافيلالت ومات بها .

وقد استقل المشغبون في بعض الاقاليم النائية فترة الاضطراب فعاتوا فسادا في طرق القوافل كما فعلت انكاد بالمغرب الشرقي مع ركب الحجيج رغم استنفار السلطان كتيبة تحت امرة ابي القاسم الزيانى لقمعها .

وقد بادر الامير باسناد القيادة لاختيه الطيب الذي زحف صوب الشاوية (1207هـ) حيث تضافرت قبائل دكالة وعبدية واحمر والشياطمة وحاجة وغيرها حول هشام فانهزم اول الامر لتخاذل قواده ولكن الرحامنة انقلبت ضد هذا الاخير بدعوى قتله عاملهم وبايعت اخاه مولاي الحسين الذي دخل مراكش (1209هـ) فلجأ هشام الى ضريح ابي العباس السبتي ثم فر الى اسفى وانقسم اهل الجنوب بين مناصر ومخاصم للامير الجديد الذي استولى على قصر الخلافة وامواله فتطاحنت قبائل عبدية واحمر ودكالة مع الرحامنة والحوز وانهك هذا العراك العنيف قوى الجانبين وامسك المولى سليمان عن التدخل مريثا الى ان مل اهل الجنوب هذه الفوضى العارمة فتسللوا اليه ارسالا يستعطفونه وهو معرض لرغبة في البدء باخضاع الشاوية التي هي مدخل الحوز وكان اهلها قد شعروا بسطوته الصامته فانصاعوا لصهر السلطان ومبعوثه المولى عبد الملك الذي استقر بأنفا حاضرة تامسنا واساء التدبير ثم دعا لنفسه وفسر الى الجنوب امام الكتائب السلطانية التي احتلت المرسى وعطلتها ونقلت تجارها الاجانب الى الرباط واضطر السلطان (1208هـ) الى اخماد ثورة الاخماس في غمارة بتولية اخيه الطيب على الشمال من تطوان الى العرائش فانقاد اهلها بعد عراك كان الظفر فيه للجيش الملكى .

واستكمل السلطان في دعة وهدوء وحدة الوطن باستسلام الشاوية والرحامنة ثم دكالة 1211هـ ودخوله منصورا الى مراكش حيث وفد المهنتون من سوس واسفى والصويرة وحاجة فاستخلف السلطان اخاه الطيب وعاد الى فاس عن طريق تادلة بعد ان اعتقل المشغبين من اهل زمور ووجه جيشا الى المغرب الشرقي لاسترجاع وجدة من يد الاتراك محررا بنى يرناسن والمهاية وبقيّة القبائل وكان الوباء قد تفشى بالجنوب (1212هـ) ومات من جرائه اربعة من اخوة

الملك (I) غير انه كان عابرا مالبثت البلاد ان استرجعت ازدهارها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب حيث تم تأمين سبل القوافل حتى فى الفيافي النائية بين سوس ودرعة (عام 1216هـ) لاسيما بعد قطع دابر الغلول المتمردة فى الاطلس الاوسط الريف (2) وتازة ووعدة والصحراء الى تيكراين وتوات 1218هـ وقد عقب ذلك حركات لجمع الجبايات .

وادی حیف الاتراك بالجزائر ومطاردتهم للطرق والزوايا (1220هـ) الى ميايعة تلمسان لملك المغرب الذى ابى الا الحفاظ على روابطه الطيبة مع الباي متدخلا للمصالحة بينه وبين التلمسانيين الذين فضل كثير منهم النزوح الى المغرب الزاهر الرغد .

الحرب بين قبائل البربر (1226هـ)

وفى بحبوحة هذه الطمانينة الشاملة شبت فتن بين بربر الاطلس الاوسط بسبب خلافات اقليمية فى ايت ادراسن وكروان ضد أيت او مالواهل جبل فازاز وكانت المعارك سجالا ينحاز خلالها هذا الفريق لذاك واضطر السلطان الى التدخل بعدما استنجدت به ادراسن لجعل حد لهذا التناحر الاخوى ولكن الوالغين فى الماء العكر استغلوا الفرصة لاثارة فتنة عارمة اجج اوارها الثائر مهاوش الذى عاثت عصاباتة فسادا وهاجمت السلطان بصفرو ولم تكن هذه الثورة منبعثة ضد شخص الملك ولكن ضد تمسكه بوال أجمع البربر على بغضه لسوء سيرته وهو محمد واعزيز ويظهر ان السياسة الملكية كانت مرنة فى هذا لان السلطان كان فى الغالب يعزل كل عامل تدمرت منه الرعية تحريا للعدل وهكذا اضطر الامير حسما لعوامل الفوضى فى الاطلس ان يعبى جيشا عرمرما من العرب والبربر زحف به ضد كروان بازرو حيث قرر التراجع فجأة الى ايت يوسى فتعقبه مهاوش واوقع بمؤخرة الجيش الملكى ثم انهزمت الكتائب السلطانية تاركة خيولها وحمتها من المطاردين كل من ايت يمور وايت ادراسن فاحق ذلك

(I) الطيب وهشام وحسين وعبد الرحمن (الاستقصا ج 4 ص 138 ويرى طيراس ان من جملة من مات مولاي مسلمة .
(2) حيث جمع جباة السلطان ضرائب ثلاث سنوات

الاعراب الفارين واشاعوا ان البربر كلهم سواء فى الثورة ضد السلطان وظهرت
عصابات ابي بكر مهاوش عنصرية حدثها الى محاربة كل من يتكلم بالعربية .

السياسة الخارجية

استغرق المولى سليمان على اريكة العرش نيفا وثلاثين سنة لم يشر خلالها
اي مشكل خارجى مع اوربا وقد عزز علاقاته الودية مع الاتراك ومع صاحب تونس
حمود باشا على الذى اوفد شيخ الاسلام سيدى ابراهيم الرياحى مبعوثا الى
السلطان يطلب امداد الايالة التونسية بالاغذية نظرا للمجاعة الطارئة فاسعفه
بذلك .

وقد عقد الامير مع الاسبان مهادنة كانت اكثر تسامحا من الاتفاقية المبرمة
بين اسبانيا وسيدى محمد بن عبد الله ولكن رغم هذه الروح الطيبة تحالفت
الدول الاوربية ضد السلطان بدعوى محاربة القرصنة المغربية وقضت على
القرصان فى تونس وطرابلس بينما انهزمت بالجزائر (I23Iهـ) وتعهد المولى
سليمان للوزير الثامن عشر باستئصال القرصنة وقد ضغط عليه نابليون
للاضمام الى ماكان يسمى اذ ذاك بكتلة الحصار البرى وهى الحركة التى هدف
بها الامبراطور الفرنسى عام 1806م الى اقفال جميع الموانئ فى وجه انجلترا وقد
هدد نابليون ملك المغرب فى رسائل شديدة اللهجة باكتساح افريقيا بمائتى
الف جندي ولكن المولى سليمان قابل ذلك بالرفض والبرود غير ان المؤامرات
الاوربية استفحلت وتمخضت فى نهاية الامر عن اجبار السلطان على التجرد من
اسطوله الذى كان يحتوى اذ ذاك على 47 قطعة مجهزة بمدافع وبستهة الاف من
البحارة المهرة (I) كما اضطر السلطان الى السماح بتصدير الحبوب الى اوربا بعد
ان حارب على ذلك قبائل الريف (I227هـ)

استفحال الفوضى وبوادى الازمة

وهكذا كانت الطمأنينة سائدة ولكن فلول المشغبين عكرت صفوها فانبرى
السلطان يمهّد بجيوشه انحاء المملكة لاستئصال شأفة عناصر الفوضى بالحوز

(I) كودار ص 156

السلطان بحفاوة واستخلف هذا عليهم المولى عبد الرحمن وزحف نحو تطوان لتهدئتها فوفد اليه اهلها وهو فى الطريق تائبين ولكن ماكاد السلطان يهدىء الشمال والغرب حتى تمرد عرب الشراردة بالحوز بدعوى نهب جنود الامير لزاويتهم وكانت الشراردة ميالة الى مهادنة الملك غير ان حاشية البلاط اوغرت صدر الامير فثارت الحرب وانهزم الجيش السلطاني ووقع الملك فى قبضة النوار ولكنهم اكرموه ورافقوه فى امان الى مراكش وشعر هو بدسائس الرحامنة والحاشية التى تمخضت عنها هذه الفتنة ومل مسؤولية الملك وابدى رغبته فى التنازل عن العرش لابن اخيه ثم اشتد مرضه من جراء توالى تعسفات المشغبين فامضى العهد للمولى عبد الرحمن وتوفى فى ثانى عيد المولد عام 1238 مبرهنا عن اخلاصه للعرش ومستقبله .

الآل السليمانية

وقد ظل المولى سليمان اثنتين وثلاثين سنة مثالا للفضيلة والحكمة والرفق وقد عمد الى تركيز نظام الدولة على دعائم شرعية فاسقط مكوس الابواب والاسواق (1) واكتفى بالزكوات واعشار المراسى المستخلصة من التجار الغربيين واليهود ويظهر ان التخفيف من الجبايات الاقتصادية ساعد على نمو النشاط الفلاحي فقوى الانتاج وتضخمت الماشية اذا اعتبرنا المظهر المادى لهذه النهضة الاقتصادية وهو النصاب الجبائي الموظف على المنتجين برسم الزكاة الشرعية الذى تزايد بثلاثة اضعافه .

وكانت له عناية زائدة بالعلم والعلماء حتى تنافس الشعب فى طلب العلم لما كان يحظى به اهله من نوال فياض وكان يضرب المثل الصالح بمعارفه الواسعة وبسياسة التقشف بمرتبه البسيط واجور كتابه الزهيدة وقد استطاع بمرونته ودعته ان يحقق توازنا موصولا بين العناصر المتنافرة فى المجتمع المغربى وان يحتفظ بعلاقته الطيبة مع الخارج رغم تحرشات الغربيين والواقع

(1) كانت هذه الجبايات مضروبة على السلع والغلل والجلود والتبغ اى عشبة الدخان وكانت تدر نحو نصف مليون مثقال اى ما يكفى لتسديد نفقات الجيش واللائحة المدنية السلطانية (الاستقصا ج 4 ص 16)

ان قيمة بعض ملوكنا لا يمكن ان تقاس بمقياسها الحقيقي الا اذا قورنت بسيرة ملوك معاصرين فى اقطار اخرى (I)

وكان ايفاد ولده ابراهيم الى الشرق فرصة جدد فيها روابط المغرب الوثيقة بالحجاز ومصر والشام والعراق حيث وزعت اموال طائلة برسم المساعدة الاجتماعية وقد صاحب الامير وفد من علماء المغرب ناظروا بعض زملائهم الوهابيين بالحرمين وكتب المولى سليمان رسالة نحا فيها منحى السلفية الصحيحة بالتحذير من الحياد عن المذهب السننى وعدم التغالى فى المراسم الصوفية .

وقد ازدانت حركته المعمارية ببناء مساجد ومدارس وقناطر واسوار ومد الطرق وتعزيز القلاع وتجديد القصور مما اضى على الفن رونقه التقليدى الاندلسى المغربى .

(I) وقد لاحظ الزيانى فى البستان هذه الحقيقة .

الفصل السادس

المغرب والإسبانيا الفرنسيين بالجزائر

لم يكن المولى عبد الرحمن بن هشام يقل عن عمه المولى سليمان نزاهة وفضلا ودراية ولذلك رشحه للعرش وهب المغرب عن بكرة ابيه لبيعته عام 1238هـ وكانت هذه البادرة من الملك الراحل مظهرا حيا لديمقراطية العرش المغربي باختيار الاصلح (I) وقد انصاعت القبائل البربرية الثائرة مثل ايت ادراسن وكروان بعد ان انضم الزعيم الزموري محمد الغازي (2) الى البلاط وحاول المولى عبد السلام بن المولى سليمان الانتفاض في مراكش لفائدة اخيه عبد الواحد المبايع في تافيلالت ولكنهما اضطرا للرضوخ امام التيار العام وكان اول عمل قام به الامير الجديد هو توسيع ضريح المولى ادريس الازهر مؤسس اول دولة عربية بالمغرب غير انه شفع هذه الميزة بجولة استطلاعية انتقل فيها من الشمال الى الجنوب للم شعث وتنظيم ماتبدد من قوى الامة غب الثورات المتلاحقة وقد بادر بالتوجه الى مراكش لعزل واليها المتعسف واقامة اخيه المامون مكانه ومرفى طريقه بمكناسة فوجد صناديق بيت المال فارغة والعبيد قد باعوا الخيل والسلاح فجهزهم

(I) ولو بتنحية الاولاد وقد كان لذاك صداه العميق في المغرب العربي حتى قال الشاعر التونسي الشيخ ابراهيم الرياحي في المولى عبد الرحمن :
لو لم يكن كفؤ لما أوصى به

وبنوه ترفل في ملابس مجده

(2) على اثر تسريح السلطان لشيخه مولاي العربي الدرقاوي سجين الودايا

والصحراء لم تكن لأحد

le désert n'appartient à personne

وجدة
أولاد بن زكري
ouled ben zekri

مدينة تلمسان

كديبات الزبوح
من جهة الشرق رعيته التروكي

أولاد علي بن طاعة

الطاعة

الواد المسمى

المداور

ذراع الدوم

Je tte dans le Tafna
بجانب تافنة

أصبردة

بني يزناس
لواد صغابنا صاحب كتيش

بقوة جديدة وكانوا فلولا قليلة قد انهكتها الدسائس والغارات بعد وقعة ظيان ثم اخضع ايت يبور لعيثهم في زرهون الغرب ثم قبائل الشاوية فدكالة حيث نصب ابن عمه محمد بن الطيب بعد ان ولى على فاس وكان قوى الشكيمة ذعرت القبائل لسطوته (وهو الذى جدد بناء منزغان على احدى الروايتين فسمها بالجديدة بدل البريجة والمهدومة ثم انتقل الى الصحراء لجباية الاعشار وبعد أن اخفق في مهمته بوجدة عين ادريس الجرارى عام 1243 واليا بالمغرب الشرقى الذى كان السلطان يوليه عناية خاصة لمناخمته لاتراك الجزائر كما ولى ابا زيان الاحلافى على عمالة تازة محاولا تنصيب الولاة والقواد من نفس الاقاليم ترضية للسكان .

وبعد تمهيد الحدود الشرقية واصل الامير حركته الاستطلاعية للتأكد من مناعة الثغور الساحلية فزار تطوان ثم مراسى المحيط الاطلنطيقى من طنجة الى آسفى غير ان انتقاض بعض القبائل كان يعرقل الخطط الملكية اذ لم يكد يصل الى ازموور حتى بلغته تعسفات الشراودة فى الحوز ضد اخيه المولى المامون عامل مراكش فاجلب عليهم بخيل العبيد والودايا وايت ادراسن وزموور وبني حسن وبني مالك وسفيان من العرب والبربر الذين اصبحوا يشكلون الجيش ودار العراك سبعة ايام استولى بعدها السلطان على زاوية الشراوى التى كانت رباطا للشوار (1244هـ) .

تمرد الودايا

وكان السلطان قد وجه بعوثا الى تلمسان من بينهم الودايا فعادوا مثقلين بالاسلاب والغنائم المنهوبة معتمزين التمرد مع العبيد ولكن هؤلاء خذلوهم بينما استمر كثير من الودايا فى غيهم فبايعوا محمد بن الطيب وكان المولى عبد الرحمن قد تحصن فى فاس البالى فهب لمحاصرة الودايا بفاس الجديد طوال اربعين يوما مواليا قذائفه من عين قادوس وباستيونات ابي الجنود وباب الجيسة وباب الفتوح فاستسلم الودايا (1247هـ) ونقلوا الى العرائش ثم جبل سلفات بعد ان تم محوهم من ديوان الجيش كما اجلى المغافرة الى مراكش واهل السوس الى الرباط وحوزه (المنصورية وقصبة تمارة) وكان السلطان يكتفى بالزحف الخفيف نظرا لحلمه الذى حدها مرارا الى العفو عن الثوار وكانت الاضطرابات من نوعين فهى تنتج اما رغبة فى خلق الفوضى للعبث والفساد كما وقع لعرب عامر باحواز

سلا وزعير باحواز الرباط (I265هـ) وزمور وتادلا (I269هـ) واما تنافس بعض القبائل فتمتخص عن اصطدامات جهوية وتضطر السلطان الى التدخل لجسم عناصر الفتنة ، فقد انقسم مثلا برابرة الواحات الصحراوية فريقين (I271هـ) فشب العراك بين ايت عطة القوية وايت يفلمال التي انهزمت رغم تشجيع الاشراف المحليين لها وانبرى ابراهيم يسمور داعيا باسم السلطان فوقع بالعطاويين (I) وكان يشعر ان الانحياش الى البلاط يكسبه قوة معنوية ولكن نشوة الظفر دفعته الى الانتقاض على الامير الذي كان قد ولاء على تافيلالت فتوجه بعث عسكري لقمعه غير انه اغتيل من طرف احد اقربائه .

السياسة الخارجية

وكان اساس الروابط الدبلوماسية مع اوربا ضمان حرية التجارة او حل المشاكل القرصنية ، فقد امضى السلطان معاهدة مع سردينية لهذه الغاية واضطر للتدخل شخصيا في حادث العرائش مع المراكب النمسوية التي سيقط عام I245هـ الى الرباط والعرائش من طرف قرصان العدوتين لعدم توفرها على الجواز الضروري لمخرج باب المياه المغربية فقبل النمسيون المدينة ونزلوا الى البر وشعلوا النار في المراكب ولكن رد فعل الجماهير كان عنيفا فقتلوا كثيرا من المغيرين وفر الباقيون وقد شعر السلطان بضعف جانبه في الحقل الملاحي قاصدا الامر بالكف عن الجهاد في البحر لاسيما بعد استعانة الفرنسيين بالانجليز تمهيدا لاحتلال الجزائر على تقنين الحركة الاسطولية غيران تضامن المغرب مع الايالة المجاورة حذاه الى خوض معركة قاسية رغم قلة الوسائل (2) كانت انجلترا تحاول في غضون ذلك تركيز نفوذها بالمغرب لاسيما في الحقل الاقتصادي وقد تدخلت بين المغرب والنمسة فرافق سفيرها الوفد النمسي الى بلاط مكناسة (I246هـ) وابرمت في طنجة عام I273هـ بين البلدين معاهدة تشتمل على ستة وثلاثين بندا خمسة عشر منها في توطيد العلاقات التجارية وتحديد

(I) ابراهيم كان زعيما لايت يفلمال لا ايت عطة خلافا لما أثبه طيراس (التاريخ ج 4 ص 318)

(2) في عام I268 هـ قبل الفرنسيون سلا بدعوى نهب مركبين فرنسيين وكانت القطع ستا مجهزة بازيد من ستين مدفعا فرت كلها في ظلام الليل (الاستقصا ج 4 ص 202) .

الاعشار الجمركية والباقي لتأمين رعايا الدولتين في كل من البلدين مما ساعد على نمو المبادلات المغربية مع انجلترا التي اصبحت تعمل طوال نصف قرن على مساعدة المغرب في الدفاع عن كيانه .

وبدأت خطة فرنسا تتجلى تدريجيا خلال هذه الفترة وكانت تهدف الى وضع اسس الاستيلاء على مجموع افريقيا الشمالية فقد قلصت الاسطول الوطنى واجبرت المغرب بعد معركة ايسلى على التنازل عما كان يتقاضاه من تعويضات من دول اوربية مثل السويد والدنمارك وها مبورغ وبريم واثارت ضد المغرب حربا شعواء لمساندته للزعيم الجزائري عبد القادر بن محى الدين واستمر العراك العنيف ست عشرة سنة .

حَرْبُ الْجَزَائِر

استقرت فرنسا فى عاصمة الجزائر آخر محرم 1246هـ (5 يوليو 1830) فبدأ انهيار الحكم التركى ولم تتجاوز الفياق الفرنسية اول الامر السواحل فاجمع اهل تلمسان على مبايعة المولى عبد الرحمن ووجهوا له وفدا بذلك فتردد ونصحه معظم علماء فاس بعدم القبول لارتباط الجزائر بالخلافة العثمانية ولكن التلمسانيين الحوا فقبل السلطان بيعتهم ورشح ابن عمه عليا ابن سليمان لولاية تلمسان فجهز فيالق من الخيالة والرماة والمدافع والمهاريس فانحرف الكرغلية الاتراك مع قبيلتى الدوائر والزماله ولكنهم انهزموا وطاف عامل وجدة لاستكمال البيعة وظل كثير من العرب مخلصين للاتراك بينما انضم البعض الى الفرنسيين بوهران واشتد الخلاف بين القواد والعسكريين الذين انتهبوا امتعة الكرغلية وانصارهم فاستدعى السلطان الجيش .

ويظهر ان الجند الملكى توغل فى الجزائر اذ وصل الى مليانة والمدينة مما حدا بالدوق دور فينكو *Le Duc de Rovigo* خليفة المريشال كلوزيل الفرنسى الى الاحتجاج لدى السلطان وكان الفرنسيون قد حاولوا السيطرة على الايالة الجزائرية بعد تنحية الاتراك وذلك بواسطة صنائع من الدايات فى المدينة وقسطنطينة ووهران ثم مد الفرنسيون شبكة نفوذهم فى السواحل بعنابة وبجاية ومستغانم فانبرى قادة وطنيون ضد المغير مثل الباي احمد فى قسطنطينة وعبد القادر بن محى الدين

فى ناحية معسكر وقد زحف هذا الاخير على وهران فاوقع بالفرنسيين معززا
ببنى عامر الذين التفوا حوله وتناقل نبأ انتصاره الى اهل تلمسان فانضموا اليه
واظهر الامير انقياده للسلطان المولى عبد الرحمن خاطبا به على المناير فامده هذا
بالخييل والعتاد ودارت معارك طاحنة بين الامير الجزائرى والجيش الفرنسى
كان الانتصار سجالا حول تلمسان وواصل المغيرون زحفهم فاحتلوا اقليم
قسنطينة ووطدوا الجيش الافريقى على يد الوالى العام بوجو Bugeaud الذى شكل فرقا
متنقلة انهكت القبائل بغاراتها ولم تكد تبزغ سنة 1275 هـ حتى تم استيلاء فرنسا
على مجموع الايالة فصار الامير يتنقل فى اطراف الصحراء الى ان اضطر الى
الانحياش للتراب المغربى بوجدة والريف وقد وجد استجابة من الشعب المغربى
وملكه للمشاركة الفعالة فى الجهاد ضد المغير وتعللت فرنسا بهذه الامدادات
فشنت غارات متوالية على عمالة وجدة وعاثت فى الحدود فهاجم الجيش السلطانى
كتيبة استطلاعية فرنسية ولكن بوجو حاول التفاوض مع قائد وجدة رعيما
لانجلترا مقتصرا على المطالبة بطرد الامير عبد القادر وضبط الحدود المغربية
الجزائرية فى تفنة فقابل السلطان ذلك بالرفض وبادر بوجو بالدخول الى وجدة
فانبرت كتيبة بامرة ابن عم السلطان المولى المامون واجلت الفرنسيين فارتدوا
نحو مغنية واستنفر السلطان جيشا بقيادة ولده المولى محمد وكان الاسطول
الفرنسى قد نقل الرايا الفرنسيين المرابطين بالثغور وطفق يقنبل طنجة
والصويرة ثم تقدم بوجو فاصطدم بالجيش قرب وادى ايسلى صباح منتصف
شعبان عام 1260 هـ (13 غشت 1844) فالتحم الفريقان (I) وكان السلطان قد غير
سحنته فى المعمة فحسب الجند انه هلك وماج الناس وعمد بعضهم الى خباء
السلطان فانتهبوه وتناحروا على الاسلاب وفر الكثير فاستشعر السلطان بالهول
بعد ان تشتت الجيش الذى منى بهزيمة منكرة بعد بضع ساعات بسبب سوء
القيادة ورداءة التنظيم وقلة الضباط والجنود المحترفين وانانية الانتهازيين فراجع
السلطان الى تازة وعمد الى جمع شتاته لان انهزامه فى معركة لم يفل من عزمه
ويظهر ان انجلترا ضغطت على فرنسا فلم تستغل انتصارها لاقتطاع جزء
من المغرب ولكن السلطان اضطر الى امضاء معاهدة طنجة فى نفس السنة (1260 هـ)

(I) ما بين 30.000 و 40.000 من المغاربة وأحد عشر ألفا من الفرنسيين

مجهزين بالعتاد ومعرزين بحرا بالاسطول .

او 10 شتنبر 1844) نفذت بمقتضى معاهدة لالة مغنية (18 شتنبر 1845) فالتزم السلطان باجلاء الامير عبد القادر وتقررت الحدود المغربية الجزائرية (I) في خط يمتد من البحر الى ثنية ساسى الى الاطلس الصحراوى .

محميد الامير عبد القادر

وتحدث مصادر مغربية عن طموح الامير عبد القادر بعد هزيمة ايسلى الى احتلال المغرب ومكاتبة فاس وزحفه الى القعدة الحمراء بين التسول والبرانس ولعل الامير انما اراد ان يتخذ من المغرب الشرقى قاعدة لعملياته العسكرية ولكن حركته اتسمت بشكل احتلال مما اضطر السلطان الى بعث ولده محمد على رأس جيش قوى لصد هذه الغارة فهب وزير الامير للاعراب باسم الزعيم الجزائرى عن ولائه للعرش المغربى ودحض ما اذيع من ادعاءات ومما يؤيد اندساس عناصر مشيرة :لاستغلال سوء التفاهم بين الجانبين انه فى نفس الوقت الذى وجه الامير وفدا الى المولى عبد الرحمن بفاس لتقديم مراسيم الطاعة عمد الى مهاجمة الجيش المغربى فتاججت معركة عنيفة فر أثناءها عبد القادر الى مشرع الرحائل من مصيب وادى ملوية وتعقبه محمد بن عبد الرحمن الى الحدود حيث اضطر الامير بعد ان انسدت فى وجهه مصاريع الصحراء الى الاستسلام للجيش الفرنسى (عام 1263- 1847) .



ومرت ثلاث عشرة سنة استغرقها السلطان فى تهدئة البلاد ودعم الثغور وكان آخر ماكلل به هذا التجهيز العسكرى ان استقدم من انجلترا مركبا مثقلا بالعتاد الحربى ثم توفى بمكناسة فى 29 محرم 1276 هـ .

وقد ملك هذا الامير المغرب فى فترة عصيبة من تاريخه عرف بحزمه وحكمته كيف ينقذ خلالها الوطن المهدد من كوارث خطيرة كما استطاع بورعه

(I) كانت الحدود فى عهد الاتراك مغايرة كما يتبين ذلك من خريطة وضعت عام 1256 بامر من مصطفى ابن اسماعيل الجزائرى الذى تزعم قبائل الزمالة والدوائر ووالى الفرنسيين وملكهم البلاد .

وحلمه ان يكفل استمرار الهدوء النسبي ووحدة البلاد رغم تضافر عناصر
القوضى وتسرب الدخلاء .

وقد تقلص الخلل الاقتصادى بفتح ديوانات فى المراسى اغنت عن احتكار
التجارة الخارجية واقيم امناء لمراقبة المداخل الجمركية واصبح المغرب يصدر
الى اوربا فائض منتجاته حيث وجه عام 1260 عن طريق ميناء الصويرة وحدها
خمسة وسبعين الف طن من القمح والقطنى وبلغت قيمة رواج هذا المرفأ
التجارى عام 1267 هـ ستة ملايين فرنك .

وفى اواخر عهد المولى عبد الرحمن ازدهرت الصناعة التقليدية وكانت سلا
والرباط تحتلان الصف الاول بعد فاس ومراكش من حيث ضخامة الانتاج (1)
وقد توفر المغرب حسب الاحصائيات الصادرة فى السنة التى توفى فيها المولى
عبد الرحمن على ثمانية واربعين مليون رأس من الغنم وستة ملايين من البقر (2)
وهذه ثروة اقتصادية لا بأس بها اذا اعتبرنا ان المغرب اجتاز فى هذا العصر
فترة سياسية عصيبة .

(1) انتجت مصانع العدوتين فى عام واحد 840 زربية صدر ثلثها الى الخارج
و63.000 حايك و 460.800 منديل والاف المياتر من المنسوجات وكان فى
مصعب ابى رقرق 150 معملا للاحذية و 40 دارا للدباغة وعشرة مراكز للصباغة
وثلاث دور لضرب السكة تقوم بتدوير تسعة قناطر من المادة الاولى يوميا (مظاهر
الحضارة للمؤلف ج2 ص30) .

(2) كتاب « قضية المغرب » للسيد لامارتنير الصادر فى نفس السنة اى عام
1859م وقد اكده المؤرخ كودار (ص 188) ان هذه الثورة بلغت حينذاك 40 مليون
راس غنم وما بين 10 و 12 مليون معز و 6 ملايين راس بقر و 5 ملايين من الجمال
والافراس والحمير والبغال .

الفصل السابع

محدث الرابع

عين السلطان سيدي عبد الرحمن بن هاشم ولده المولى محمد وليا للعهد كما استخلفه فى حياته وفوض اليه قيادة الجيش ينوب حيشما غاب الملك فاذا كان والده بمراكش استقر هو بفاس اومكناسة او العكس وقد صادف حسن الاختيار نظرا لما اتسم به الامير الفتى منذ صباه من اتقاد واستقامة ودراية وكان سيدي محمد بمراكش عندما مرض والده بمكناسة فهب لعيادته وبلغه نعيه وهو على مرحلتين من الحمراء فبايعه الشعب بفاس ومكناس ثم مراكش .

والتف المغرب حول ملكه الجديد ولم يكدر صفو هذا الاجماع سوى المولى عبد الرحمن بن سليمان الذى زحف نحو فاس مع طائفة من العبيد والبربر فاضطر امام انتفاضة شراكة الى الفرار والقبوع خاملا بزاوية العياشى .

وكان هدوء نسبي يسود المغرب وتضخمت المبادلات التجارية مع اوربا فاسفرت عن ارتفاع ثمن العيش وانخفاض قيمة العملة (I) التى عجزت عن منافسة

(I) ظهرت هذه البادرة منذ سنة 1261هـ حسب صاحب الاستقصا (ج4ص198) الذى اكد ارتفاع الاسعار على اثر انعقاد الصلح مع فرنسا والغاء الجزيات التى كانت تؤديها دول اوربية الى المغرب وتهافت السلع على المراسى بسبب تنازل الدولة عن احتكار التجارة الخارجية .

العملة الاوربية حيث غمرت المراكز التجارية بالشغور وراجت المضاربات النقدية بين المغرب واوروبا .

وقد شعرت الامة بالخطر الذى يهدد الكيان الاقتصادى القومى من جراء حرية التجارة الخارجية وانطلاق التنافس بدون مراقبة ولا حماية للمقومات الوطنية فنشأ عن هذا الخلل تبرم عام ضد الاجنبى لاسيما وان الاسبان بدأوا آنذاك يبذرون نواة لتوسيع شبكة نفوذهم فى الشمال فاحتلوا الجزر الجعفرية واقاموا الابنية فى الحدود بين سبتة والانجرة بدل الاكواخ الخشبية فهدمها الجمهور الذى واصل غاراته على سبتة واهان الراية الاسبانية وقد تدخل ممثل اسبانيا بطنجة فطالب نائب السلطان محمد الخطيب بتسليم اثنى عشر رجلا من الانجريين وتدخل الانجليز لاقتناع الخطيب بتسليم هؤلاء ضامنا عدم وقوع اى مكروه لهم فثارت ثائرة اهل انجرة ووسطوا الشريف مولاي عبد السلام الوزانى لدى السلطان وكان المولى عبد الرحمن قد توفى فى غضون ذلك فقرر السلطان بعد استشارة حاشيته اشهار الحرب على اسبانيا لارغبة فى الجهاد ولكن تحاشيا لتسليم رعاياه الى الخصم .

عَرَبُ تَطَوَان

وقد ابرق السلطان الى الشغور للتاهب للجهاد وامدها بالمال والعتاد ووجه طلائع الى ارباض تطوان قبالة سبتة لا يتجاوز عددهم ستمائة وانضاف اليهم من انجرة والقبائل المجاورة واطراف البلاد نحو خمسة الاف واجهت خمسين الف جندي اسباني (I) تحت قيادة الجنرال اودونيل وبريم واستمر العراك نصف شهر بين زحف هؤلاء فى صفوف متراسة وكر اولئك وفرهم على عادة العرب ثم عزز السلطان هذه القوة باخيه المولى العباس على رأس خمسمائة فارس وبعد خمسة وعشرين يوما كلها مناوشات قام الاسبان بهجوم عنيف صمدت له الكتائب المغربية ولكن الجيش الاسبانى الذى كان معززا بالاسطول زحف عن طريق الساحل الى الفنيدق فتقهقر المولى العباس فى غير ترتيب ولا انضباط

(I) عشرون الفا حسب صاحب الاستقصا (ج 4 ص 214) ثم عززت بنحو خمسين الفا اخرى (ص 218)

الى مجاز الحجر يغير بدون نظام ولا دراية عسكرية ولم يعرف كيف يستغل الزوابع والامطار التي هطلت فى هذه الفترة فتشجع الخصم واتجه نحو تطوان وكان وفد من التطوانيين قد ورد على السلطان بمكناسة لاستنجادة ضد الخطر الداهم فوعدهم بالمدد القوى ولكن الامدادات التي كانت تترى على الاسبان من سبته برا ومن الاسطول بحرا فسمحت امامهم مجال احتلال برج مرتيل ثم الاغارة على تطوان بفرقتين مسلحتين بالمدافع وقد صمد التطوانيون امام هذه الهجمات الشديدة وعززهم السلطان بكتائب جديدة بامرة اخيه المولى احمد ولكن الجيش الاسباني كاد يحدق فى زحفه الموصول بالجيش السلطاني فانجلى العباس الى مؤخرة المدينة مارا بوسطها حيث استاذنه الناس فى التحصن بالجبل واستغل الانتهازيون من رعا القبايل المجاورة هذا الاضطراب فامتدت ايديهم فى النهب والتفاحر على الاسلاب الباردة فاضطر اهل تطوان امام هذا الخلل الصارخ الى فتح ابواب المدينة فى وجه الجنرال الاسباني الذى دخلها يوم الاثنين 13 رجب 1276هـ (5 يبرابر 1860م) حيث عاث فسادا واحال مساجد الى كنائس ثم دارث محادثات بين اودنيل والعباس لاقرار الصلح فرفض السلطان الشروط الاسبانية واغارت الجماهير على معسكر العدو ونكلت بجنوده فى ليلة حالكة وتصدى الجيش الاسباني لقمع الكتائب المغربية فصادف فى بوصفيحة عرب الحياينة الذين هبوا مع مات المتطوعين لايقاف زحف الاسبان وفتوا فى اعضادهم وامعنوا فى تقتيلهم ولكن الخصم ظل يواصل سيره لانوقفه هذه الصدمات العابرة التى لم تكن سوى انتفاضات غير منظمة للذب عن حوزة الوطن المهدد وكانت الجماهير تستميت فى الدفاع ولكن بدون جدوى لعدم انضباط القوات المناضلة التى كانت عناصر منها تنسل اذا حمى الوطيس وتجدد التفاوض بين الطرفين للصلح بعد ان تدخلت انجلترا التى خشيت زحف الاسبان على طنجة وابرمت المعاهدة فى اواخر شعبان عام 1276هـ شريطة ان يدفع المغرب عشرين مليون ريال وتتسع منطقة نفوذ الاسبان بسبته وظل الاسبان محتلين لتطوان مدة سنة ادى السلطان خلالها نصف الغرامة واقيم مندوبون اسبان فى المراسى لاقتضاء الباقي من موارد الديوانة فتم الجلاء عن تطوان (فى ثانى ذى القعدة سنة 1278 - مايه 1862م) بعد احتلال استمر ازيد من سبعة وعشرين شهرا .

وقد كانت هذه الهزيمة الشنعاء فاتحة التدخل الاسباني فى الشمال وعاملا حدا السلطان الى التفكير بجدد فى ترتيب النظام العسكرى على اسس

جديدة عززها مولاي الحسن بعد ذلك بتنظيم طريقة تبعا للمقتضيات المستحدثة
فقد كان جيش المشاة الذي استتمت في حرب تطوان غير نظامي فاصبح لكل
قبيلة طابور يبلغ عدد رجاله ثلاثة الاف او اقل حسب اهمية القبيلة اذ كانت
كل عائلة تسهم بفرد من اعضائها وربما تضخم الطابور في القبائل الكبرى فاصبح
عبارة عن ءالاى اوفيلق اما معدل الطابور العادى فهو خمسمائة جندي بامرة قائد
الرحى الذي كان له مساعد اشبه بالليوتنان كولونيل وكل رحى تنقسم الى سرايا
من مائة رجل يشرف عليها قائد المائة الذي شبهه البعض بالقبطان والمائة
تتوزع بدورها الى جماعات يتركب كل لفيف منها من اثني عشر جنديا على راسهم
مقدم او نقيب عسكري (سوزوفيسيى) ولم يمنع ذلك من الاستعانة بالمتطوعين
عند الحاجة اما في الحواضر فقد اتسم الطابور بميزة خاصة اذ كان رجاله
يناهزون الالف والخيالة الذين بلغوا احيانا عشرة الاف كانوا موزعين ايضا
الى طوابير هي عبارة عن كوكبات تتركب من ستمائة فارس وكتائب الخيالة هذه
لاتدخل في العمليات الحربية الا عند الاقتضاء في حين ان الرجالة كانوا دوما
على ساق لمواجهة الطوارىء ولم تكن كتيبة الفرسان تعدو في فترات الهدوء
خيالة الدرك او الحرس الموزعين على مختلف المراكز العسكرية (400 فارس في
كل قلعة من الاثنتين وتسعين قلعة المؤسسة في عهدى المولى اسماعيل والمولى
يزيد) وقد عززت المدفعية (الطبيجية) باعتدة قوية من مهاريس ومدافع ومجانيق
وقذائف مختلفة .

السياسة الخارجية

وقد اضطر السلطان الى طبع سياسة الدولة الخارجية بطابع جديد
استجابة للوازم العصر فاتخذ من طنجة عاصمة دبلوماسية استقر بها مندوبو
الدول الاوربية وكان المشرف على الدبلوماسية المغربية هو وزير البحر الذي كان
باشا طنجة يقوم بصلة الوصل بينه وبين السفراء الاوربيين عدا القضايا الهامة
التي كانت تقتضى انتقال البعثة الدبلوماسية الاجنبية الى فاس وقد بدأ المغرب
يشعر بضغط انجلترا التي كانت تقف احيانا في صف البلاط فتشجعه على
الصمود في مواقفه اللهم الا اذا تواطأت النيابات الاوربية بطنجة .
وكانت علائق المغرب ودية مع انجلترا الا ان استفحال الحمايات حدا يهود

المغرب الى طلب وساطة التاجر اليهودى البريطانى روتشيلد لدى السلطان من اجل ضمان حريتهم فأصدر الامير تطييبا لخاطر الانجليز ظهيرا عام 1280هـ لم يزد فى الواقع على ماكان اليهود يتمتعون به قانونيا بمقتضى نصوص الشريعة الاسلامية فى خصوص الذميين ولكنهم تناولوا لاسيما فى المراسى فنشروا السلطان مرسوما جديدا هدد فيه المشغبين واكد كفالته للرعايا المخلصين من اليهود وفى هذه السنة امضيت اتفاقية مغربية فرنسية لتنظيم حق الحماية والسماح لكل دار تجارية فرنسية ولكل فرع من فروعها باتخاذ موظفين مغربيين على ان العملة المغاربة الذين يستخدمهم الفرنسيون لم يعد من حق العدالة متابعتهم قبيل اعلام السلطة القنصلية وبذلك انفتح مجال خطير للتدخل اليومى فى شؤون الدولة المغربية وقد توجهت عام 1282هـ بعثة مغربية الى باريس مؤلفة من قائد الجيش محمد بن عبد الكريم الشرقى وعامل سلا محمد ابن سعيد فحظيت بحسن الاستقبال وقد شارك المغرب فى معرض باريس الدولى عام 1284هـ (1867م) الذى نظمه نابليون الثالث بالمنتجات المغربية من سروج ومناطق وقطائف وانواع الزليج وسائر المصنوعات التقليدية مع فوج من الخبراء والصناع فى مختلف الحرف

وقد ظل الفكر العام مع ذلك حذرا من تطور هذه العلائق مع اوربا لان اعتداء اسبانيا على التراب المغربى وقبلها فرنسا فى قضية الجزائر اذكت حماس الجماهير ضد الوجود الاجنبى بالمغرب لاسيما وان نمو المبادلات التجارية ادى الى تضخم الاسعار والى ازمة مالية (I)

السياسة الداخلية

وقد اهتم سيدي محمد بن عبد الرحمن منذ كان خليفة لوالده بمراكش بالاصلاح الفلاحى فحقق منجزات فى الري واصبحت اراضى الرحامنة فى الجنوب حدائق مخضرة وجنانا مزهرة وقد استدعى الامير الشاب قبل وفاة

(I) هذه الازمة المالية توازت مع ادخال تعديل جديد على قيمة العملة المغربية عام 1285هـ واتخاذ مقياس للمعاملات هو المثقال وثمانه عشرة دراهم بالوزن الشرعى لهذا النقد على اساس ماكان تقرر عام 1180هـ اول الدولة العلوية (الاستقصا ج 4 ص 231)

والله بسبع سنين خبيراً فرنسياً (I) الى مراكش وكلفه بجلب الات فلاحية وادوات علمية فوصلت بالفعل الى دراسة يجريها اربعة افراس اشرف الامير بنفسه على تركيب اجهزتها وقد اسهم الامير في طبع الحضارة المغربية بميسم جديد حيث جلب ادوات علمية مستحدثة من ساعات فلكية ومجاهر وكان مظهراً حياً للاناقة يلبس القفاز والجوارب والزي الاوربي كما كان ملماً باللغة الفرنسية وقد ارتأى قبل معركة ليسلي ضرورة محاربة فرنسا بسلاحها واستخدم احدث الطرق في المناورات العسكرية والعتاد الحربي فاسس فيلقين من ثلاثة الاف جندي نظامي بقيادة ضباط حاربوا مع عبد القادر في حرب الجزائر وقد اتصل بعلماء بلجيكيين واسس مرصد فلكية بمراكش وفاس وكانت حاشية الملك منكبة على دراسة العلوم الرياضية وقد اضى اهتمام الامير بالفلاحة والعلوم على البلاد طابعاً علمياً اكثر منه حربياً رغم الظروف القاسية التي عاشها المغرب اذ ذاك على ان الاسبقية اعطيت للاصلاح الزراعي بتجديد حفر القنوات ونقب الابار على الطريقة العصرية والتفكير في تاسيس مصانع منها مصنع الجوخ (نوع من النسيج الصوفي) وكان القطن يغرس بالمغرب في النواحي التي لاتعلو كثيراً عن سطح البحر وحول المدن الكبرى وقد شجعت انجلترا رعاياها القاطنين بالمغرب عام 1864م (2) على زرع القطن في ناحية الجديدة فانتجت دكالة وحدها عام 1865م نحو اربعمائة قنطار قيمتها مائة الف فرنك ذهبي اي ازيد من عشرين مليون فرنك تقريباً بالصرف الحالي وهو مبلغ مهم اذا قيس بمجموع الصادرات التي بلغت قيمتها اثنين وعشرين مليوناً اي ازيد من اربعة ملايين فرنك وكان هذا القطن نوعين معروفين في اوربا «سى ايسلاندا» لهما سدى

(I) هو القنصل لوكونط دووسكواط الذي حدثنا عن دقة دراية الامير وحصافة فكره والمأمة بمعطيات السياسة الاوربية وقيامه بتعريب بعض الكتب العلمية مثل كتب نيوتن في علم الفلك على يد ترجمان انجليزى من مالطة اعتنق الاسلام وقد اكد ذلك عام 1871م وزير فرنسا بطنجة م . طيسو .

وحتى بعد ان اعتلى الامير اريكة العرش ظل منكباً على دراسة العلوم لاسيما ما يتصل منها بالفنون العسكرية حتى قال كل من فرانسوا شارل رو وكذلك كاييى بان هذا الملك اخترع مدفعاً

(2) حسب تقرير كتبه نأيب القنصل الفرنسي بالدار البيضاء تيودور جيلبير (راجع للمثورة الاقتصادية الاجتماعية المغربية 51)

حريرى طويل من الطراز الامريكى الذى تقبل عليه اوربا وكانت مصانع محلية تنقى القطن الخام بواسطة الآلات .

وقد اهتم الامير كذلك بزراعة قصب السكر وحاول استقدام اختصاصيين مصريين لتصفية هذه المادة فى مصنع اكداى بمراكش (I)

ولو لم تستعر الحروب مع فرنسا واسبانيا لانبثق عن عهد محمد الرابع ازدهار كان من شأنه ان يغير اتجاه المغرب الحضارى ومكانته الدولية وحتى الثورات الداخلية كانت لها صلة بهذه الحروب فالجيلالى الروكى قد ثار خلال الاصطدام باسبانيا وهو من عرب سفيان بالغرب (ناحية كورت) وتقدمت الاوباش المنظمة اليه بالعصى والمقاليع فقتلت القائد عبدالكريم الحارثى وجماعة من ذويه ونهبت دورهم وقد افتتنت العامة بهذا الثائر لما كان يختلقه من خوارق ويضمنه لها من حصانات فى العراق فوجه السلطان اخاه المولى الرشيد وقمع الثورة بسهولة ونقل الاسرى الى الرباط ولجأ الروكى الى الحرم الادريسى بزرهون حيث قتله شريف علوى بعد ان احتز رأسه ويديه وعلقت بجامع الفنا بمراكش زجرا للمشغبين . وخلال اشتغال السلطان بمحاربة الاسبان كذلك ثار عرب الرحامنة بالحوز فانتهبوا سوق الخميس بمراكش وجردوا الجنان والحقول واغتصبوا المحاصيل وسلبوا القوافل وقطعوا الطرق وحاصروا المدينة ولم يكد السلطان ينفذ يده من حرب تطوان وقمع الروكى حتى هب للايقاع بالرحامنة فسيقوا مكبلين الى سجون الحمراء وحملت رؤوس قادة الثورة على اسنة الرماح الى الساحات العمومية بفاس عام 1278هـ) .

وبهذه الانتفاضات الزجرية عم الهدوء وانتشر الامن والرخاء رغم ما عاناه الشعب فى البداية ورخصت الاسعار وارتفع مستوى الحياة وتباهى الناس فى اقتناء الدورية والعقار والمراكب الفارحة والكسى الرفيعة لاوذخائر النفيسة (2)

(I) الاتحاف لابن زيدان (ج 3 ص 556)

(2) الاستقصا (ج 4 ص 233) حيث اكده الناصرى ان الناس « تأنقوا فى البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع لاسيما بفاس ورباط الفتح ولاحت على الناس سمة الحضارة الاعجمية وكان للسلطان سيدى محمد فى كل بلد عيون يكتبون له بما يقع من الولاة فمن دونهم فكانت الرعية كأنها فى كف يده » .

الفصل الثامن

الحسن الأول

لما توفي محمد الرابع خلفه ولى عهده الحسن الاول الذى برهن عن شهامة وفضل واتزان عندما كان خليفة لوالده . وقد وافاه النعى وهو بحاجة فبايعه الناس فى مراكش (رجب 1290هـ) ثم توالى الوفود من جميع الاصقاع فاجزل عليها نواله وجهاز جيشه وهب فى اول رمضان للقيام برحلة عبر المغرب لتوطيد الامن مارا بطريق السراغنة حيث بلغه تمرد ازمور ثم انتقاض فاس لمطالبة رجال الحرف وفى مقدمتهم الدباغون باسقاط المكس فتكفل العلماء والاعيان بذلك جمعا لكلمة الناس على المبايعة فانعقدت ولكن الجبايات استمرت فى الاسواق والابواب فثارت الجماهير وتنصل الفاسيون من المسؤولية فى رسالة وصلت الى السلطان وهو بتامسنا فواصل سيره نحو الرباط حيث استقبل وفود المغرب فى تهنىء العيد فى ضمنهم اهل ازمور الذين اقتص من مشغبيهم وهنالك قام المولى عبد الكبير بن عبد الرحمن بن سليمان فى عمالة فاس فاسر وزج به فى السجن وعرج السلطان على بنى حسن حيث اوقع باهل العيث منهم ثم دخل قرهون ومكناسة واصطدم ببربر الاطلس الاوسط فهزم بنى مطير وايت يوسى وانتهى الى ما وراء الحاجب فاستقبله اهل فاس بحفاوة ولكن اصرار الدباغين على مطالبهم وتنكيلهم بالمخالفين واطلاقهم الرصاص على فاس الجديد حدا للسلطان الى حصار فاس البالى واقتحام الاسوار غير ان انطلاق الجند فى النهب

والعيث اثار موجة من السخط عرف السلطان كيف يلطف لواءها بالعفو العام
1291هـ ولكنه اضطر الى عزل عامل فاس السراج وتعيين قائد بخارى وتجديد
نظام الجيش .

الجيش

عمد الحسن الاول صونا لحوزة البلاد ووحدتها الى تجهيز القبائل بالعتاد
العسكرى وتكديس الاسلحة المختلفة بفاس وقد سبق لوالده محمد الرابع ان
اسس معملا للبارود بمراكش واقام باشقار قرب طنجة برج المنار لتوجيه السفن
المغربية والاجنبية فى الاطلنطيك وقد سلك المولى الحسن نهجا مرنا فى مدافعة
الدول بعضها ببعض وضمان توازن يهدف الى الحيلولة بينها وبين اى تدخل
فى شؤون البلاد فاسند الى ضابط انجليزى قيادة احد الفيالق والى بعثة من
الخبراء الفرنسيين التدريب العسكرى للمجتود واناط بضباط ايطاليين ادارة
مصنع الاسلحة بفاس وكلف مهندسا المانيا ببناء برج بالرباط وكان السلطان
يشهد بنفسه تدريب الجيش كل يوم اثنين فى مشور ابى الخصيصات بفاس
ويستعرضه كل اربعاء وقد كانت لفرقة الطبجية عشرون بطارية من نوع كروب
وشنايدر اومن نوع رشاشات «ماكسيم» واستخدم المشاة البنادق من طراز
«شاشبو» او غيرها المصنوعة بفاس على وتيرة خمس فى اليوم .

وكان السلطان يطوف بالشغور لتفقد ابراجها واسوارها ويسهم شخصا
فى الرماية المدفعية مراقبة منه وتشجيعا وقد زار منذ السنة الثانية من ولايته مراسى
الجديدة وازمور وانفا او العدوتين فى مصب ابى رقرق .

قضية المغرب

وقد ثارت عدة قبائل فى كثير من سهول المغرب وصحرائه والاطلس
استجابة لعناصر لم تكن راضية عن الوضع وكثيرا ما كانت النزعات تتساقط
لان التحلل من الجبايات كان يغرى الكثير بالانضمام الى المشغبين رغم تعلقهم
بالعرش وانكارهم للفوضى .

وهكذا بدأ السلطان بتوطيد الامن فى آيت سفروشن وبنى سادان واستكمل

ذلك عام 1305هـ باخضاع جميع قبائل الوالوباستثناء أيت شخمان ثم قمع عناصر من غياثة كانت في عمالة تازة فالزمها اداء مانهبته علاوة على الاعشار وهناك سيق اليه ابو عزة الهبري فسيجن بفاس وانتهى المطاف بالامير الى حدود المغرب الشرقي .

وكان السلطان يستغل فترة الشتاء للاستجمام بفاس وجمع اشتات الجيش وتجديد جهازه والقيام ببعض المنجزات العمرانية كبستان امانة بفاس الجديد والدار الكبرى بازائها تركيزا للماثر الفنية والمظاهر المعمارية الرائعة من نقوش وتسطيرات ورفيع الفرش والقطائف ولكن جفنه لم يكن يغمض عن التشغييات التي ينبثق اوتها هنا وهناك من ذلك تلبيته لرغبة سكان عمالة وجدة بضمها الى عمالة تازة وثورة العامل المعزول ازاء هذا القرار ثم قيام الكنتافي (I) في جبل تينمل ضد القائد الذي اغرى السلطان بمحاربته رغم تمسكه بالبيعة وهذه من بواعث الفوضى العارمة التي كانت تنخر كيان المغرب لاسباب تافهة وكان الشعب غالبا بمعزل عن الخوض في هذا الاضطراب الذي يثيره انتهازيون يشورون كلما خلا الجو بوفاة امير او بضعف جهازه العسكري فتتجدد بذلك الثورات بشكل رتيب وفي نفس الاقاليم فمن ذلك انحراف طائفة من الرحامنة وزمران واولاد ابي السباع وعيهم في الحوز مما اضطر السلطان الى قمعهم وكذلك تطاول غياثة على تازة ثم لجؤها الى الجبل حيث اقتحم السلطان بنفسه حصونهم الاطلسية واستاصل شأفة الفوضويين بعد عراك عنيف وكان بنويزناسن يذهبون وجدة وارباضها فاسترد الجيش منهم المظالم واقيم الامن والنظام في هذه الناحية التي كانت تعتبر من الثغور الاستراتيجية بين الجزائر المحتلة والمغرب وقد عاد الحسن الاول الى العاصمة الادريسية بعد غياب طويل (رمضان 1293) لاستئناف تاسيساته العمرانية بفاس ومراكش ومكناسة ولكنه ما لبث ان اصدر لواامره للاستعداد من جديد لجولة تفقدية عارمة فاستصدر من معمل الحمراء 10620 بندقية و4100000 رصاصة وعشرة فناطير من البارود ومائة قنطار من ملح البارود ومدفعين اثنين علاوة على الاجهزة العسكرية العادية ثم حشد بمكناسة العسكر المرابط في الثغور والقلاع بالسهل

(I) ورد بعد ذلك على السلطان مستامنا فعقاعنه وولاه على تينمل .

والجبل وزحف نحو زمور والسهول وزعير ثم بنى عمير وبنى موسى ثم (عام 1296هـ) آيت عتاب وبنى مطير قطاع الطرق والذين هزمهم السلطان واسترد مظالمهم وحملهم مسؤولية الأمن في عمالتى فاس ومكناس وكان يستنزل الفارين إلى الأطلس ويؤمنهم حسما لتلك العقدة النفسية التي كانت من بواعث الخلل والانتقاض بالإضافة إلى ثقل عبء الضرائب على البدو الذين يلتحقون برؤوس الجبال تفاديا من تعسف الجباة وهكذا ظل مشكل التوازن الاجتماعى والاقتصادى عاملا قويا فى عدم الاستقرار بالمغرب وفى انبثاق ما يسمى ببلاد المخزن وبلاد السبية .

واستكمالا لحركات التهدة هب السلطان (عام 1298 هـ) نحو مراكش من حيث توجه فى العام التالى إلى سوس ونقلت المؤن على ظهر السفن من الجديدة والدار البيضاء لارفاق الجيش وكان قصده هذه المرة أن يقف بنفسه على جنوب المغرب حسما لمطامع الأسبان الذين كانوا يرغبون فى احتلال إيفنى بمقتضى معاهدة تطوان زعما منهم بأنها هى المركز التجارى الذى اغتصبوه قديما وسموه بسانطا كروزا وقد رتب السلطان بهذه المنطقة الحاميات والعمال وأحال مرفا أسكا إلى مرسى تجارية وأقام بتزيت قيادة جيش الجنوب واستمر ذلك إلى عام 1303هـ حيث زحف الأمير نحو الصحراء لقمع الثوار الذين تواطأوا مع الإنجليز بين ماكنزى وكورتيس لبناء مركزين تجاريين فى طرفاية وآيت باعمران فطمس هذه المعالم الأجنبية غير أن حكمة السلطان حدثه إلى مسالمة الشريف التزروالتى مولاي الحسين الذى انخلع مع الثوار وأنبرى كقائد للسلطان لأقصاء ماكنزى عن طرفاية بعد أن عاد إليها .

وانتهى مطاف السلطان فى تسع عشرة حركة إلى تافيلالت عام 1310 هـ فمهد الواحات بعد أن وطد بعض النواحي الواقعة فى الملوية العليا والأطلس الأوسط (غريس) وقصر السوق ووادى زيز وقد انصاعت قبائل الجبل وادت الجبايات مما حدا بالسلطان إلى التعجيل بأوبته بعد نصف شهر مارا بتدغة ورزازات والأطلس حيث كان قواد كلاوة يشكلون لفاتحت راية السلطان شرقى الأطلس مع متوكة فى غربه وكندافة فى وادى نفيس .

السياسة الخارجية

وقد احتفظت إنجلترا بامتيازات اقتصادية فنمت مبادلاتها التجارية مع

المغرب لاسيما وانها كانت توالى دفاعها عن كيان المغرب منذ معركة ايسلى التي عقيبتها احتكاكات مع فرنسا فى حدود الجزائر وقد انبثقت اطماع دول اوربية اخرى مثل اسبانيا التي صارت تحلم باحتلال مقاطعات مغربية واستعمرت (عام 1310) معركة عنيفة بين اهل الريف والاسبان من مليلية نظرا لتطاول هؤلاء على مساحات وراء الحدود فاضطر السلطان حسما للنزاع والتدخلات الى دفع دية عن القتلى تبلغ اربعة ملايين ريال وقد عمل البلجيكيون ايضا على احداث مؤسسات اقتصادية ومولت المانيا بعض الرحلات العلمية وكان السلطان يتهج سياسة التدافع بين هذه الدول فيوجه سفراء الى اوربا مثل محمد الزيدى الذى اوفده 1293هـ الى فرنسا وانجلترا وايطاليا وبلجيكا فى مهمة سلمية وقد ورد على السلطان فى العام التالى سفراء فرنسا واسبانيا والبرتغال وبدأت فرنسا منذ ذلك العهد تقترح ادخال اصلاحات كالتلغراف والقطار الحديدى وواجهت المملكة المغربية فى هذا العهد مشكلة عويصة هى مشكلة الحماية التى كان بعض المغاربة يتوقون اليها للتخلص من نفوذ الولاة وحاول السلطان التخفيف من حدة هذه الحماية غير ان تضافر الدول الاوربية اضطره الى الخضوع بمقتضى اتفاقية مدريد (1880) وملحق طنجة (1881) الى ارادة اوربا التى خولت لالمانيا والنمسا وبلجيكا واندنمارك واسبانيا والولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا وايطاليا وهولندا والبرتغال والسويد والنرويج الامتيازات التى لم تكن تتمتع بها سوى فرنسا وانجلترا .

وهكذا بدأت القضية المغربية تتسم بطابع دولى من جراء الصراع الذى تولد عن اطماع الدول الاوربية وقد قاوم الحسن الاول كل التدخلات ودافع بين الدول وتوفى (3 ذى الحجة عام 1311 هـ) وهو فى غمرة هذه المعركة التى ضاعفت خطورتها تمردات جهوية كانت تفت فى أعضاء الوحدة المغربية .

الفصل التاسع

النظام السياسي والإداري قبيل الحماية

العمالات :

يمكن القول دون تحديد دقيق ان المغرب قبيل الحماية كان يشتمل على ست عمالات (I) هي :

- 1 - المغرب الشرقي الذي يبتدىء من وجدة ويمر من تازة الى قافيلالت .
- 2 - ناحية الشمال وفيها تطوان وطنجة والقصر والعرائش ووزان ومركزها العام هو العاصمة الادريسية
- 3 - الغرب ومركزها مكناس
- 4 - ناحية العدوتين وتامسنة وتشمل الرباط وسلا وقبائل الشلوية ودكالة .
- 5 - ناحية الحوز ومركزها مراكش مع اسفى والصويرة .

(I) وقع فى ايام السلطان محمد ابن عبد الله تقسيم المغرب الى عمالات عديدة تتناول حتى اقصى الجهات مثل توات وهاذا مذكور فى « الترجمان » لأبى القاسم الزياني لدى ترجمة السلطان الأنف الذكر

٦ - الجنوب ويمتد من المحيط الى حدود الجزائر وتزنيت ويندرج فيه اقصى الجنوب الى نهر السنغال (شنقيط والساقية الحمراء وتوات وعين صالح الخ) .

دار المخزن

وقد كانت اجهزة الدولة المغربية صورة طبقا لأصلها الاندلسي الاموى وكانت هنالك ثلاثة عناصر هي دار المخزن والوزراء والقضاة والحكام .

اما دار المخزن فقد كانت بين جوانبها آلاف الخدمة والحشم والحرس ويشرف الحاجب على قسمها الداخلى بينما يهتم قائد المشور بالقسم الخارجى الخاص بالاستقبالات والاوامر الملكية والاتصالات مع القبائل .

وللحاجب نائب يعينه على تسيير اعمال اصحاب الوضوء والغطاء والماء وافراك (الახبية السلطانية او العسكرية المتنقلة) والسككين (اى الجزارة) والفراش والمحفة (وسائل التنقل) «والروى» (اى اصطبلات الخيل) وكان على رأس كل فرقة قائد يساعده خليفة .

اما قائد المشور فقد كان له نائبان يعينانه على ضبط علاقة القصر عن طريق المشاورية بالبنىقات او مكاتب الوزراء وكبار البلاط .

وكانت مسطرة الاقتبالات ان الصدر الاعظم يتلقى الطلب فيرفعه الى السلطان الذى يكلف عند الرضى قائد مشوره بتنظيم المقابلة التى يحضرها الحاجب احيانا .

وقد كان الى جانب المشاورية طائفة المسخرين او الرقاصة من قبائل الجيش يكلفون بنقل الرسائل بين القصر والقبائل ويتجلى اهتمام السلطان بهؤلاء الاعوان فى الاشراف المباشر على قائدهم .

الهيئة الوزارية

I - كان للسلطان اعوان او وزراء يساعدونه على تسيير دواليب الحكم وكان لكل وزير بنية اى مكتبه الخاص وحوله كتبه وفى طليعتهم الصدر الاعظم الذى لم يكن رئيس الحكومة لان الحكومة كانت تشخص فى السلطان الجامع بين رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة ولم يكن للصدر حق التقرير لان البت من حق السدة العلية وحدها وكان ينوب عنه كاتبه الاول او باقى الكتاب

(الثاني والثالث) عندما يتغيب ويعرف مكتبه بالبنيقة الكبرى لتعدد كتابها .

وكان الصدر يشرف خاصة على نشاط القضاة ونظار الاحباس ونقباء الاشراف وعلى الباشوات والقواد في خصوص ما يخلعه السلطان على رعاياه من تحف وهدايا (التنافيذ) او اداء المصاريف التي يامر السلطان بدفعها او تحرير الظهائر والمراسيم المولوية وتسليم العطاءات العقارية او تنفيذ التعيينات في الوظائف المختلفة او عزل الموظفين او تسليم القرارات السلطانية الى قائد المشور في شأن الحركات وتنقلات الجيش واعداد المؤن

2 - وزير الشكايات وهو صاحب الرد في الاندلس مهمته النظر فيما يرد على السلطان من شكايات وابلاغ اصحابها ما يتخذ الامير من قرارات ولم يكن للسلطان اى اختصاص في ميدان الشرع ولو كان عالما الا انه كان له حق جمع العلماء لاستفتائهم في قضية فقهية قبل احوالها على قاض جديد فيكون مجلس المفتين بمثابة محكمة عليا للنقض والابرار واحيانا يبت العلماء كانهم هيئة استئنافية .

3 - العلاف الكبير يشبه نوعا ما وزير الحرب وان كان لايهتم في الواقع الا بالسهر على تموين الجيش في السرايا والغزوات وتجهيزه بالسلاح والعتاد وهو الذي كان يعد سجل الديوان العسكرى ويقدمه الى السلطان مؤشرا ومذيلا بامضاء الصدر كما كان يشرف على المصاريف الشهرية لمخازنية البلاط الداخليين

4 - وزير البحر

اسس الحسن الاول هذه الوزارة لضبط علائق المملكة مع مثلى الدول الاجنبية فكان واسطة بين السلطان والسلك الدبلوماسى يهتم بقضايا المحميين القنصليين ويحضر مشاريع الاتفاقيات والمعاهدات بين المغرب ودول اوربا ويحرر الرسائل اليها ويوجه الى القواد الاوامر السلطانية بخصوص المحميين القاطنين في عمالتهم كما يشرف على كل ما يتعلق بالبعثات الاجنبية بالمغرب وكان اول وزير للبحر هو الفقيه محمد بن المفضل غريط .

5 - امين الامناء الذى تنحصر مهمته في جزء من الاختصاصات العادية لوزراء المالية مثل السهر على تعيين امناء المراسى اى جباة الجمارك والديوانات والاملاك المخزنية والمستفاد اى الضرائب المباشرة

وكانت موارد الديوانة تسلم مباشرة الى امين الدخل من طرف امناء المراسى بعد اسقاط المصاريف المحلية مثل اجور عملة الديوانة وجنود الحامية التى تدفع بدون مراقبة بخلاف النفقات العارضة الاخرى التى لم تكن تؤدى الا باذن خاص من امين الامناء والباقي يركز فى بيت المال الذى هو الخزينة العامة للدولة وكانت هنالك بيوت للمال فى فاس ومكناس ومراكش ولكن اهمها الصناديق المودعة بالقصر السلطاني بفاس الجديد والموصدة داخل غرفة تلى القوس باربعة اقفال تؤمن مفاتيحها عند اربعة من كبار الموظفين بحيث لا تفتح الا بحضور الجميع فى حفل خاص بشهادة عدلين ويصبح القوس مستودعاً مؤقتاً عند غياب السلطان يسيره امين القوس بدل امين الدخل الذى يرافق السلطان وكانت دار عدل عبارة عن خزينة تجمع بفاس موارد المكس يشرف عليها امين المستفاد بمساعدة امينين اثنين .

الا ان صرف محتويات بيت المال لا يتم الا بواسطة امين الخراج او الصائر او الشكارة علاوة على امين الدخل «وبنيقة الصيار» (I) هى التى تؤدى مرتبات الوزراء والكتاب والجيش والمخازنية والمشاورية بالاضافة الى الصدقات والهدايا للأضرحة والزوايا .

وكان للسلطان بيت المال الداخلى «الشخصى» يمون علاوة على الهدايا بموارد عزائب السلطان (اى ضيعه الفلاحية) او عقاراته بفاس ومكناس ومراكش وغيرها 6 - امين الحسبة العام الذى يركز حسابات الامناء ونظار الاحباس ووكلاء الغياب ويسهر على تطبيق مقتضيات الاتفاقيات الاجنبية فى خصوص مداخل الديوانة ومراقبة زكوات المحاصيل واعشار القبائل فيسجل بذلك دخل الدولة ونفقاتها .

7 - امين الصائر : يقوم بتعليمات من الصدر بتنفيذ قرارات السلطان فى خصوص الاداءات واجور الموظفين والجنود بعد تاشير امين الامناء .

8 - امين «الفرقوش» اى حيوانات النقل او ماشية المخزن فيراقب افراس الدولة وبغالها وجمالها وتعويض مامات منها والسهر على تجهيزها .

(I) أى مكتب النفقات (النفقة = الصائر)

9 - أمين العتبة الشريفة الذي يهتم بموارد القصر الشهريّة من لحوم وغيرها ويراجع حسابات القصور الملكية في مختلف المدن ويذيلها بامضائه قبل ان يعرضها امين الامناء على السلطان ويركز مفاتيح صناديق المال ويراقب توصلات عبيد البخارى وحراس البلاط باجورهم كما يهتم بتسيير شؤون القصور كلها .

وكان السلطان هو المنسق الاكبر لشؤون الدولة بصفته الرئيس الفعلى للحكومة والقائد الاعلى للجيش فقد كان الحسن الاول مثلا يدرس كل صباح ملفات الوزراء ويمضى الرسائل التى ينقلها وصيف الدار الى الحاجب فيوجهها هذا الاخير مع صاحب الوضوء الى الوزارات المعنية بعد ان يسجلها فى دفتر خاص وهو الذى كان يختم الصادرات ويسلمها لقائد المشور ليوصلها رقاص البريد الى اصحابها فى مختلف انحاء البلاد ثم يتوجه السلطان الى قاعة العرش لاقتبال وزرائه وينهى احد الفرايكية (اى الطائفة المكلفة بتنقلات السلطان) هذا النبأ الى البنيقات ويستدعى السلطان من يريد بايفاد صاحب الوضوء الى قائد المشور الذى يعرض على انظار السلطان الرسائل الواردة من الاقاليم دون ان يفض خاتمها ثم يرفع قائمة الاشخاص الراغبين فى مقابلة السلطان الذى يصدر اوامره فى هذا الشأن والسلطان هو الذى يفتح المراسلات بنفسه ويعقب عليها بيده ثم توزع على الوزراء للتنفيذ .

ثم تتوالى الاقتبالات فيدعو السلطان الصدر ثم امين الامناء ووزير البحر فيدرس مع كل واحد القضايا الداخلة فى نطاق اختصاصه ثم ياتى دور الاستقبالات العادية وهكذا يحل السلطان مشاكل الوزارات المختلفة دون ان يكون للصدر مجال لابتداء رايه .

ويستأنف السلطان من العصر الى المغرب فى ردهة العرش هذه السلسلة من الاستقبالات والاجتماعات وبعد العشاء يعلق على الرسائل التى ستوجه فى الصباح الى الوزراء ثم ينهى السلطان يومه بتلاوة الكتب السياسية والتاريخ وفى يومى الاحد والثلاثاء يستمع الى الشكايات بحضور الوزير المسؤول الذى يقدم له ملف كل قضية فيصدر السلطان قراراته بعد امعان النظر وتدقيق البحث ويخصص ايام الاثنين لمشاهدة تدريبات طلبة مدرسة المدفعية وايام الاربعاء لاستعراض الجند من اجل مراقبة عدد افراد الجيش والصوائر العسكرية ويقضى السلطان ايام الخميس فى نزهة مع حرمه بحدائق القصر كما يفرد ايام الجمعة باقامة

الصلاة في موكب فخم وكان يوم السبت هو اليوم الاول في الاسبوع تلتشن فيه بداية « المخزنية » اى الاعمال السلطانية .

المكالم والقفاة

الباشوات والقواد

الباشوات كانوا قوادا عسكريين يشرفون على قبائل الجيش وعلى بعض المدن الاندلسية مثل فاس والرباط وطنجة وحتى مراكش حيث يتولى الباشا قيادة الحامية العسكرية بينما يراقب القائد الامن بالمدينة ويسهر على جمع الضرائب ويقوم بدور التنفيذ للاحكام ويظل القائد فى منصبه مادام متمتعا بثقة الجمهور والا عزله السلطان بضغط من الفكر العام على ان السلطان نفسه كان عرضة للخلع اذا صدر راي الجماهير الشعبية وكان السلطان يراعى فى تعيين القواد رغبة الاعيان لاسيما منهم العلماء والاشراف ورؤساء الحناطى (النقابات الصناعية) والتجار .

وكثيرا ما عين السلطان على رأس فاس البالى قائدا عسكريا من العبيد او خدام القصر نظرا للمكانة الخاصة التى كانت تشغلها هذه الحاضرة وءاخر القواد الذين عرفتهم فاس هو بوشته ابن البغدادى (ابو الشتاء) الذى اذاق الفاسيين الامرين لشدته وغلظته وكانت سلطة القائد واسعة فى الميدان الجنائى (من الاعداء الى الذعيرة او التعزير بالسياط) ولم يكن له اى نفوذ فى الشؤون المدنية والتجارية التى كانت من اختصاص المحتسب .

القضاة

المدن الكبرى هى التى لها قضاة وعددها نحو الخمس عشرة لا فى مجموع المملكة وكان فى كل من فاس ومراكش ثلاثة من القضاة وقد بلغ عدد هؤلاء فى اواخر الحماية مائة واربعة عشر اما القبائل فلم يكن فيها سوى نواب عن القضاة الحضرين فكان النائب يشرف على مجموعة من القبائل عدا الاطلس حيث كان العرف هو المحكم وقد انحصر اختصاص القاضى فى الاحوال الشخصية والدماء مع الاشراف على العدول والوكلاء والعلماء والاشراف والموظفين الدينيين ووكلاء الغياب ونظار الاحباس وكان قاضى السماط بفاس هو مراقب جامعة القرويين

وعلمائها فكان القاضي يلعب دورا سياسيا هاما بصفته منفذا للشرع بالنيابة عن الامام وهو السلطان لذلك كان هذا الشخص يختار من العلماء النزهاء الورعين وكثيرا ما كان العلماء يفرون من هذا المنصب منذ صدر الاسلام وكان القاضي ملزما بالحكم بالمشهور من الآراء بما جرى به العمل وبالعرف والعادة تبعا للمذهب المالكي وينص ظهير التعيين على ذلك بوضوح ولم يكن حكم القاضي يستأنف الا بالشكوى للسلطان الذي يستدعي العلماء لابتداء رأيهم .

3 - المحتسب

هو الذي يسهر على حماية الفقراء وحقوق المعوزين ومصالح التجار ويراقب المكييل والاوزان والمبيعات لمقاومة التدليس والاختلاس والواقع انه كان يشرف على جميع مرافق الحياة الاقتصادية (التجارية والصناعية) بتحديد الاثمان بناء على اسعار المزايدات العامة وله وحده حق التعزير والتأديب بالسجن والايقاف والحجز في هذا الميدان ويفض النزاعات التجارية باستشارة الخبراء وامناء الحناطى وللمحتسب اعوان ومفتشون ومخازنية يخضعون له مباشرة وهو الذي يوجه يوميا لامناء المرسى لائحة الاسعار لتحديد الاعشار الموظفة على الواردات والصادرات والمحتسب هو المشرف على الحناطى التى كانت عبارة عن نظام نقابى واسع الحرية لم يتقلص ظله الا بالاتصال بالحضارة الاوربية وكان المخزن يحترم الحرية التجارية (I) وقد شبه البعض وظيفة الحسبة بوظيفة شيخ البلد او عميد الشرطة بفرنسا (2)

وهكذا انتظمت بالمغرب فى اخر عهد الاستقلال مؤسسات الدولة والادارة المركزية وهيأة القضاء والمنظمات الاقتصادية والنقابية بصورة اتسمت بشئ غير قليل من الروعة والفعالية والاصالة وكان هذا الجهاز فى تطور مطرد تبعا للمقتضيات المتجددة غير ان تسرب العناصر الاستعمارية اقام الاشواك فى طريق المغرب الذى حالت هذه الجبهة الاستغلالية دون استمراره بجد فى اقتفاء آثار الدول المتمدنة فى النهضة والانبعاث وهكذا شلت كثير من تلك المقومات تحت ضربات المستعمر المتوالية مما فسخ مجالات واسعة لتدخل الاجانب تدريجيا فى شؤون المغرب الاقتصادية ثم السياسية .

(I) راجع كتابى « التيارات الكبرى للحضارة المغربية » (ص 60)

(2) الوثائق المغربية ج 1 ص 13 و 51

الفصل العاشر

الصحراء المغربية

ان الصحراء الافريقية التي يحدها الاطلس شمالا هي اعظم القلوات واجمل القيا في العالمية لانها تشكل سلسلة من السهول والودية والانهار والجبال حيث تتساقق الرمال مع الاحجار وقد عاش الصحراويون ~~الذين~~ وحدهم قرب ينابيع المياه حتى هاجر اليها الرحل بجمالهم بعد الاحتلال الروماني لافريقيا الشمالية وتسرب العنصر العربي الشرقي في نفس الوقت الى القارة الافريقية حيث تحسنت الحياة نسبيا وتطورت المواصلات بفضل استعمال الجمل المستورد من اشوريا وفارس حينذاك تدخل الزناتيون في الصحراء فحفروا الآبار وغرسوا النخيل في بعض الواحات لاسيما في توات منذ ظهور الاسلام .

وقد عرفت الصحراء نوعا من الاستقرار تبلور في اقامة القصور بالاضافة الى الواحات وتسرب عناصر حضارية عن طريق برابرة الشمال الافريقي بعد ان اخفق في ذلك الرومان والاغارقة والصنهاجيون مثل هواره ولمطة الذين كانوا اول القبائل من البرابرة البيض الذين غزوا الصحراء منذ القرن الثالث الميلادي وهذه القبائل هي التي نقلت الاسلام الى التخوم الجنوبية ومنذ هذا العهد برزت الصحراء كامتداد طبيعي لافريقيا الشمالية نظرا للوحدة النباتية والحيوانية والتجانس بين النوالة المغربية و نوالة خط الاستواء وبين رسوم الريف والسودان والموسيقى المغربية والزنجية (هسبريس مجلد II عام 1930) .

ان صنهاجة احتلت جزءا من الصحراء يسير الراكب فيه مسافة ستة اشهر في المغرب ومن بين القبائل الصنهاجية مسوفة ولتونة المثلثون الذين اسسوا الدولة المرابطية بالمغرب وكانوا يقطنون جنوبي الصحراء الرملية وهم على ما قيل عرب حميريون (I) وكان اول ملك منهم بالصحراء يتلوتان الممتونى المسلم المني ملك بلاد الصحراء باسرها ودان له ازيد من عشرين ملكا من طوك السودان (2) وقد توفي في عام 222 هـ بحيث يمكن القول بان الصحراء كانت مسلمة كلها وكذلك بعض بلاد السودان في القرن الثالث على ان مدينة تاتكلاتن التي كان يسكن بالقرب منها قبائل من السودان قد اسلمت على يد عقبة بن نافع نفسه (القرطاس ص 7) بل زعم بعض المؤرخين ان عقبة غزا التكرور الى غانة والمحتمل انه بلغ ينابيع الساقية الحمراء وقام احد عقبه وهو عبد الرحمن ابن حبيب عام 127 هـ بتأسيس خط من الآبار يمتد الى اودغشت بموريطانيا الشرقية ومن الصعب تحديد تاريخ دخول الاسلام الى الصحراء وانبساط النفوذ المغربي عليها فزناطة وصنهاجة كانوا مستوطنين الصحراء قبل الاسلام ولم يتجاوز الرومان حدودهم المعروفة المارة بابي رقراق « حيث لم يستطيعوا الوصول الى تلك الكتلة البربرية في المغرب الجنوبي » كما يقول كوتيتي (3) في حين وصل عقبة بن نافع الى الجنوب واحتل المولى ادريس الازهر نجل المولى ادريس الاكبر الاطلس ولم يكن رفقاؤه من العرب يتجاوزون الخمسمائة وبهذا يمكن القول - مع كوتيتي - بان توغل المولى ادريس وراء الحدود الرومانية فتح ابواب الشمال في وجه المرابطين والموحدين ومن هنا يبدأ تاريخ المغرب (4) وكذلك تاريخ الوحدة الافريقية بارتباط الصحراء بالمغرب وقد حدد ابن خردادبه المملكة الادريسية في جغرافيته منذ القرن الثالث الهجري والتقارب الزمني يؤذن بمزيد الاطلاع - فكتب مايلى : وفي يدى ولد ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الطالبى تلمسين .. وطنجة وفاس وبها منزله .. وخلفها طنجة وخلف طنجة السوس الادنى .. وخلف السوس الادنى السوس الاقصى .. وفي يديه ايضا

(I) القرطاس (طبعة الرباط) ج 2 ص 3

(2) القرطاس ج 2 ص 6

(3) العصور الغامضة في المغرب 289

(4) نفس المصدر ص 290

وليلة ومداكة وزلولة ومدينة راقون وحجرة وحجيرة والحاجز وماجرا اجرا
وفيكون والخضراء وهي على البحر ٠٠ وما يتصل ببلاد داعي بن داعي والسودان
والعراة الى ما حاذاه من نواحي البحر ٠٠ (I)

وتحدث ابن حوقل كذلك عن حدود المغرب في القرن الثالث فذكر ان
المغرب «يمر على ماسة ومقارب سجلماسة وظاهر السوس الاقصى ويمتد على
ظواهر اودغشت وغانة وكوغة ٠٠٠

فالمغرب كان يمتد اذن في ذلك العصر الى حدود السودان وهذا يؤيد
ما عند ابن خردادبه .

وقد ورث الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي ملك اللمتونيين المنسبط على
السودان حيث استمر في محاربة الزنوج غير المسلمين الى عام 427 (2) وكذلك
ارتحل الى الحج ولقى في طريقه ابا عمران الفاسي بالقيروان فدله على واكاك
ابن زلو من تيفيس بالسوس الاقصى فندب هذا عبد الله بن ياسين الجزولي مهدي
المرابطين الذي قدم للملك يحيى بن عمر اللمتوني «فاستولى هذا الاخير على
جميع بلاد الصحراء وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها (القرطاس ص 17
والاستقصا ص 3 ص 48) ثم دخل سجلماسة ودرعة بطلب من اهلها عام 447 هـ .
وقد خلفه اخوه ابوبكر عام 448 هـ حيث خرج بجيوشه الى بلاد المصامدة والسوس
جاعلا على مقدمتها ابن عمه يوسف بن تاشفين فتم غزو المغرب الى تامسنة حيث
توفي ابن ياسين (كريفلة) ثم جعل الامير اللمتوني ابن تاشفين على المغرب
(ص 33) .

وارتحل هو بنصف جيشه الى الصحراء عام 453 لاتمام غزو السودان
ومالبت اول المرابطين ان خطب له على 1900 منبر من الاندلس الى جزائر بني
مزغنة الى اخر جبل الذهب من بلاد السودان (القرطاس ص 37) .

(I) الجريدة الاسيوية 1865 - السلسلة السادسة المجلد الخامس ص 78
وقد اسس عبد الله بن ادريس مدينة تمملت وجعل منها مركزا تجاريا في الصحراء
وقد تهدمت في القرن الثامن وقد اسست مدينة تندوف عام 1270 هـ على يد محمد
المختار بن الاعمش واحتفظت بمغربياتها الى عام 1955 حيث الحقها الاستعمار
بالجزائر فثار الشعب ونكل به الفرنسيون .

(2) القرطاس ص 8

وعند استيلاء الموحيدين على الحكم ظل جزء من الصحراء فى قبضة صنهاجة فى حين تم لعبد المومن بن على « ملك افريقية كلها منتظما الى مملكة المغرب فملك فى حياته من طرابلس المغرب الى سوس الاقصى من بلاد المصامدة ، واكثر جزيرة الاندلس » (المعجب - طبعة سلا عام 1357 ص 138) .

ولعل الموحيدين لم يستطيعوا التوغل فى الصحراء لانهم جيليون لاعهد لهم بالقيافى بخلاف المرينيين والسعديين والطويين الصحراويين الذين تغفل نفوذهم فى الصحراء فقد ذكر المؤرخون انه عندما جلس ابو الحسن المرينى على العرش واتصل ملكه بالجزائر جاء وفد السلطان منسا موسى بن ابى بكر وهو من اعظم ملوك السودان يعظم السلطان ابا الحسن ويوجب حقه ويؤدى طاعته ويذكر من خضوع منساوقيامه بحق السلطان وسعيه فى مرضاته ومما يؤكد انبساط النفوذ المرينى على الصحراء الرملية ان ابا الحسن او عز الى اعراب الفلاة من بنى معقل بالسير مع الوفد السودانى فشمروا لذلك امير اولاد جرار من معقل وصحبهم امثالا لامر السلطان وقد اعترف طيراس « بان نفوذ ابنى الحسن المرينى انبسط من قشتالة الى السودان الى مصر » (تاريخ المغرب ج 2 ص 61) .

ولكن فى آخر الدولة المرينية انكفت ايدى ملوك المغرب عن القرى الصحراوية حتى جاء المنصور السعدى فجدد الاتصال ببلاد تيكوزارين وتوات وما انضاف اليها وذلك عام 990هـ وقبله محمد الشيخ تجاوز الساقية الحمراء ووصل الى ودان .

اما فى السودان فقد دانت اماره محمد سكية للخليفة العباسى بعد ان لقيه بمصر فى طريق حجه آخر المائة التاسعة .

وقلدت السودان اذاك بعض المظاهر العربية العباسية وبعد ان مات خلفه ولده داود فغزته جيوش المنصور واستولت على السودان بعد ان دانت منه لال سكية مسيرة ستة اشهر وقد اوفد صاحب برنو وفد لتقديم البيعة الى المنصور والتزام طاعته وهذه اول مرة طمح فيها المغرب الى احتلال السودان فى حين ان دولة المرابطين على ضخامتها ودولة الموحيدين على عظمتها ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همة واحد منهم لشيء من ذلك (الفشتالى) .

وقد سارت الاسرة العلوية على هذا المنوال فلم تكتف بيسط نفوذها على

الصحراء المغربية كما يتأكد ذلك بالنصوص القطعية سواء فى خصوص الواحات الصحراوية (راجع) اربعة قرون من تاريخ المغرب فى الصحراء) ام فى شنجيط المتاخمة للسودان .

بل ان المولى اسماعيل طمح مثل المنصور السعدى الى استرجاع السودان وقد اكد ذلك الافرانى فى نزهة الحادى حيث ورد ان المولى اسماعيل ملك الاراضى الخصبة فى السودان حيث توغل ابعد مما وصل اليه المنصور السعدى (الجزء الذى طبعه هوداس ص 505) .

ويقال ان مولاى الرشيد وصل الى النيجر (النيل) متعقبا احد الثوار السوسيين ووصل السلطان مولاى عبد الله مرتين الى السودان كما فى تذكرة النسيان (ترجمة هوداس ص 102 و 248)

واستمر النفوذ العلوى منبسطا على الصحراء وحتى السودان الى سنة 1893 اى عهد مولاى الحسن من خلال النظام الباشوى - كما يقول طيراس - الذى احده السعديون ويرجع انفصال السودان عن المغرب الى ابتداء الحملة الاستعمارية التى انتهت آخر القرن الميلادى المنصرم واولى الحالى باحتلال فرنسا لموريطانيا والواحات الصحراوية واسبانيا ليريو دى اورو والساقية الحمراء وايفنى وغيرها .

وعند احتلال فرنسا لتنبكتو جاء وفد سودانى الى السلطان يطلب معونته كما وقع بعد ذلك عند احتلال توات وتيديكلت .

وقد اكد المؤرخون كلهم - مسلمين واجانب - مغربية الصحراء وقد وصف صاحب «التبيان فى تخطيط البلدان» المؤلف قبل الحماية (ص 402) الصحراء الكبرى بانها «صقع كبير واسع بافريقية الشمالية يمتد من وادى النيل الى المحيط الاطلسى ومن مراكش والجزائر وتونس وطرابلس من الشمال الى ممالك السودان بالجنوب وهى واقعة بين الدرجة 17، 29 من العرض الشمالى وبين الدرجة 19 والدقيقة 22 من الطول الغربى والدرجة 34 تقريبا من الطول الشرقى ثم ذكر ان حدها جنوبا خط يبتدىء من مصب نهر سنغال مارا بمدينة تنبكتو وقد لاحظ قبل ذلك (ص 129) ان بلاد تيديكلت وتوات وغورارة وكل مجموع واحات الصحراء الواقعة بالجنوب الغربى من بلاد الجزائر تعترف بنفوذ السلطان الدينى وكذلك باقى البلاد المعروفة بالصحراء المراكشية مثل واحات درعة ونون

الساقية الحمراء فلو اعتبرنا مراكش في اكبر عرضها الجغرافي بما يتبعها من الصحراء لرأينا ان طول سواحلها يبلغ 1750 كيلومترا (منها 425 على بحر الروم و600 على المضيق و10300 على المحيط) .

وقد اكد دولا شابيل (هسريس ج II ص 80 عام 1930) ان العلويين وصلوا الى ودان عام 1665 والى ادرار عام 1678 والى تاكانت عام 1680 والى شنجيت بل السودان عام 1730 والى تيشيت عام 1769 ووجه السلطان الجنود عام 1672 لاعانة امير الترارزة الذي قلده السلطان الامارة اذ ذاك وكذلك وقع في عهد سيندى محمد بن عبد الله ومولاي الحسن واخيرا في عهد محمد الخامس في غضون ابريل 1958 .

ويرجع فضل تعريب الصحراء الى العرب المسلمين والهلاليين الذين دخلوا الى المغرب ايام المنصور الموحدي وقد توغل نحو المائتين من بنى معقل الحميريين في موريطانيا حيث اصبح منذ ذلك عنصران اثنان : بنو حسان المنحدرون من معقل والبرابرة الصنهاجيون .

الفصل العاشر عشر

الثقافة والفن

لم يكن نظام التعليم بالمغرب يختلف عنه في الاندلس وبقية العالم الاسلامي حيث كانت الكتابيب القرآنية مرحلة اعدادية الى التعليم الحقيقي في اسلاكه الثلاثة في ظلال المساجد ولم تكن المدارس سوى مأوى للطلبة كالاحياء الجامعية في العصر الحديث .

وقد عرف المغرب الدراسة العالية في القرويين الذي بنى عام 245 هـ قبل جامع الازهر الذي اسسه جوهر الصقلي عام 359 هـ ومنذ القرن الرابع الهجري بدأ جامع الاندلس ينافس القرويين ثم صار اكبر فروعهم وقد اشاد المؤرخون الغربيون بجامعة فاس فلاحظ دلفان ان القرويين اول مدرسة في الدنيا (I) كما اكد على باي العباسي (باديا لابليس (2) ان مدينة فاس كانت في افريقيا اشبه باثينة عاصمة الفكر باوربا .

وقد اقام كليمنار بفاس عام 1540 م ايام ابي العباس الاعرج السعدي (948هـ) وكتب رسائل باللاتيني يصف فيها القرويين ودروسه بها وعوائد الطلبة والمدرسين واسلوب التدريس وانواع العلوم المدروسة وكانت العلوم

(I) فاس وجامعتها والتعليم العالي « طبعة 1889 ص 12 »

(2) في رحلته التي طبعت في باريس عام 1884 في ثلاثة مجلدات

التي تدرس بالقرويين هي التفسير والحديث والاصول والفقه والنحو والبيان والمعاني والبديع والمنطق والعروض والحساب والتنجيم والكلام والتصوف واللغة والتصريف والتوحيد والتاريخ والجغرافية والطب والقضاء والاحكام والادب اما الاجرة على التدريس فالغالب انها كانت معدومة او تكاد . فقد كان يشتغل بالعلم ارباب الهمم العلية والانفس الزكية الذين يقصدون العلم لشرفه على ان اساتذة الجامعة كانوا يتقاضون علاوات من لحم وحبوب وزيت وسمن وصابون اى كل ما يحتاجون اليه طوال السنة بل كانوا يتمتعون بحق السكنى مجاناً والتعليم نفسه كانا مجاناً بالقرويين .

ولم يكن يجرى اى امتحان للطلبة بل كان الشيوخ يعطون الاجازة لتلاميذهم المبرزين والى جانب هذه الاجازة الخاصة كان ينتظم حفل الى عهد السلطان مولاي عبد الرحمن يحضره الاساتذة والطلبة بالقرويين فيلقى كل استاذ على الطالب المنتهى اسئلة فى مختلف العلوم فاذا وفق فى اجوبته عينه القاضى فى الطبقة الرابعة للعلماء .

وتعطل الكلية يومى الخميس والجمعة وكذلك يوم الثلاثاء وقد ذكر النعيمي فى «الدارس» ان الدروس كانت تعطل يوم الجمعة والثلاثاء فى دمشق (ص 194)

ويقال بان جيلبير وهو البابا سلفستر الثانى درس بالقرويين وادخل الارقام العربية الى اوربا والارقام الهندية اطلع عليها العرب وكونوا منها سلسلتين احدهما الارقام الهندية التى شاعت فى بغداد والجانب الشرقى من العالم الاسلامى والثانية وهى الفبارية فى الاندلس وافريقيا والمغرب الاقصى وهى المستعملة الان فى اوربا ولم يستطع الاوربيون استعمالها الا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد

وقد درس بالقرويين طلبة موفورون تساردوا فى مختلف العصور من طرابلس وتونس والجزائر والسودان .

وكان عدد طلبة القرويين الافاقيين (من جزائريين ومغاربة) يبلغ سبعمائة بينما لم يكن عدد الاساتذة يتجاوز فى الغالب الاربعين .

وكانت سوق العلم نافقة فى عهد المرابطين والموحدين والمرينييين وفى

ايام ابى عنان المرينى كانوا اعز الناس واكثرهم عددا واوسعهم رزقا (نيل
الابتهاج للسودانى ص 260) .

وبدا المغرب ينحل فكريا ايام الوطاسيين ثم عاد الى الانبعاث فى عهد
الشرفاء فتطورت حركة البحث والتأليف وتخرج من القرويين علماء افذاذ كانت
اسواق العلم عامرة ونجوم افلاكه نيرة زاهرة (تاريخ الضعيف) ويسكن الطلبة
فى احدى المدارس الاربع عشرة (الشراطين والمصباحية وباب الجيسة والصفارين
والعطارين) ويتقاضون خبزة فى اليوم وقد جرت العادة منذ اواخر القرن
الماضى بان يشتري الطالب غرفته فى المدرسة وله ان يبيع المفتاح عند انتهاء
مدة الدروس .

وقد لاحظ ابن مرزوق ان انشاء المدارس (اى مساكن الطلبة) كان فى المغرب
غير معروف حتى انشئت مدرسة الحلفائيين (مدرسة الصفارين عام 670 هـ)
ثم مدارس العطارين والبيضاء والصهريج والوادي ومدرسة مصباح ثم انشأ
ابوالحسن . . فى كل بلد من بلاد المغرب الاقصى وبلاد المغرب الاوسط مدرسة
(تازة ومكناسة وسلا وطنجة وسبتة وانفا وازمور وآسفى واغمات ومراكش
والقصر الكبير والعباد بتلمسان والجزائر) (المسند الصحيح الحسن هسبريس
1925) ويقال بان يوسف بن تاشفين اسس مدرسة الصابرين وعرفت فى القرن
الثانى عشر بمدرسة بومدين .

وفى القرن الماضى فكر الحسن الاول فى تكوين اطر فى العلوم الحديثة
وكان متفتحا الى ابعد الحدود ولكنه كان يواجه قوتين تحولان لاسباب مختلفة
دون اتجاه الفكر المغربى نحو الحياة العصرية بما فيها من لوازم ومقتضيات
فهناك هيئة المحافظين التى لم تكن تعادى التطور ولكنها كانت تخشى ماقد يؤدي
اليه تطور على الطراز الاوربى من تأثير على ذهنيتنا العربية وخلقنا الاسلامى
وكياننا الوطنى نظرا للدسائس الاوربية التى كانت قد بلغت اشدها فى تلك
الآونة اما القوة الثانية فهى عبارة عن كتلة قليلة من المغرضين استولوا على مقاليد
الحكم فصاروا يعملون على توطيد نفوذهم على حساب مصلحة المغرب العليا
معرقلين تحقيق اى نوع من التطور خشية انبثاق عناصر فنية اكثر اهلية
تلحكم ومع ذلك ظل السلطان يكافح فى هدوء الى ان تغلب على هذه القوى
وكان شغله الشاغل هو تعزيز الجيش المغربى لمواجهة الاخطار التى تهدد كيان

المغرب من الداخل والخارج فعمد أولا الى تاسيس ما يشبه (مدرسة مركزية للمدفعية بالجديدة) (المغرب الحديث مملكة تنهار - كامبو - 1866 ص 16) ثم صار يوجه مغاربة للتدريب سريريا في انجلترا واسبانيا وحتى امريكا كما وجه بعثات الى فرنسا ويطاليا والمانيا للدراسة في معاهدها وكان المقصود من هذه الدراسة التكوين العام ثم التكوين الهندسى العسكرى ولكن بعض المسؤولين لم يكونوا يختارون دائما العناصر الصالحة ذات المستوى الثقافى المناسب ثم اذا اختير فتيان اكفاء وتخرجوا من اوربا لايلقون من هؤلاء المسؤولين اى نوع من التشجيع يحدو طلبة آخرين الى مقاساة التغرب من اجل الدراسة ذلك ان المهندسين الذين انهوا دراستهم الفنية بتفوق في انجلترا والمانيا واطاليا عادوا الى المغرب فصاروا يتقاضون 14 (سوردي) يوميا فى مقابل عمل جامد فى المكاتب الجمركية بالرباط وطنجة الى حد ان مختلف البعثات الموجهة لاوربا لم تسفر عن اية نتيجة بالرغم عن تخرج مهندسين وخبراء لا باس بهم على ان الجهود الفردية كانت تتبعثر حتى بالنسبة للطلبة الذين يدرسون فى الداخل فقد كان هنالك (فقهاء يدرسون الهندسة فى كتاب لوجندر ويحفظون القواعد ويحملون لقب مهندس ولكن لا يحاولون المزيد من العلم لعدم التشجيع) (المغرب الحديث جول اركمان ص 94) وقد نشرت مجلة هسبريس (عام 1954 مجلد 31 ص 121) بحثا بقلم جاك كايينى حول المغاربة المتمرنين فى مدرسة الهندسة العسكرية فى مونبيللى بفرنسا (من عام 1885 الى 1888) وكانت هذه البعثة تحتوى على اثنى عشر مغربيا توجهوا الى فرنسا فى 24 يونه 1885 صحبة ميكيل دو كاستور قنصل البرتغال السابق الذى اسلم ودخل فى خدمة السلطان .

وبعد مرور سنتين رجع دو كاسترو الى المغرب لان الطلبة المغاربة كانوا قد حذقوا فى نظره اللغة الفرنسية ولم يعودوا فى حاجة الى ترجمان وقد سكن الطلبة القلعة اى ثكنة الهندسة العسكرية وقد جاءوا الى فرنسا بلباسهم المغربى فاضطروا الى (التكبط) على الطراز الغربى مع الاحتفاظ بالطربوش وكان السلطان يدفع فرنكين اثنين فى اليوم لكل طالب .

وكانوا يدرسون صباحا ومساء ماعدا يومى الجمعة والاحد فيقضون الصباح فى دراسة اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية وفى شهر مايو 1886 رجع اثنان منهم الى المغرب

اما دروس العشى فقد كانت مخصصة مبدئيا للاعمال التطبيقية من تمارين نارية وتحصينات وبناء خنادق واجهزة الدفاع وضرب الأخبية وصنع آلات الحصار وكان الطلبة المغاربة الخمسة يسجلون الملاحظات ويحررون مذكرات فى الموضوع نظرا لمستواهم الثقافى المناسب وصار اثنان منهم يتلقيان بطلب منهما دروسا فى التلغراف الجوى مع الجنود الفرنسيين ثم اضيفت الى الدروس النظرية النحو الفرنسى ودروس الاشياء والتعمق فى الحساب والهندسة ثم خمسون درسا فى علوم الهيئة والرياضيات والكيمياء ثم دروس فى التلغراف والتلفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوى وترصيف الطرق والسكك الحديدية ثم اثنا عشر درسا فى مساحة الاراضى وتحرير التصميمات الهندسية وكان معظم الطلبة يتابعون الدروس بعناية وقد لاحظ دو كاسترو نفسه سوء اختيار الموظفين المغاربة لبعض اعضاء البعثة .

وبقى فى المدرسة تسعة شبان واصلوا دراستهم الى خريف 1886 حيث تقرر ارجاعهم ولكن وزير فرنسا فى طنجة الذى كان يرى ان (البعثة المغربية يجب ان تثير فى ذهن اعضائها فكرة عظمة الحضارة الفرنسية) او عزباطالة مقام الوفد المغربى وكان ذلك من السهل حيث ان الحسن الاول كان قد قرر عدم عودة الشبان المغاربة من مدرسة الهندسة الابعد الحصول على تكوين تام لهذا وقع تحضير برنامج جديد لعام 1887 اطول وادق من برامج السنوات الاخرى وما كادت تهل سنة 1888 حتى كان المتمرنون قد وعوا وحذقوا كل ما يمكن فى الهندسة العسكرية وفى شهر مايو من نفس السنة انتهت فرنسا الى علم الصدر الاعظم (I) ان من المناسب عودة البعثة الى المغرب وتعويضها بفوج جديد من الطلبة ووصل الطلبة الى طنجة فى دجنبر حيث اقبلهم مندوب السلطان محمد الطريس وعبر لممثل فرنسا باسم السلطان عن كامل الارتياح الذى يشعر به ازاء التطور الفكرى والثقافة التى حصل عليها مواطنوه بفرنسا وكان الصدر الاعظم قد كتب الى باريس طالبا ان يظل بفرنسا اربعة او خمسة من الطلبة بضعة شهور اخرى للتدريب فى الكهرباء من اجل تسيير دواليب الآلات المهداة للسلطان .

وفى يونيه 1888 تبودلت المذاكرة فى شان تعويض المتمرنين المتخرجين بخمسة عشر من الشبان المغاربة يوجهون الى فيرساي حيث ترابط فرقة للمدفعية واخرى للهندسة ولكن كل ذلك لم يتم لاسباب مجهولة .

(I) توالى على الصدارة العظمى آل الجامعى ثم بعد وفاة ابا حماد الحاج المختار ثم عزل وحل محله فضول غريط

مظاهر الفن

عندما استتب الامر للعلويين فى عهد مولاى الرشيد بدأ هذا الامير يهتم بتجديد معالم الفن المغربى والسعدى. بتعزيز الاجهزة العسكرية ومتابعة بناء المعاهد والمدارس والمساجد وقد استطاع اقامة بعض المؤسسات رغم قصر امد امارته الملائى بالحروب ومن ذلك بناؤه عام 1075 هـ بالآجر والجير فى نهر سبو وعلى بعد اربعة كيلومترات من فاس لقنطرة طولها مائة وخمسون مترا مرفوعة على اعمدة تتخللها ثمانية اقواس (ثلاثة منها انما بناها سيدي محمد بن عبد الله (الناصرى ج4 ص121) ثم تقوية اسوار فاس البالى كما شرع عام 1081 فى بناء مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز ولا تخلو هندسة ونقوش هذه المدرسة من جمال الا ان معالمها بعيدة عما يتسم به الفن المرينى من صفاء (I)

واقوى امير واعظم بناء فى الاسرة العلوية هو مولاى اسماعيل (2) الذى وجه عنايته خاصة الى مكناس الا ان مقتضيات التهدة اضطرته خلال عقدين من السنين الى الجولة فى اقصى الاقاليم التى جهزها بقلع يبلغ عددها ستا وسبعين فى الغرب وشمال الاطلس (3).

وفى مكناس التى اختارها مولاى اسماعيل عاصمة اقام قصورا فخمة داخل القصبة نفسها منها مدينة الرياض التى لم يبق منها سوى باب الخميس وقد بنى للموحدين ان جددوا بناء مكناسة المسماة بتكرات (اي المحلة) بنى المرينيون قصبتها علاوة على ماشيدوه بها من مساجد ومدارس وزوايا وربط وعندما اراد المولى اسماعيل بناء الرياض هدم مايلى القصبة من الدور وبنى سورا على الجانب الغربى وهدم الجانب الشرقى كله من المدينة وزاده فى القصبة القديمة ولم يبق امامه الا الفضاء فجعل ذلك كله فى؟ قصبة وبنى سور المدينة واقردها عن القصبة «جالبا الصانع لذلك من جميع حواضر المغرب وقبائله وكان قد سبق له ان

- I - تاريخ افريقيا الشمالية اندرى جوليان ص490 وقد استعيض بهذه المدرسة عن مدرسة اللبادين وهى تحتوى على عدة غرف ذات نوافذ .
- 2 - الهندسة المعمارية الاسلامية فى الغرب - جورج مارسى (383) وقد وهم مارسى فذكر أن مولاى اسماعيل هو ولد مولاى رشيد .
- 3 - راجع كتابى حول مظاهر الحضارة العربية والتيارات الكبرى لحضارة المغرب بالفرنسية (ص 90)

اسس قصر النصر ايام اخيه مولاي رشيد (I) وقد وصف الناصري قصور
مكناسة ومساجدها ومدارسها بانها « فوق المعهود بحيث تعجز عنه الدول، كما
ذكر الزيانى انه لم يشاهد فى آثار الدول اعظم من آثار هذا الامير (2) ولا يخفى
ما فى ذلك من اىغال بالرغم عما تنم عنه بعض الآثار الباقية من روعة الاصل (3)
وتقوم الى الآن وسط بقايا هذه القصور الدار البيضاء التى بناها السلطان محمد
ابن عبد الله التى رمت وأحيلت الى اكاديمية عسكرية وتوجد امام هذه الدار
صاحة فسيحة كانت تجرى فيها تدريبات الجيش واستعراضاته وكان السلطان
يجلس مع حاشيته اثناء حفلات الاستعراض واستقبال القواد والولاة داخل
رواق جميل (4) مرتفع ومتفتح فى احدى زوايا هذا القصر

وفى مراكش اقيمت دار المخزن بساحتها المغروسة المعروفة بعروسة النيل (5)
ومنازها وقبتها الكبرى المدعوة الستينية ومساكنها واروقتها العديدة
ومسجدها مع مختلف ملحقاتها المشابهة لقصر البديع .

ومن المساجد التى يرجع تاريخها الى العهد العلوى مسجد لالة عودة
الواقع داخل القصر الملكى بمكناس وقد فتحت بالقرب من المحراب باب تتصل
بممر مستطيل يودى الى القصر الملكى ومن هذه الخوخة كان السلطان يدخل
بعد اداء فروضه الى الستينية التى تقطنها الآن اسرة مولاي عبد الرحمن بن زيدان
مؤرخ الدولة العلوية ونقيبها وتقوم بجوار هذا المسجد مدرسة وميضاء جددت
الاوقاف معالمها بعد الاستقلال .

I - الاستقصا ج 4 ص 23

2 - الاستقصا ج 4 ص 48 - 49

3 - فى عام 1145 هـ اصدر السلطان مولاي عبد الله امره بهدم مدينة
الرياض - الزيانى - الترجمان العرب عن دول المشرق والمغرب - ترجمة هوداس
ص 71

4 - جورج مارسى - الهندسة المعمارية 397

5 - بنى سيدى محمد بن عبد الله ايام خلافته بمراكش علاوة على داره
الكبرى وبستانها المسمى النيل قصرا آخر متصلا بغربى هذا البستان سماه
القصر الاخضر وسمى ايضا المنصور وجعل له اربعة ابواب فى زواياه الاربع
(والموجود اليوم ثلاثة ابواب فقط) وبابين متصلين بالقصرين المذكورين وجعل
فى وسط البستان قبة تتصل بها فى الجهات الاربع مماش تقضى الى قباب آخر
واسس بجوار قصره مسجد بريمة مع مدرستين للطلبة (الاستقصا ج 4 ص 90)

وتدين العاصمة الاسماعيلية للمولى محمد بن عبد الله باعظم جوامعها وهو جامع (الروى) الذى اكد مارسى ان مظاهر روعته وجماله تتجلى فى (تناسب صحنه وباحته وبتصميمه الذى عولجت فيه العناصر التقليدية بروج اجنبية عن الفن الاسلامى بانعدام اى ممشى وتتنا سق اجزاء الصحن الخارجى الذى لا يحيط به اى رواق ثم وضعية الابواب وتوزيعها الخاص المنافيان للمعهود فى خوخ المساجد المغربية مما يدل فى نظر المؤرخ الفرنسى على استعانة السلطان بمهندس اوربى لتخطيط هذه البناية .

وفى فاس الجديد يوجد المسجد الذى بناه مولاي عبد الله نجل المولى اسماعيل .

وتشتمل جميع هذه المساجد العلوية على صحنون - قليلة العدد - تخترق المسجد على نسق ما عوهد فى فاس منذ ازيد من احد عشر قرنا باستثناء الفترة المرينية - اما فى الرباط فان جامع السنة الواقع خارج مشور تواركة من بناء سيدى محمد بن عبد الله الذى اوصل الناصرى الى نحو السبعين عدد منجزاته المعمارية ما بين منشأ ومجدد فى كثير من مدن المغرب علاوة على الصقائل والابرار والحمامات والاسواق والاضرحة والمدن (انفا وفضالة والمنصورية والصويرة) (I)

وقد تجدد بناء جامع السنة اواخر القرن الماضى ثم فى السنين الاخيرة وهو يحتوى على ساحة تحتل المقام الاول - مع ساحة صحن الجامع الاكبر بسلا - بين مساجد المغرب وتقوم فى جانبها الموازى للقبلة ست عشرة غرفة كان يسكنها الطلبة الافاقيون ويشبه هذا المسجد فى معالمه المعمارية الخاصة مسجد لالة عودة مكناس (2)

اما فى الهندسة العسكرية فان العلويين ساروا على غرار أسلافهم السعديين فالمولى اسماعيل اعظم من اقام القلاع والحصون وتنقسم القصبات التى اسسها

I - الاستقصا ج ص 121

2 - تاريخ المغرب ج 2 ص 358

الى ثلاثة انواع تبعا للمراد منها حسب المؤرخ طيراس (I) فهناك نقط محصنة حول القبائل المتمردة وسلسلة من القلاع فى تادلة واعلى الملوية لصد قبائل الاطلس الاوسط ثم سلسلة ثالثة من القلاع اسست على طول الطرق الكبرى الممتدة بين تازة وتارودانت وقد توفرت كل حامية على جمهرة من الفرسان تتراوح افرادها بين اربعمائة وثلاثة آلاف رجل (12) ومن جملة القلاع المهمة التى مازالت قائمة الى الان قلعة ادخسان فى الشعاب الشمالية للاطلس واكوراي (وهى التى احتفظت اكثر من غيرها بهندامها الاصلى) التى تراقب الاطلس الاوسط وقلاع تادلا وحמידوش (على مسافة ثلاثين كلم من اسفى) وبو الاعوان (على بعد 60 كلم) من ازمور) ومديونة (على مسافة 20 كلم من الدار البيضاء) وكانت كل قصبة مسورة ومجهزة بابراج مربعة الشكل او مستطيلة فى احد جوانبها وتتضمن مسكن القائد والمسجد ومستودع المؤن والغالب ان القلعة لم تكن لها اكثر من سور واحد عدا قلعتى حميدوش وتادلا اللتين كانت لهما حظيرة مزدوجة .

وقد جهزت المدن كذلك بالصقائل والحصون (13) وانتشرت القلاع على ساحل المحيط الاطلسيقي بالمهدية والدار البيضاء والعرائش وطنجة والصويرة وبالاخص الرباط حيث تشرف اعظم واروع قصبة (قصبة الوداية) على مصب ابى رقراق وتوجد بهذه المدينة ابراج ثلاثة اخرى هى برج الصراط وبرج صقالة (من بناء المهندس احمد الانجليزى فى سنتى 1755-1776) فى عهد سيدي

١ - ذكر الزيانى فى الترجمان (ترجمة هوداس ص 35) ان عدد فرسان كل قلعة كان يبلغ مائة على رأسهم قائد مسؤول عما يقع فى اقليمه من احداث وكان فى قلعة باب الخميس حامية تتركب من خمسمائة فارس من شراكة كلفوا بالسهر على الامن فى الطريق الواقعة بين الساييس والمهدومة (وادى المهدومة من فروع سبو) .

٢ - وقد اختط سيدي محمد بن عبد الله مدينة الصويرة واتقن وضعها وتأنق فى بنائها وشحن الجزيرتين الدائرتين بمرساها كبرى وصغرى بالمدافع وشيد برجا على صخرة داخل البحر وجلب اليها تجار النصارى مستقطا عنهم الاعشار ترغيبا لهم فعمرت فى الحين (الاستقصا ج 4 ص 99) .

٣ - بنى المولى سليمان مسجد الرصيف بفاس ورصف طرقات المدينة وبنى الصقائل والابرار بطنجة وبنى قنطرة وادى سيدي حرازم بخولان ومسجد الجزارين بسلا ومسجد السويقة بالرباط وقصر البحر بها وقنطرة ام الربيع وجدد قنطرة تانسيفت وذلك زيادة على المجدد والمرمم من العمارات المتعددة (الاستقصا ج 4 ص 171)

محمد بن عبد الله وبرج الدار الحديث العهد (عام 1824م) (I) ومن بين العمارات الاستراتيجية العلوية القنطرة فوق نهر سبو على مسافة أربعة كيلومترات من فاس (وهي من بناء مولاي رشيد) وقنطرة ام الربيع (بنيت أيام مولاي اسماعيل وقيل أيام مولاي سليمان) (حسب الناصري الاستقصا ج 4 ص 171) التي لا يقل طولها عن طول القنطرة الرشيدية مع عشرة اقواس من الحجر. اما الدار المغربية فانها احتفظت بتصميمها وهندامها المعماري اللذين اصبحا المظهر التقليدي منذ نهاية العهد المريني اى منذ نحو من خمسة قرون فالباحة الداخلية التي تتصل بالخارج عن طريق ممر منعرج - يتناسب مع لوازم الحجاب العرفية - محاطة باروقة مسقفة مستطيلة على النمط اليوناني الروماني .

وتتفتح فيها غرف ذات ابواب ضخمة تعلوها شماسات مفرغة وتقوم على جانبها نافذتان متوازيتان وفي احد جوانب «وسط الدار» يوجد بهو منسق الجدران كباقي أجزاء المنزل علاوة على سقاية تواجه البهو احيانا .

ويرى المؤرخ جورج مارسى ان الدور المغربية تتسم بمياسم ثلاثة او ترجع الى ثلاث مدارس هي مدرسة الرباط وسلا ومدن الساحل (2) ومدرسة مكناس وفاس ومدرسة مراكش ومدن او قرى الجنوب فالتصميمات واحدة في هذه المدارس (3) وانما يختلف الهيكل العام ومعالم الزينة تبعا لهذه الاقاليم فالاسلوب الموحد يغلب وجوده في المدن ذات الطابع الاندلسي حيث تحيط مثلا الحنايا

I - كان عدد المدن في العهد العلوي مائتين وخمسين مدينة لاحتوى اصغرهما على اقل من ثلاثين الفا من السكان وكان بفاس ستة عشر مائة الف نسمة (اسماعيل الاكبر امبراطور المغرب - دوفونطان ماكسانج ص 14) هذا بينما كان عدد كبريات الحواضر في الاندلس يبلغ العشرين حسب ابن سعيد والمدن الوسطى ثلاثمائة مع عدد ضخم لا يحصى من المراكز الصغرى من بينها اثنا عشر الفا على ضفتي الوادى الكبير وحده (نفح الطيب ج I ص 106)

2 - تواريخ الرباط لكايى ص 30

3 - هذا الاسلوب يغلب حتى بفاس التي يشرف على دورها الطابع المريني وتلاحظ كذلك تأثيرات اوربية في هذه المدن اذ لا ننسى مثلا ان السويد والدانمارك كانتا تمدان السلطان سيدى محمد بن عبد الله بمهندسين وصناع فى البناء (كودار ج 2 ص 563)

الحجرية بساحة الدار الوسطى (I) وهذه الطريقة الهندسية مقتبسة من
الاندلس .

وفى بعض المدن كفاس حيث تسيطر التقاليد المرينية تحتوى الدار على
طابقين تتوفر فيهما مظاهر الزخرفة بينما يتبسط هذا الاسلوب فى مدن الشمال
الاخرى كوزان وتازا (باستثناء تطوان الاندلسية الهندام)

وسواء فى الجنوب ام فى الشمال فان الطوب والآجر يتعارضان مع
الاحجار غير المنحوتة والمجيرة فى الرباط وسلا ويتجلى ذلك فى نضاعة البياض فى
هاتين المدينتين ازاء مراكش الحمراء غير ان معظم الدور الكبرى كانت تحتوى
على روض - يشغل جناحا خاصا باروقته وغرفته وظلت بعض المدن متمسكة بهذه
التقاليد الاندلسية ففى تطوان مثلا يملك الاثرياء مصطافات «وجنانات» لقضاء
حقبة من فصلى الصيف او الربيع ولم تكن اثمان العقارات مرتفعة بالبادية
فالهكتار الواحد من الحدائق المغروسة كان يساوى آخر القرن الماضى بطنجة
مائتى فرنك بينما كانت قيمة الفدادين (من 8 و7 هكتارات) لاتزيد على مائة
فرنك اما فى الداخل فكان فى وسع المرء ان يصبح ملاكا بمائتى او ثلاثمائة فرنك
(18) .

وقد تجلى ذوق الملوك فى غراسات بعض الضيع كالمنارة بمراكش ولالة
مدينة بفاس وحمرية بمكناس واكدال بالرباط .

الفصل الثاني عشر

اسباب الحماية

منذ حرب الجزائر بدأ المغرب يصطدم بتدخلات متوالية فاثارت فرنسا مناوشات بالحدود الشرقية واستغلت دول اوربا ضعف جهاز الدولة لاستئصال كل صمود امام تسرب التجارة الاربوية وتنازل المولى عبد الرحمن عن احتكار الواردات لفائدة المملكة كما خفض رسوم الاصدار الى عشرة في المائة واسفر «الباب المفتوح» عن غلاء الاسعار وعن تكتل الفكر العام ضد المغير الاجنبى لاسيما بعد الاستفزازات الاسبانية فى حدود سبتة وحرب تطوان واضطرار المغرب الى اداء مائة مليون بسيطة من التعويضات واقتناء الاملاك فى التراب المغربى وازدياد المحميين من المواطنين وبالرغم عن اعتراف المغرب (اتفاقية 19 غشت 1863) بحماية فرنسا للفلاحين المشتغلين مع الرعايا الفرنسيين فان فرنسا ظلت تستغل جميع الفرص للانقضااض على الحدود حيث توغل الجنرال ويمبفن من التخوم الصحراوية الى ابواب تافيلالت ولم يتمكن محمد الرابع ولا الحسن الاول من ضمان امتداد الكيان المغربى الا بفضل سياسة البرود والتدافع بين الدول على ان السلطان واجه فرنسا بالمثل فاستغل ضعفها بعد حرب 1870 لمنازعتها

توسيع حق الحماية الناتج عن معاهدة 1867 واتفاقية 1863 (I) وقد احيلت القضية على مؤتمر دولي انعقد بمديرية عام 1880 شارك فيه لأول مرة مع الدبلوماسيين الاوربيين ممثل سلطان المغرب فتضافرت الدول على فرض حق التملك للجانب بالتراب المغربي (اتفاقية 3 يوليوز 1880 شعبان 1298 هـ) ولولا مقاومة القبائل المغربية في حدود الجزائر للتسرب الفرنسي بتواطؤ مع السلطان لكان اقتطاع الاستعمار لهذه الترخوم اشد وكانت أنجلترا تنافس فرنسا وتسعى من جهتها لبسط حمايتها على المغرب وحاول السلطان الاستفادة من هذا التنافس لعرقلة واحباط الاطماع الاجنبية .

ويموت الحسن الاول (1311هـ - 1894م) انفتحت ثغرة خطيرة في الكيان المغربي فتحكم الحاجب «ابا حماد» بن موسى في اختيار الامير الجديد المولى عبد العزيز الذي لم يكن عمره يزيد على ثلاث عشرة سنة (2) وكان ضعيف الطبع ميلا الى المرح مما شجع ابا حماد على فرض وصايته على العرش وفصل الامير الشاب عن الاستعداد لاستلام مقاليد الحكم ولم يتردد ابا حماد في الانتصاب كوزير فاستجاش بذلك المولى محمد وعم السلطان المولى عمر وءال الجامعي الذين ابعدوا عن الوزارة وصودرت اموالهم وبتنصيب اخويه على الحجابة ووزارة الحرب اكتملت مقومات حكم استبدادي ضمن مع ذلك للمغرب السلامة المالية والاستقرار خلال ست سنوات وكان قوام الاستصحاب السياسي هو مفاوضة القبائل ومدافعة الدول الاوربية

ولدى وفاة ابا حماد استوزر السلطان كاتبه الحاج المختار بن احمد ونصب على وزارة الحرب المهدي المنبهي الذي مالبت ان اصبح صاحب السر ومنظم الملاهي بينما تعين فضول غرنيط صدرا .

وكان للسلطان ولوع بالاصلاح غير ان تهالكه على ارضاء غرائزه الصبيانية جعله ينساق مع التيار الغربي وينهمك في اللعب المجلوبة من اوربا فاحاط نفسه بشرذمة من المغامرين والسماسرة مثل ماكلين الانجليزي الذي

(I) تاريخ افريقيا الشمالية - اندري جوليان ص 727 نقلا عن تقرير للصحافي الانجليزي هاريس الذي اتصل بالحسن الاول وترك لنا وصفا عن حياته .
(2) ويظهر ان الحسن الاول كان قد نحي عن ولاية العرش نجلة المولى محمد وجعل مكانه المولى عبد العزيز .

ظل ربع قرن مدربا للجيش وقد تمخض تهافت المسيحيين على البلاط عن سريان موجة من الاستياء في نفوس الشعب المحافظ ما فتئت ان استحوطت الى تمرد عارم لاسيما بعد تقرير استغلال الزكوات والاعشار الشرعية باسم الترتيب وتسخير الامناء والعدول لجبايتها وكان القواد في طليعة المتدمرين نظرا للرفد الفادح الذي كانوا يستدرونه من الضرائب بتحديد اجورهم وكذلك بعض القبائل والاشراف الذين لم يعد يشملهم الاعفاء فنتجت عن ذلك فوضى واختلال في عصب الدولة زاده تأزما قيام الجيلالي بن ادريس الزرهوني المعروف ببوحماره الذي انتحل السحر وتطوف على القبائل بالجزائر وتونس وادعى الشرف وزعم عند اهل غياثة انه المولى محمد أخو السلطان واجج الثورة في جباله وايت يوسى وكروان وزمور السلاح واتخذ تازة حضرة لامارته فاحتل وجدة وضعف المخزن عن قمعه وتحللت دعائم الدولة لاسيما وان اوربا اصبحت تجنى مازعه دعائها من قلاقل فتأزم الوضع الدولى وانفتح ملف القضية المغربية واندس الفرنسيون لتحقيق احلامهم ببسط نفوذ فرنسا عن طريق التدخل المسالم تعزيزا للسيطرة على افريقيا الشمالية ونادى جوريس على منصة البرلمان بحماية فرنسا الاقتصادية على المغرب «وقد بدأت فرنسا منذ ان خلا لها الجو ب وفاة ابا حماد (1318هـ-1900) في سلسلة مناوراتها لاقتطاع اطراف المغرب الشرقى بفرض اتفاقيتى عام 1319هـ (20 يوليو 1901 و 20 ابريل 1902) حسما للوازم معاهدتى طنجة ولالة مغنية. (1844-1845) واقتطاعا من الاقاليم التى حددتها الاتفاقية التركية العلوية وهكذا انفتحت امام المغرب جبهتان اذكى كلتيهما الاستعمار خضدا لشوكة المملكة فاحتلست فرنسا بدعوى ضمان امنها فى التخوم المغربية الجزائرية مراكز بشار وفرطاسة وبركنت واصبحت فى ظرف سنتين (1904-1906) مالكة لزام الهضاب العليا الى ملوية وتزايدت الفوضى وانضم زعير وزمور الى الثوار وعاث الريسونى فى الشمال وانقطعت المواصلات بين الاقاليم التى تخللتها جيوش بوحماره الرابضة فى تازة وتكونت بفرنسا «لجنة المغرب» داعية الى التدخل المسلح لبسط وصاية على المملكة فتعاون مع الاسبان وبدأت سلسلة الاتفاقات السرية تبرز للعيان تواطؤ الدول الاوربية التى تقاسمت النفوذ فى مصر وليبيا والمغرب وبذلك اعترف الانجليز (8 ابريل 1904) - (22 محرم 1322 هـ) لفرنسا بنوع من الحماية على المغرب فى مقابل اندراج مصر فى منطقة النفوذ البريطانى وناب اسبانيا حظها من هذا الاقتطاع شمالى المغرب (3 اكتوبر 1904) وبدأت

فرنسا تعزز تسربها السياسى بقروض مالية 68.500.000 فرنك) اعقبتها بمراقبة الجمارك وتنظيم مصالح البريد والبرق واشراف ضباط فرنسيين على تدريب طوابير مغربية غير ان المانيا أثارت عام 1905 أزمة دبلوماسية بأوروبا مالبثت أن شجعت السلطان على الانتفاض والاحتجاج ضد اتفاقات 1904 بواسطة سفارة الى برلين يرأسها الصدر ج محمد المقرئ وفى 31 مارس 1905 (24 محرم 1323هـ) نزل غليوم الثانى عاهل المانيا بطنجة مؤكدا انه يزور سلطان المغرب كملك مستقل وانه يامل ان يتفتح المغرب الحر تحت سيادة السلطان العليا للتنافس المسالم بين جميع الدول دون اى امتياز ولا احتكار «وكانت المبادلات الاقتصادية المغربية الالمانية تمثل آنذاك عشر صفقات المغرب الخارجية فكانت المانيا تطمع فى توسيع نفوذها بالمغرب فهالها ان تبرم اتفاقات دون مشورتها وهبت لاعلان موقفها مقترحة باتفاق مع المغرب عقد مؤتمر دولى لانهاء هذا الوضع الشاذ قابرمت اتفاقيتان بين فرنسا و المانيا (6 و 8 جمادى الثانية 1323 - 8 و 10 يوليوز 1905) لتخطيط جدول اعمال المؤتمر بضمان سيادة واستقلال وكيان المغرب وحرية الاقتصادية فكانت نكسة لفرنسا رغم الاعتراف لها بالوضع الخاص وانتصارا للريخ فى الحقل الاوربى غير ان الحالة الدبلوماسية والعسكرية قد تغيرت فى اوربا بعد انتهاء الحرب الروسية اليابانية وتعزيز فرنسا لجهازها الدفاعى فتوثقت العرى من جديد بين انجلترا والدول اللاتينية الثلاث واضطرت المانيا الى التنازل حيث لم تقف فى صفها سوى النمسا بينما تكتل الباقون حول فرنسا فلم يؤيد عقد الجزيرة (12 صفر 1324 - 17 ابريل 1906) الذى لم يزد على المناداة باستقلال السلطان وصون كيان مملكته والمساواة الاقتصادية بين الدول مع تدويل حركة الاصلاح باسناد الشرطة الى ضباط بلجيكيين وفرنسيين واسبان وتأسيس بنك مخزنى ائمة وجمعية دولية لاستغلال التبغ ولعل الوضع الجديد قد قلص من غلواء الاطماع الفرنسية غير ان بنود العقد ظلت عمليا حبرا على ورق نظرا لانفراد فرنسا فى الميدان ولا استمرار العمل السرى بالاتفاقات السابقة وقد تعللت فرنسا بخرق عاملى وجدة وتافيلالت للا وفاق وباقتبال البلاط لماء العينين واغتيال احد الفرنسيين بطنجة ومهاجمة اخرين بالصويرة ومراكش حيث قتل الدكتور موشان كما قتل سبعة عملة اوربيين من بينهم خمسة فرنسيين - بالدار البيضاء (1907) للقيام بحملتين على المغرب الشرقى والشاوية وبذلك احتل الجيش الفرنسى (14 صفر 1325هـ - 29 مارس 1907) وجدة

ودأثرتها ثم استولى الجنرال ليوطي (1907 - 1908) على مجموع بنى يزناسن اما فى الدار البيضاء فان طرادة فرنسية نزلت بالميناء (25 جمادى الثانية 1325 هـ 5 غشت 1907) وقنبلت المدينة التى هب لاحتلالها فيلق يحتوى على الفين من جنود الجزائر بقيادة الجنرال درود وقد دافعت القبائل المجاورة عن حوزة هذا الاقليم ولكن الجيش الفرنسى تلقى الامر من حكومته بدعوى اقرار النظام وحماية القناصل للزحف على الشاوية وفى 16 غشت من نفس الشهر بايع الشعب فى مراكش المولى عبد الحفيظ الذى رابط جيشه بمديونة فى الوقت الذى وصل فيه المولى عبد العزيز الى الرباط واقتحم درود تعزيزا لحركته قلعة مديونة فى اول يوم من عام 1908 ثم انبرى خلفه الجنرال داماد لاحتلال فضالة وبوزنيقة لحماية السلطان مولاي عبد العزيز وكانت فرنسا تزحف بحذر ضد المولى عبد الحفيظ خشية اثاره المانيا باستفزازاتها غير انها لم تتردد فى مواصلة الزحف الى سطات التى احتلتها وجلت عنها اربع مرات ثم ابن احمد وسيدى سليمان وازمور ودكالة بالرغم عن احتجاجات الصحافة الالمانية واستقرت قوات الاحتلال بالشاوية تحت امرة الجنرال موانى الذى خلف الجنرال داماد وتابع المولى عبد الحفيظ سيره معززا من طرف المانيا فبايعته فاس (7 جمادى الاولى 1326 - 7 يونيه 1908) وانهزمت كتائب المولى عبد العزيز الذى خلع عن العرش والتجأ الى الشاوية ثم طنجة واضطرت الدول الموقعة على عقد الجزيرة ازاء التفاف الشعب حول الملك الجديد الى الاعتراف به بشرط موافقته على التزامات سلفه فتم ذلك فى 5 يناير 1909 وطوقت المانيا تدس لفرنسا بتحرير عناصر من اللفياف الاجنبى على الفرار مما حدا بحكومة باريس الى ادانة المانية امام محكمة العدل الدولية بلاهاى (2 جمادى الاولى 1327 هـ 2 مايو 1909)

وانتهى النزاع بابرام اتفاقية اعترفت فيها المانيا - فى نطاق عقد الجزيرة بمصالح فرنسا الخاصة واحقيتها باقرار الامن والنظام فى المغرب ومع ذلك بقى المولى عبد الحفيظ ينافح واضعا الاشواك فى طريق التنفيذ مما اضطر فرنسا الى التعهد بالجلء عن الشاوية والمغرب الشرقى بمجرد ما يتمكن المخزن من اعادة الامن بواسطة جنود يدربون على يد ضباط فرنسيين واقترض المغرب من فرنسا عن طريق البنك المخزنى وتضاعف نفوذ باريس فى مراقبة الاملاك المخزنية والاشغال العمومية وتمكن المولى عبد الحفيظ من تنحية اخيه الاكبر مولاي الكبير وتمكن من القضاء على الشريف العلامة سيدى محمد الكتانى واعتقال بوحمارة

ونقله في قفص الى فاس حيث نفذ فيه الاعدام غير ان الشعب المغربي لم يتقبل الوضع الناتج عن اتفاقات الدول فواصل نضاله في المغرب الشرقي وملوية الجنوب والشمال ، حيث ثارت الشراردة وبنومطير ضد فاس وبايعت مكناس مولاي الزين وقامت فرنسا - تركيزا لنفوذها - بحماية فاس واعتقال مولاي الزين والضرب على ايدي الثوار بزغير وزمور وعزل نواحي الشرق وكانت فرنسا تعمل في الخفاء لتنفيذ ما بيته مع زميلتها الاسبانية التي استغلت حادثة التنكيل بعمال المنجم الحديدي بملييلة لارسال الجنرال مرنيا في حملة ضد السكان تمهيدا لعقد معاهدة مع السلطان (I4 ذو القعدة I328 هـ - I7 نونبر I909) ابتزت بمقتضاها فوائد جديدة في الحسيمة وسبتة مع تعويضات حربية ثم بدأت منذ العام التالي تحتل القسم الاطلنطي من المنطقة الشمالية فاقترحت العرائش والقصر الكبير ثم حاولت فرنسا تعقيم سير التهجئات الالمانية بمشروع مشترك لاستغلال الكونغو وازاء استعصاء تنفيذ المشروع أعلنت المانيا (I يوليوز I9I0) ارسال بارجة الى ميناء اكادير لحماية دورها التجارية فكان لذلك وقعة في كل من انجلترا وفرنسا وكان العامل الاساسي هو ان المانيا شعرت بان عقد الجزيرة امسى حبرا على ورق وان العمل الدولي بالمغرب مجرد تضليل وكانت هي ايضا تود الحصول على حظها من الغنيمة بتعويضات في افريقيا الاستوائية فأبرمت اتفاقية بين الطرفين (4 نونبر I9II) في مقابل حماية المغرب وظهر بذلك مقصد فرنسا وهلهة السند الالمانى فانهار كل حاجز امام بسط الحماية الفرنسية التي امضيت معاهدتها في II ربيع الثاني I330 هـ - 30 مارس I9I2 بين السلطان والممثل الفرنسي رينيو .

وسبقت هذه المعاهدة الاتفاقية الفرنسية الاسبانية 27 نونبر I9II التي حصلت اسبانيا بموجبها اكثر مما ضمنته لها اتفاقية I904 فتمزق المغرب باقامة منطقة اسبانية مستقلة تحت امارة خليفة يختاره السلطان من بين مرشحين تقدمهما اسبانيا وتأسست شركة فرنسية اسبانية لاستغلال خط حديدي بين طنجة وفاس وظل نظام طنجة موقوفا الى عام I923 م (I34I هـ) وبهذه الافة الاستعمارية العارمة فقد المغرب استقلاله لأول مرة في تاريخه منذ الفتح الاسلامي اى في فترة كان العالم العربي والاسلامى يتجه بخطى حثيثة نحو حياة دستورية برلمانية ولم يحل توالى النكبات والتدخلات الاجنبية دون صدور مشروع دستور مغربي في I5 رمضان I326 (II اكتوبر I908) مركب من اربعة فصول و 93 مادة كانت مرآة لما تلجلج اذ ذاك في صدر الشعب من توقان الى حياة نيابية تضمن للامة سيادتها وللبلاد نظاما قويا تتوازن فيه المقومات في جميع مرافق حياة الدولة والقطاعات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية .

الفصل الثالث عشر

المقاومة المسلحة

اسفرت الدسائس الموصولة المنسقة بين بعض دول اوربا عن تشديد الضغط على المغرب بواسطة القروض الاجبارية وحركات التهدة المتعلقة بحماية الرعايا الغربيين والتخوم الشرقية عن فرض الحماية على السلطان مولاي حفيظ الذى كانت انتفاضته فى الجنوب تهدف الى صون السيادة بجيوش استنفرت من الصحراء واقضى الجنوب وتجمعت حشودها فى الساقية الحمراء بزعامه الشيخ ماء العينين وولده الهبة وانضمام المجاهدين من الاطلس والسهول وماكاد نبأ توقيع المعاهدة بفاس يطرق الاسماع حتى انتفض السكان والقبائل المجاورة وطوقت المدينة وامتلات الاسوار باآلاف المجاهدين بزعامه الحجام وثار الجيش السلطاني على ضباطه الفرنسيين وكانت ملحمة دامية قتل فيها عدد من الفرنسيين (17 ابريل 1912) وشارك فى الحملة الجماعية ضد الوجود الفرنسى العلماء والتجار والنساء والاطفال فقتلت فرنسا جانبا من المدينة واعدمت عشرات السكان وتجمعت السلطات فى يد شخصية عسكرية هى الجنرال اليوطى الذى ورد على فاس يوم 28 مايو فى خضم من الاضطرابات الشعبية ما لبثت ان شملت المغرب عن بكرة ابيه (I) فثار بنو مطير وكروان وزعير وتادلا وزحف الهيبة على

(I) يلاحظ أن العمال المغاربة الذين كانوا يشتغلون اذ ذاك فى ملة السكة الحديدية بين الرباط وسلا غادروا اعمالهم فى جنح الليل دون المطالبة باجورهم (كتاب اندرى كوليينز حول الحماية 1930 ص 104) .

مراكش ونقل السلطان بعد تنازله عن العرش الى فرنسا فبيع اخوه مولاي يوسف من الغد وسير اليوطى خمسة آلاف جندي لصد الهيبة وجيشه الزاحف نحو الشاوية وحصل منذ 1914 من فرنسا على قرض بلغ مأتى مليون فرنك لتصفية الماضى وشراء بعض الضمائر وتركيز القواد الاقطاعيين فى الجنوب وفى طليعتهم (التهامى الكلاوى) ومحاولة قمع شعاب الاطلس الكبير فى حركة عسكرية من مراكش الى الصويرة ودمنات بمعونة جهاز اقطاعى عملت فرنسا على مساندة تعسفاته وواصل الجنرالان مانجان وكورو حركة الابداء فى الشمال والشرق ثم قامت الحرب وحجزت الحماية قموح المغرب لفائدة فرنسا المحاربة التى درت عليها هذه الصفقات خلال ثلاث سنوات (1914-1917) ثلاثمائة مليون فرنك ذهبى (1) واندلعت الثورة فى تافيلالت عام (1916) ثم الملوية العلوية (1919) وظل جيش الاحتلال المتحرر من قيود الحرب يواجه الحملات القبلية طوال اربع سنوات (1920-1923) فى الاطلس الصغير وبين لكوس والملوية

واتسعت شبكة المقاومة المسلحة ، فى الاطلس والصحراء والشمال والجنوب فاستمرت فى زيان وبني مكيلى الى عام 1923 وفى وادى العبيد (2) من 1929 الى 1931 وفى ايت يحيى وايت اسحاق والبحيرة الى 1923 وفى ملول واعالى الاطلس الى 1933 وقد اصطدم القواد الاقطاعيون فى نفس الوقت بصمود شعبى أججته الحملات التى تبلورت فى مراكش ضد المستعمر واعوانه ثم فى الشمال هزم محمد امزيان بالريف عام 1909 ثلاث فرق اسبانية مات من رجالها جنرالان وعشرة الاف جندي ثم ثارت جباله عام 1913 فى الشاوان وتطوان الى أن تحالف الأسبان مع الريسونى خلال الحرب العظمى ورغم انهزام جيش الجنوب فى سيندى عثمان فان حركة الفداء امتدت جذورها فى الساقية الحمراء والسوس والاطلس الكبير الى عام 1935 (3) وقد ذاق الفرنسيون الامرين فى تافيلالت وآيت عطة على يد الشريف السملالى المعروف بموحا حمو نيفروطن الذى كافح ضد الجنرال بوميرو من 1917 الى 1929 فى انتفاضة أودت بحياة جم غفير من الجنود وواصل التضال خلفه النقادى الى 1935 •

-
- (1) اى مليار ونصف بصرف 1930 وأكثر من 30 مليارا بالصرف الحالى •
(2) اسر الوطنيون فى بنى ملال اربعة اوربيين فدتهم فرنسا بسبعة ملايين فرنك (كولينز ص 155) •
(3) راجع الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى للاستاذ علال الفاسى 1948 ص 107 •

وكانت الامة من نهر السنغال الى سواحل المتوسط قد قامت قومة رجل واحد لمناوأة المحتل ثم السلطان نفسه بعد توقيعه عقد الحماية ولم تنجح اساليب الاستعمار الناشئ التي ارتجلها لينوطى ودعت اليها ابواقه الصاخبة لان الامة لم تضع السلاح الا بعد نفاده في غير رهبة ولا رغبة

حرب الريف

وقد انبرى آل عبد الكريم الخطابي غب الحرب العظمى يواصلون سلسلة الغارات على الاسبان وكان والد محمد عبد الكريم قد حاصر تفريست قرابة شهر فمرض فتزعم ولداه تحرير دار ابارا المحتلة من المقاتلين الاشائوس ولم يبلغوا عدد رجال بدر ثم طاردا الاسبان بعد انهزام شنيع مات منهم في غمرته 400 جندي وستة ضباط وتعزز الروافة بالعتاد والمدافع والذخيرة المسلوبة وكان زعيم الريف قد اضاف الى تكوينه الاسلامي في جامعة القرويين دراية سياسية وحكمة عسكرية باتصاله بالاسبان في مليلية حيث تولى القضاء واكتشف نقاط الضعف عند الخصم وعزل من منصبه بعد احتجاج والده ضد احتلال الشاوية واعتقل مع اخيه عام 1920 ثم اطلق سراحهما فكانت نقطة انطلاق كللت بمعركة انوال التي انهزم فيها الاسبان في 21 يوليو عام 1921 بعد اصطدام شديد مدة ستة ايام واستولى المجاهدون على عشرات المراكز الحربية و220 مدفع و20.000 بندقية ومليون خرطوشة علاوة على السيارات مما ساعد الجيش الريفى على خوض غمار موقعة عريت والضرب على ايدي الاسبان الذين طوردت فلولهم الى ارباض مليلية ثم توبعت المعارك بين مليلية والحسيمة اسفرت عن اسلاب تعزز بها الجيش الريفى فاستدعى الجنرال برانجى قائد عملية الريف ومقيم اسبانيا العام بالشمال الى مالقة للتشاور حول الصلح ولكن العزم قر على الصمود بحشد خمسين الف جندي لتطويق بنى عروس وخاصة اجدير وفى يوم 25 مارس 1922 تصدت المدفعية الريفية لجيش العدو حول الحسيمة فخسر برانجى ثمانية الاف بين قتلى واسرى ودمر المغاربة مراكز كما اغرقوا بوارج حربية بمفعول سفينتهم الوحيدة واهتاج الاسبان وانصاعوا للاتفاق ولكن مطالبة الريفيين باستقلال المغرب الشمالى عن اسبانيا عرقل المهادنة وفى عام 1923 استولى المقاومون على مراكز العدو بين جبل درسة وشفشاون وكبدوه هزيمة فظيعة حول مدينة داغيت تخرج بعدها موقع الجيوش الاسبانية فبادرت حكومة مدريد بطلب الصلح

وانتدبت وفدا للتفاوض فاصر الريفيون على الغاء الحماية بينما عرض الاسبان على ابن عبد الكريم النياابة فى الريف عن خليفة السلطان وكانت الحكومة الريفية تعتبر نفسها مستقلة فى نطاق جمهورية انبثقت من الجمعية الوطنية وترأسها الزعيم وخلفه عليها اخوه امحمد وساعده وزراء المالية والخارجية والتجارة والعدل وكان دستور الجمهورية يطالب بالغاء كل اتفاق يمس حقوق المغاربة وبجلاء الجيش والاعتراف باستقلال الدولة الريفية وتعويض الريفيين عن الخسائر التى لحقت بهم اثنى عشر عاما وتوطيد العلاقات الخارجية مع العالم على قدم المساواة وكان لرئيس الجمهورية بحكم حالة الطوارئ اختصاصات القائد الاعلى للجيش والسلطات الواسعة غير المحدودة لرسم خطوط الدفاع .

وقد تعزز جانب هذا الهيكل عام 1924 بانضمام قبائل الجبل بين تطوان والانجرة ووادى لو وشفشاون ثم قوات اخرى من الفنيديق الى العرائش فاضطر رئيس حكومة مدريد الجنرال بريمودى ريفيرا الى استنفار سائر جيوش اسبانيا لحماية المراسى واستونفت المفاوضات فجددت جمهورية الريف المطالبة بالغاء عن المغرب ودفع تعويضات قوامها عشرون مليون بسيطة و 15 طائرة و 120 مدفعا ولكن الاسبان رفضوا وبدأوا ينسحبون عن مائتى مركز من مراكزهم وتطبيقا لمقررات المجلس الحربى الذى انعقد بتطوان غير ان استمرار الثورة فى خط الدفاع الاسبانى قطع انفاس العدو كما ان فرنسا شعرت بخطر هذه الاندلاعة التى توشك ان تهدد وجودها فى الجنوب ففتح قائدها المريشال اليوطى جبهة جديدة وكان يحسب ان اسبانيا ستكفيه هذه المؤنة ولكن توالى الهجمات الاسبانية حدته الى المبادرة بالهجوم على الحصون الامامية الريفية فى وادى ورغة وكان جانب من الفكر العام فى فرنسا واسبانيا قد بدأ ينظر الى الزعيم محمد ابن عبد الكريم كبطل للاستقلال المغربى ويدعو الى مساندته مما حدا بالحزب الراديكالى الاشتراكى الى مطالبة الحكومة الفرنسية بجعل حد لهذه المغامرة الريفية بمفاوضة الامير لاقرار الصلح ولكن المريشال بيتان الذى عينته فرنسا لقيادة العمليات كان من انصار مواصلة الحرب بتطويق الريف واثارة القبائل ثم مهاجمة قلب المقاومة وبعد انهزام فرنسا فى ورغة فكرت فى تنسيق جهودها مع اسبانيا التى كانت حرب الريف انهكتها ففكرت فى احتلال اجدير لانقاذ سمعتها ثم الجلاء عن المغرب كله ونجح بيتان فى اقناع الجنرال ريفيرا الاسبانى بالنزول فى الحسيمة معززا بالاسطول الفرنسى ثم احتلال اجدير وكان اليوطى

قد اقبل من منصبه كمقيم عام بالمغرب وخلفه السيد ستينغ وتازمت الحالة لان عوامل الثورة الريفية اندلعت فى الحواضر لاسيما بعد وصول روافدة الى تازة وتطوان فى حملات ظافرة بالبليان والكيفان وبعد ان تواردت رسل امير الريف الى قواد الاطلس تدعوهم للانقضاض تضامنا مع الشمال وقاطع الناس مدارس الحماية خاصة بناحية فاس فاحست فرنسا بتزايد الخطر الداهم الذى اصبح يهددها لا فى المغرب وحده بل فى افريقيا فحشدت فى ربيع 1926 اثنين وخمسين جنرالا ومائة وعشرين الف رجل و 22 سربا من الطائرات وعتادا ضخما صارفة فى ذلك عدة مليارات من الفرنك فلم يبق الاتنسيق العمل مع الاسبان لتحقيق حملة مشتركة ورغم كون ستينغ لم يكن يرى سوى وسيلة واحدة لانقاذ الموقف وهى التفاوض حيث طار لباريس واقنع وزير الحرب فان الحكومة الفرنسية لم تقتنع فاسفرت الحملة المنسقة التى عززت بعناصر التخاذل ودعاة الهزيمة من رجال القبائل والمشعوذين - عن استسلام محمد بن عبد الكريم يوم 25 مايه 1926 وكان الامير قد شعر بهذا التواطوء فرضخ للتفاوض الشريف وحمل السيد باران رسالة مهادنة الى ستينغ الذى ظل مصرا على سياسة التفاوض ولكن الامير مالبث ان نفى مع اخيه محمد وباقى عائلته الى جزيرة لارينيون وقد عرف الامير كيف يدلل على روعة انتفاضته التى لم تكن ثورة على العرش المغربى بل مجرد حرب تحريرية لاجزاء الوطن المغتصب ولم يكن فى هذه الحركة مايسمها بطابع صيلبى ولذلك اضطر الامير وهو فى غمرة الحرب الى استئصال بذور هذه الدعاية بايفاد رسل الى باريس ولندن وفى طليعتهم اخوه عام 1923 ثم عريضة اى عصابة الأمم ولكن بدون جدوى .

وقد قضى الامير فى منفاه احدى وعشرين سنة قررت فرنسا اثرها نقله عام 1947 الى بلادها فدبر مكتب المغرب العربى لدى نزول الامير بقناة السويس خطة لفراره فاستقر مع عائلته بالقاهرة واکرمت مصر وفادته واتصل بجلالة الملك الراحل محمد الخامس عام 1960 اثناء رحلته الى الشرق فاقنعه بالعودة الى الوطن وقرر الامير الرجوع للاستقرار بطنجة ولكن المنية عاجلته فى II رمضان 1382 (6 يبرابر 1963) .

الفصل الرابع عشر

الحماية الفرنسية تنعش

1912 - 1935

فوجئت (I) فرنسا تحت تيار الملابس المواتية يحدث لم تكن تحلم به وهو بسط حمايتها على معظم المغرب (2) وشرعت بمقتضى سيادتها الجديدة تعمل على إلغاء أو تقليص اثر معاهدات المغرب مع الدول فجردت المانيا من امتيازاتها التجارية استنادا الى معاهدة فرساي (28 يونيو 1919) وحجزت باسم المغرب املاك الريخ بالمغرب ثم الغت نظام المحاكم القنصلية (3) ومسطرة المزاد فى المشاريع الكبرى او الاستغلالات المعدنية الاممية ولم يبق من اللجان الاربع

(I) رغم تأسيس « لجنة المغرب » بباريس عام 1904 لدعم مطامع فرنسا بالمغرب فقد تأسست ضدها « شركة برلين المغربية » وقامت داخل البرلمان الفرنسى عام 1908 حملة ضد الوجود الفرنسى بالمغرب تزعمها جوريس الذى نادى بترك المغرب للمغاربة وندد باليوطى ورفض بعد ذلك المصادقة على معاهدة الحماية مع الفوج الاشتراكى ولم يكن جوريس فى البداية من المعارضين .

(2) كان وزير خارجيتها نفسه يقترح اقتسام المغرب مع اسبانيا على اساس منحها الغرب ووادى سبو وايناون وفاس وتازة ثم نصت اتفاقية 1904 على اقليم لم يكن يشمل القصر والعرائش فعوضتهما اسبانيا لفرنسا بجزء من وادى ورغة شمالا وبناحية تقح جنوبا بين وادى درعة ووادى سوس

(3) بظهري 1914 وموافقة الدول الموقعة على عقد الجزيرة عدا الولايات المتحدة وانجلترا فقد احتفظت هذه بمحميها وبريدها الخاص وطالبت باسم المساواة الاقتصادية بتعمير الاراضى الفلاحية مثل المعمرين الفرنسيين

المشكلة فى عقد الجزيرة - فى شأن السمسرات والاشغال العمومية والديوانة سوى لجنة التقويمات الجمركية التى تحدد تعاريف تقويم الصادرات والواردات واستطاعت فرنسا ان تجرد البنك المخزنى من طابعه الدولى لتحيله الى شركة فرنسية تملك ثلاثة اسباع الاسهم والمتصرفين الاداريين ($\frac{6}{12}$) تحت مراقبة المندوب السامى المغربى النظرية واحتكر البنك المخزنى اصدار العملة وسك النقود لفائدة الحكومة كما حصل على الاسبقية فى منح القروض لتطوير الاقتصاد

وحجرت فرنسا على السلطان رمز السيادة والمؤتمن على التشريع فصارت تحضر ما تشاء من الظواهر وتدفعها للختم السلطانى وتحكم المغرب حكما مطلقا من وراء السلطان والوزراء وثلة من رجال المخزن لا يتجاوزون الستين فكان الصدر الاعظم يركز القضايا الادارية بصفته وزيرا للداخلية ويقنن بواسطة قرارات وزيرية وتساعد فى تسيير الشؤون العامة ظاهريا وزارات العدلية (لا العدل) والاقواف والاملاك المخزنية وكان الصدر يشرف على المحكمة الجنائية العليا التى تبت فى الاحكام الصادرة عن القواد والباشوات بينما يخضع مجلس الاستيناف الشرعى لوزارة العدلية .

وكان الحاكم الحقيقى هو المقيم العام الذى استغل نفوذه المزدوج كموظف فرنسى ومغربى فى أن واحد لفرض التشريعات وتمثيل السلطان مع الدول الاجنبية والاشراف على المصالح الادارية وقيادة الجيوش البرية والتصرف فى القوات البحرية بمساعدة اربعة دواوين وكانت توجهه عمليا وزارة الخارجية الفرنسية كما ينوب عنه وزير مفوض عند الاقتضاء وكانت الكتابة العامة للحماية هى التى تسيير مصالح المراقبة عن طريق ادارة الشؤون الاهنية والاستعلامات وادارة الشؤون المدنية (البلديات والسجون والشغل والشؤون الاجتماعية) كما تسيطر على مرافق الدولة بواسطة المصالح المالية (الميزانية والضرائب والتسجيل والاملاك المخزنية والخزينة العامة) والاقتصادية (ادارة الاشغال العمومية وادارة الفلاحة والتجارة والتعمير وادارة البريد والبرق والهاتف) والاجتماعية (الادارة العامة للتعليم والفنون الجميلة والقديمة والادارة العامة للصحة) والادارة العامة للشؤون الشريفية (المكلفة بربط العلاقة بين المخزن والاقامة العامة عن طريق مراقبين)

اما فى الاقاليم فان الباشوات والقواد والقضاة اصبحوا يتقاضون اجورا

خاصة وتراقب اعمالهم من طرف موظفين فرنسيين كان معظمهم ضباطا عسكريين وقد قسم المغرب آنذاك الى اربع نواح عسكرية (فاس ومكناس وتازة ومراكش) واربع نواح مدنية - الشاوية او الدار البيضاء والرباط والغرب وعمالة وجدة - عملاوة على اربع مقاطعات بدكالة (الجديدة) وعبدية (اسفى) والشيماطمة (الصويرة) ووادي زم .

التنظيم البلدى

وقد احيلت المراكز الحضرية الى بلديات عددها خمس عشرة يعين الباشا على راسها بظهير بصفته رئيسا للبلدية والمؤتمن على التقنين البلدى وممثل السلطة العليا وبجانبه رئيس فرنسى للمصالح البلدية وقد صدر ظهير عام 1917 يجرّد الباشا من نفوذه لفائدة هذا الموظف الفرنسى فى ميدان الشرطة والاعمال البلدية والصحة والاسعاف ومراقبة البناء والمالية والحالة المدنية اما المجالس البلدية الاهلية او المختلطة فان نظامها كان عرفيا يستمد من تقاليد المدينة باستثناء بلديتى فاس والدار البيضاء ففي الاولى ينتخب اعضاء المجلس البلدى الاهلى بينما يشكل الفرنسيون مجلسا خاصا بهم وفى الثانية يعين الاعضاء بمقتضى ظهير 1922 لثلاث سنوات يجدد ثلثهم كل عام وينتخبون نائبا للرئيس .

وقد تعززت مرسى الدار البيضاء التى كانت تشكل منذ عام 1907 اكبر ميناء تجارى بالمغرب غيران الجالية الاوربية ارتفعت من الف عام 1907 الى خمسة آلاف عام 1909 ثم تسعة عام 1912 بينما قفز الرواج الاقتصادى فى ظرف خمس سنوات (1908 - 1913) من 19 الى 80 مليون فرنك وبعد توقف الهجرة خلال الحرب العظمى تواردت رؤوس الاموال الاجنبية وتضاعفت المضاربات واثمان الاراضى الحضرية ثم قام نوع جديد من المضاربة ابتداء من عام 1923 للبحث عن الاراضى الزراعية فاسست الضيعع بالاضافة الى العمارات وتزايد عدد سكان الحاضرة بهجرة الاوربيين والبدو حتى ارتفع من خمسة وثلاثين الفا عام 1907 (من بينهم 5000 اوربى) الى 47000 الفا عام 1912 (9000 اوربى) و 106000 (35000 اوربى) سنة 1926 كل ذلك بسبب تفكير البادية وتهافت سكانها على الميناء والمصانع والاوراش انتجاعا للعيش وقد فتحت فى هذه الفترة بالدار البيضاء 165 كيلومتر من الطرق و90 كيلومتر من قنوات

الماء الحار و 49 هكتارا من الرياض والجنان فى نفس الوقت الذى انبثقت دور
القصدير الموبوءة لايواء المهاجرين البدو .

واضطرت فرنسا لمواجهة المقاومة المغربية المسلحة الى صرف ازيد من
مليار و 300 مليون فرنك ذهبى فى العمليات العسكرية بين 1914 و 1918،
ارتفعت الى نحو مليارين خلال تسع السنوات التالية .

موارد الدولة

وكانت ادارة الحماية (ادارة المالية) تتصرف فى ميزانية الدولة التى
تستشير فى اعدادها مع لجنة الميزانية المركبة من المعمرين الاجانب الذين
يحتكرون وضع التقارير المالية فيما سمي بمجلس شورى الحكومة وتصادق
وزارة الخارجية الفرنسية على المقررات قبل ان تعرض شكليا على الخاتم
السلطاني وقد بلغت اول ميزانية للحماية عن 1913-1914 سبعة عشر مليونا
من الدخل و 24 مليونا من النفقات وبارتفاع الفاضل عام 1920 الى 53 مليونا
فرضت فرنسا على المغرب تحمل نفقات العمليات العسكرية وتجمع فى صندوق
الرصيد المغربى عام 1928 ازيد من 500 مليون صرف الكثير منها فى الحركات
العسكرية (31 مليون) وشراء القطع الارضية للمعمرين (13 مليون) علاوة على
نفقات التجهيز المدرسى الزهيدة (16 مليون) والصحي (10 ملايين) والبريدى
(10 ملايين) ومنذ 1930 بلغ الخصاص لاول مرة نحو 13 مليون فرنك اما موارد
الدولة فكان اهمها الترتيب المفروض على المحاصيل والاشجار والماشية والذى
كان المزارعون المغاربة يتحملون معظمه (هذا الترتيب كان زهيدا بالنسبة
للاوربيين) (1) وقد بلغت مداخيله نحو 143 مليونا عام 1928 والمورد الثانى هو
الجمارك التى تحررت من القيود المفروضة عليها منذ عام 1904 (وكان المولى عبد
العزیز قد رهنها مقابل السلف الاجنبى) وكانت تعاريف الديوانة تبلغ عشرة
فى المائة بالنسبة لمعظم البضائع المجلوبة باستثناء المجوهرات والحرائر والانبذة
والمعاجين الغذائية التى كان يؤدى عنها خمسة فى المائة وذلك بالاضافة الى اثنين
ونصف فى المائة لفائدة صندوق الاشغال العمومية وكانت الاسمدة والالات
الفلاحية محررة الا من هذه الاضافات وقد تقرر عام 1926 الغاء الضرائب المفروضة

(1) كتاب الحماية لكولينز ص 225

على الصادرات وبلغ دخل الديوانة عام 1928 نحو 210 ملايين بينما وصلت موارد الضرائب الجديدة الموظفة على مواد الاستهلاك منذ عام 1914 الى نحو 144 مليونا وقد ثقل كاهل الدولة المغربية بقروض متوالية انضافت الى سلفات ما قبل الحماية (نحو 170 مليون بين سنتي 1904 و 1910) فاستسلفت فرنسا باسم المغرب لاداء الديون وتعويضات ضحايا حوادث فاس ومراكش 242 مليونا عام 1916 ثم 744 مليونا عام 1920 ادى المغرب منها 300 مليون فبقى عليه عام 1928 ازيد من 700 مليون يؤدي منها اكثر من مائة مليون سنويا .

العملة

وظلت السكة الحسنية المضروبة عام 1880 هي العملة الراضة فى السوق الرسمية وان كان الاجانب طفقوا يستعملون النقود الاسبانية والفرنسية فى صفقاتهم وكانت قيمة الحسنى ترتفع وتنخفض نظرا لاحتياج الناس الى العملة الاجنبية فى الشتاء لاقتناء السكر والشاى والقطنيات وقد استقرت القيمة منذ 1916 فى 125 فرنك ثم تزايدت قيمة معدن الفضة فصاربت اسواق العالم فى جلب الحسنى واقرت حرية الصرف (ظهير 15 اكتوبر 1919) فاخفت العملة الوطنية من المغرب بعدما ارتفعت قيمتها الى 160 فرنك وانعدمت ثقة الناس بالاوراق البنكية فاحرقوا بعضها اظهارا لسخطهم ولكن الحسنى الغى (ظهير 19 مارس 1920) وعوض بالفرنك المغربى (ظهير 20 يونيه 1920) فراج منه عشرون مليون فى اءاخر السنة ووصل هذا الرواج فى متم 1926 الى 415 مليون وابرمت اتفاقية عام 1928 بين البنك المخزنى والخزينة الفرنسية لاقرار المساواة بين العملتين عقبها صدور ظهير (6 شتنبر 1928) يحقق تعادل الوزن الذهبى للفرنكين (65 ملغرام) ويلزم البنك المخزنى بتعويض الاوراق نقدا ذهبيا واصدار نقود فضية من عيار عشرة فرنكات وعشرين فرنكا وكان رواج الاوراق مضمونا برصيد من الذهب المسكوك او المسبوك والاسترلينى والدولار يمثل تسع الراض باضافة قدر من الفرنك الفرنسى يتمم ثلث ضماناة الورق المتداول .

وقد تعززت موارد الدولة منذ 1930 بمداخيل الفوسفاط التى بلغت مائتى مليون فرنك وبمكوس الاسواق والتنبر والتسجيل والضريبة التجارية وضريبة

السكنى وضريبة الاراضى غير المبنية (التي الغيت عام 1930) فتضجر الشعب من هذا العبء الفادح حيث تضاعفت نسبة الزيادات فى الجبايات الموظفة على مواد حيوية كالشاي والسكر والقهوة خمس عشرة مرة بين سنتى 1914 و1930 وتقول مصادر الاقامة العامة بان مشاريع التجهيز هي التي كانت تبرر هذه الزيادات لأن الدولة المغربية ساهمت فى شركة الخطوط الحديدية الى حد 1927 ب 1.430 مليون فرنك وبنحو اربعمائة للتجهيز المائى الفلاحى ومثلها لاتمام بناء مرسى الدار البيضاء كل ذلك علاوة على الطرق وقنوات الري التي كانت فرنسا تود التعجيل بها لمساعدة التعمير فيما كان يسمى بالمناطق غير المأمونة كوادى ورغة وتخوم الريف وممر تازة وقد فرضت فرنسا على المغرب الاسهام بخمسين مليوناً فى نفقات الاحتلال العسكرى وب 750 مليون فى بناء الخط الحديدى بين وجدة وفاس .

العدلية

كان تنازل الدول الاجنبية عن امتيازاتها القضائية القنصلية يستلزم تنظيم العدل بالمغرب عن طريق مراسيم يصدرها رئيس الجمهورية الفرنسية للمصادقة على الظهائر السلطانية وقد تأسست بمقتضى ذلك محاكم اوربية كما ادخل نظام جديد على المحاكم المغربية .

القضاء الاوروبى

ويشمل هذا النظام الجديد محكمة استئنافية بالرباط وخمس محاكم ابتدائية بالعاصمة والدار البيضاء ووجدة ومراكش وفاس واحدى عشرة محكمة للجنح فى كبريات المدن على راسها قضاة فرنسيون يمتد اختصاصهم الى الاجانب الذين تنازلوا عن الامتيازات (باستثناء انجلترا والولايات المتحدة) وتخضع هذه المحاكم لمحكمة النقض والابرام الفرنسية) وقد نظم ظهير 10 يناير 1924 مهنة المحاماة ضمن نقابات تضطلع بالدفاع فى هذه المحاكم كما يدافع عن الحق العام وكلاء او نواب جلهم خاضعون لوكيل الدولة العام .

المحاكم الاهلية

وقد نص ظهير 4 غشت 1918 على ان السلطان يمثل السلطة القضائية

بصفته الامام الاعظم وينوب عنه القضاة الشرعيون باصدار احكام يراجعها مجلس الاستئناف الشرعى فى خصوص الشؤون العقارية والاحوال الشخصية (ارث وزواج وطلاق) او الباشوات والقواد فى القضايا الجنائية التى تستأنف امام محكمة الجنايات العليا ويسمح فيها للمحاميين بالدفاع حيثما وجد مندوب فرنسى للحكومة اى فى تسع مدن حسب ظهير 23 ابريل 1926 اما فى البادية فان القواد يتمتعون بالحكم المطلق دون مراجعة فى الاستئناف ويسجنون المتداعين الى حد سنتين دون تعقب .

وقامت الى جانب هذا محاكم الاحبار الخاصة باليهود المغاربة والمؤسسات العرفية فى الاقاليم البربرية حيث يقضى القواد بأرائهم جنائيا وتقضى مجالس الجماعات مدنيا .

التعليم

ولم تهتم الحماية اولا الا بالاطفال الاوربيين الذين بلغت فصولهم الابتدائية عام 1929 عددا يقدر ب473 ل19.207 تلميذ مقابل 5.008 فى الثانوى بمختلف المدن اما فى العالى فقد تأسس بالرباط معهد الدراسات المغربية العليا والمعهد العلمى المختص فى الابحاث الطبيعية المتعلقة بالمغرب فى علوم الحيوان والنبات والارض والفلك والبحار والفيزياء والكيمياء اما فى خصوص المغاربة فقد اضيفت الى جامعة القرويين والكتاتيب القرآنية ودروس المساجد اربع مدارس ابتدائية بفاس ومثلها بمراكش ومكناس وغيرها ثم مدرسة فرنسية اسلامية فى كل مركز عسكري بالشاوية مع لجان للتسيير ومجالس تحسينية يشرف عليها مجلس اعلى للتعليم يرأسه الصدر وينوب عنه المدير الفرنسى للتعليم اما التعليم الشعبى فان مدارس البسيطة حضرية او قروية تكمل بالتعليم الصناعى ولم تستطع فرنسا ان تفتح خلال 17 سنة (1912 - 1929) اكثر من 69 مدرسة ابتدائية للذكور و 12 مدرسة للبنات باضافة 14 مدرسة صناعية اولية وقسم تطبيقى فلاحى تابع لكوليج فاس اما مدارس الاعيان التى كانت تؤدى الى ثانويتى فاس او الرباط فلم يزد عددها الى مئتين 1926 على خمس مجموع تلامذتها 802 وبذلك كانت الحماية توزع على المغاربة ثقافة ناقصة مزجاة .

أما المدارس الاسرائيلية فان بعضها كان تابعا للحلف الاسرائيلى العالمى بتطوان وطنجة والصويرة منذ عام 1862 وقد تنازل الحلف خلال الحرب عن

بعض هذه المدارس بسبب قلة الاساتذة فتأسست اربعون مدرسة فرنسية اسرائيلية تابعة لمصلحة التعليم بجانب 182 مدرسة تابعة للحلف ثم اعادت الدولة هذه المدارس الى الحلف ببنائاتها مع اعانة ارتفعت من مليونين عام 1930 الى نحو خمسمائة مليون ء اخر الحماية في خصوص الابتدائي لان ابواب الليسيات مفتحة في وجوه الحاصلين على الشهادة الابتدائية .

الصحة العمومية

اسس المغرب ممرضيات منذ سنة 1905 في العرائش والرباط والدار البيضاء والجديدة واسفى والصويرة خاضعة لاطباء عسكريين علاوة على مستشفى بفاس ومصحة بمراكش واماكن للعلاج بوجدة والعين الصفراء وبركان وتافوغالت وبوذنيب وفي اول الحماية تأسست 38 مجموعة صحية مجهزة باربعين طبينا اوربيا و45 ممرضا بالاضافة الى مصحتين متنقلتين بالاطلس وسوس وقد بلغ عدد الاطباء لمجموع المغرب 136 طبيا عام 1929 مع صيدلية مركزية بالدار البيضاء و 22 مصحة او ممرضية بالنواحي ومصحات في المدن الكبرى اما الميزانية فانها لم تصل آنذاك الى 24 مليونا .

التطور الاقتصادي

وقد ضارب الاجانب في حركة البناء التي ارتفع نشاطها بالدار البيضاء من 73 مليون فرنك عام 1927 الى 259 مليون عام 1929 ولكن ظاهرة جديدة انبثقت وهي تضخم المنتجات الزراعية وتهافت رؤوس الاموال على استغلال الاراضي المغربية وتعميرها فتقدم عام 1926 نحو 10300 مرشح لاقتناء مائة وثمانين قطعة ارضية ولعل هذا الانقلاب راجع الى انهزام الزعيم المغوار محمد بن عبد الكريم في الريف وبدوبعض الاطمئنان في نفوس الاجانب وكانت الحماية قد عززت الملكية الاجنبية باقرار نظام عقارى هو نظام التسجيل بظهير 9 رمضان 1331 (12 غشت 1913) احتذاء بعقد طورانس المطبق باستراليا ثم تونس ومدغسكار وافريقيا الغربية ولكن بعد مرور خمس عشرة سنة لم تسجل سوى 376000

هكتار من بين 850.000 التى يملكها المعمرون الاوربيون فى حين ان الاراضى الزراعية تقدر مساحتها باحد عشر مليون هكتار (I)

وهكذا شجعت الحماية المعمرين والتجار الاجانب بضمان الملكية ولو كانت مفتضبة وتاسيس مصارف القرض الفلاحى والقرض العقارى والسلفات الطويلة الامد وقد استفاد الغربيون من اعانة الدولة المغربية لبناء الدور الرخيصة الصالحة عن طريق صندوق القروض العقارية (ظهير 4 يوليوز 1928) وسلفات خاصة لقدماء المحاربين ومعطوبى الحرب الاجانب وبلغ ائذناك عدد الشركات التجارية والصناعية والعقارية والفلاحية والمعدنية والمالية 412 تناهز رؤوس اموالها ثلاثة ملايين واربعمئة مليون واسست الحماية عام 1918 مايسمى بالشركات الاحتياطية الاهلية بلغ عددها 55 عام 1928 وذلك لتسهيل القروض بدون ربا ولكن هذه الشركات ظلت عديمة الجدوى نظرا لمواردها المحدودة وهلهة نظامها .

اما الطرق فقد بلغ عددها 28 طريقا كبرى و 50 طريقا صغرى عام 1928 اى ما يبلغ 4.603 كيلومتر وكان عدد السكان الاجانب قد وصل سنة 1929 الى 105.000 أثروا ثراء فاحشا اذا اعتبرنا عدد السيارات التى ملكوها (15.279 سيارة سياحية و 5.899 شاحنة علاوة على آلاف الدراجات النارية وفى خصوص السكك الحديدية بلغ طولها فى نفس الفترة 310 كم بين طنجة وفاس وتستغلها الشركة الفرنسية الاسبانية بنما مدت الشركة المغربية 591 كم من بين 1026 كم بين فاس ووجدة ولم تكن الحماية تستهدف من وراء ذلك سوى تعزيز النقل العسكرى والاستغلال الاقتصادى وقد بلغت مصاريف التاسيس 800 مليون فرنك تحملت الدولة منها 750 مليونا مع 90 فى المائة من الخصاص وذلك لمدة اربع قرن بعد انتهاء البناء .

ويتوفر المغرب على وسائل لانتاج الطاقة الكهربائية فى ام الربيع وسبو والملوية وقد منحت الحماية « الشركة الكهربائية بالمغرب » عام 1923 حق تاسيس مولدات كهربائية بالدار البيضاء (1924) وبسيدي معاشو (1926) والقنطرة

(I) فى الشاوية وحدها كان الاجانب يملكون 27.671 هكتار عام 1912 وكان فى طليعتهم الفرنسيون ثم الالمان فى مقابل 700.000 ملاك زراعى مغربى .

بوادي بهت (1928) وبدأت هذه المولدات تمتد بالكهرباء منذ متم 1928 الخطوط الحديدية بين الدار البيضاء وخريبكة والدار البيضاء وسلا ومناجم الفوسفات والمدن والمصانع بالدار البيضاء والرباط والقنيطرة

اما مشاريع الري التي لاغنى عنها لاراضى المعمرين فقد اقيمت وسائل لاستغلال موارد القنصرة لسقى 30000 هكتار فى ناحية سبو مع اقامة خزان وادى الملاح لضمان الري فى ناحية الدار البيضاء وخزان وادى نفيس لسقى 20000 هكتار بناحية مراكش وذلك علاوة على مشاريع ام الربيع والملوية (مشروع قليلة) وطريقة .

وهكذا بدأ المعمرين يستفيدون من اجهزة الري لاستغلال ما وزع عليهم خلال ستة عشر عاما 1912-1928 وهو 205000 هكتار على 10200 مزارع وقامت ضيع ثرية استغلت اخصب الحقول المغربية خاصة لزراعة القمح والبواكير وقد تكفلت ادارة المياه والغابات بتنسيق ومراقبة نحو المليونين من الهكتارات (اشجار الخفاف والارز والصنوبر واركان والبلوط الخ) اعترف بملكية الدولة لمجموعها وقد جرب القطن منذ 1925 (وكان موجودا قبل الحماية) (I) فى سبو وبهت وتادالا والمغرب الشرقى اما الماشية فقد بلغ عدد رؤوس الغنم ما يقارب ثمانية ملايين والبقر نحو المليونين عام 1927 وهو ضئيل اذا قيس بما كان للمغرب عام 1859 (48 مليون شاة و 6 ملايين بقرة) وقد تطورت التجارة الخارجية فارتفعت فى نفس الفترة الى 30275 مليون (منها 1275 من الصادرات) اما المعادن فقد اشرف المكتب المعدنى (ظهير 15 دجنبر 1928) على الابحاث والتنقيبات عن الحديد والمانغانيز والرصاص والقصدير والموليبدن والفحم والنحاس واسس 64I مصنعا لتحويل المواد الغذائية (ثلث رؤوس الاموال) كالمطاحن والمخابز الميكانيكية والمجازر والمصبرات ثم مواد البناء والخشب والحديد والسببب النباتى والفسفاط الممتاز والمطابع (3I مطبعة) علاوة على المصانع التقليدية .

وهكذا نرى ان معظم المنجزات التي حققتها الحماية فى هذه الفترة كانت تهدف الى تعزيز الاستعمار والاستغلال وان كان المغرب قد استفاد منها بصورة غير مباشرة محققا بذلك خطوة مهمة خاصة فى ميدان الاقتصاد والتجهيز .

(I) راجع كتابنا مظاهر الحضارة المغربية ج 2 فصل «الاقتصاد فى الفعام»

الفصل الخامس عشر

¹الكفاح السياسى

بدأت حركة النضال السياسى موازية للثورة المسلحة تذكىها وتدعو اليها فانبثق بالدار البيضاء عام 1924 مركز للتوزيع والنشر تابع لقادة الريف كما انعقد مؤتمر بفرنسا فى السنة التالية نظمه العمال المغاربة لتنسيق العمل التضامنى مع جيش الثورة وفاضت قرائح الشعراء فى الاشادة بالابطال وانبرى رسل المغرب منذ شبوب الحرب العظمى يجولون فى اقطار شمالى اوربا المحايدة للتنديد بالمستعمر ضمن وفود المؤتمر الاسلامى الذى اقر الدفاع عن استقلال المغرب وباقى الاقطار الاسلامية المحتلة وقد قام العالم المغربى محمد العتابى منذ 1915 بحملة القى خلالها محاضرات واجرى اتصالات لتعريف العالم بمحنة المغرب تحت سيطرة الفرنسيين والاسبان وانعقد مؤتمر باسطوكهام عام 1917 نادى بوحدة موريطانيا والمغرب المستقل وكانت اصداء هذه الحركة الخارجية تصل الى المغرب مقرونة برسائل الحث على المقاومة فتنظم الاضرابات والمظاهرات فى الحواضر والبوادى فى مختلف المناسبات وظل القصر الملكى فى صراع يقوى ويضعف مع الاقامة العامة حين عارض مولاي يوسف سياسة الاستعمار الفلاحى التى دعا اليها المقيم ستينغ وطالب فرنسا بعزله .

وظهرت فى هذه الغضون حركة سلفية للاصلاح الدينى والثقافى باتصال

(I) راجع كتاب «نضال ملك» للاستاذ محمد رشيد ملين ففيه بيانات ضافية عن هذه الفترة

مع المبادئ التي دعا اليها محمد عبده مالبثت ان اسفرت عن ظهور حركة وطنية هدفت الى تحرير البلاد والعقل معا، باستعادة السيادة للوطن والطهارة الاصيلة للعقيدة الاسلامية وتأسست بالحواضر الكبرى جماعات سرية ركزت عملها السياسي على دعوة سلفية اساسها النهوض بالتعليم وبت الروح القومية والدينية وتوطيد العرى بين الاطر المغربية بجامعة القرويين والمعاهد العصرية وطلبة باريس والشرق وتأسيس المدارس الحرة وتنسيق الروابط مع جمعيتي الشبان المسلمين «والهداية الاسلامية» بالقاهرة الى غير ذلك .

وقد شعرت فرنسا بخطر الوحدة الدينية ففكر اليوطى منذ عام 1913 بدعوى حفظ التقاليد البربرية (ظهير II شتنبر) في تفرقة الامة بوضع الحجر الاساسى للسياسة البربرية وبعث الاعراف الجاهلية وتمخض العمل الاستعماري السرى الموصول عن صدور الظهير البربرى فى 16 مايه 1930 لتفكيك أوصال وحدة المغرب العربى بتجنيس وتمسيح اغلبية المغاربة تحقيقا لمطمعهم فى ادماج المغرب ضمن الحضيرة الفرنسية وهكذا حاول الاستعمار فرنسة البلاد بتحطيم وحدة النظام ووحدة اللغة واقرار الفرنسية فى المحاكم والمدارس والادارات (I) واستئصال العربية والشرعية الاسلامية مما سمي بالمدارس البربرية والمحاكم العرفية .

وقد كان رد الفعل الشعبى عنيفا حيث احتشدت الجماهير فى المساجد للتنديد بسياسة الادماج واكتظت الشوارع بالمتظاهرين وتشكلت بفاس لجنة تمثل سائر طبقات الامة للاتصال بالادارة الفرنسية من اجل الغاء الظهير وتوحيد القضاء والاعتراف برسمية اللغة وتعزيز هذه الحركة المنبثقة من جامعة القرويين (2) بصريخ العلماء المتعالى من جامع الازهر وانتقلت المظاهرات الشعبية من مصر الى الهند واندونيسيا فى سيول طوقت السفارات الاجنبية واوفدت الكتلة الوطنية رسلا الى المؤتمر الاسلامى بالقدس لشرح نوايا الاستعمار

(I) لاحظ دومومبيين فى اطروحته حول التعليم بالمغرب ، ان اللغة العربية كانت هى اللغة الاقتصادية والدينية والادارية، اذ يرى فيها البرابرة لغة سامية (ص811) راجع الحركات الاستقلالية فى المغرب للاستاذ علال الفاسى.

(2) بقيادة شيوخ امثال عبد الرحمن بن القرشى وزير العدل السابق وشباب مثل علال الفاسى .

الكتلة الوطنية

وقد تبلورت هذه الموجة العارمة بتنسيق كتلة العمل الوطنى او الحزب الوطنى الذى كان يؤجج الحماس فى الشعب كما ينور الفكر العام فى اوربا والشرق عن طريق (طلبة فرنسا ولجنة الدفاع عن المغرب) بالقاهرة وشخصيات مثل الامير شكيب ارسلان واتخذت المقاومة شكلا رتيبيا فوزعت النشرات وقوطعت المنتجات الفرنسية من منسوجات وسكر وشاى ودخان وسار العرب والبربر متراسين فى هذه الانتفاضة التى حركت وعيا قوميا فى نفس الشعب المغربى الموحد

واصدت الكتلة بباريس عام 1932 مجلة «مغرب» باللغة الفرنسية بشراف الحاج احمد بلافريج ساهم فى تحريرها احرار فرنسيون وشبان مغاربة لشرح اهداف الحركة الوطنية فى كفاحها ضد السياسة الاستعمارية وانضم الى اصدقاء المغرب الفرنسيين احرار اسبانيون كما صدرت بفاس جريدة «عمل الشعب» وكانت الفرنسية هى لغة الصحف لمعارضة الحماية للنشرات الدورية العربية وقد اهتمت هذه الصحيفة خاصة بفضح الاستعمار فى مقالات يحررها مهندس شاب هو الحاج احمد بن عبد الجليل وتعززت الصحافة الوطنية فى الشمال بمجلة السلام « لمحمد داود وجريدة « الحياة » تعضدها فى المساجد محاضرات تكونت فى حلقاتها نخبة واعية شكلت الاطر الوطنية الاولى للخلايا التى انبثت فى البلاد وفى عام 1933 سافر علال الفاسى الى باريس بعد ان قام بدعاية واسعة فى مدريد للفكرة الوطنية صحبة الاخوين عبد السلام ومحمد بنوية (I) و اقيمت بالعاصمة الفرنسية مؤتمرات ومهرجانات تمخضت عن تعويض لوسيان سان بالمقيم بونصو وتكتل الدستور التونسى ونجم الشمال الافريقى الجزائرى وكتلة العمل الوطنى واضطرار فرنسا الى السماح باستئناف المحاضرات الجامعية بالقرويين وعاد علال فاتصل لاول مرة باسم الكتلة بجلالة محمد الخامس .

(I) تأسس فى مدريد آنذاك « البيت العربى » بتعاون بين المكى الناصرى ومحمد الفاسى رئيس جمعية طلب شمال افريقيا بباريز وكان عبد الخالق الطريس من قواد الحركة فى منطقة الشمال وكذلك محمد اليزيدى ومحمد غازى ومحمد بن الحسن الوزانى فى منطقة الاحتلال الفرنسية .

الذى اقامت الحماية بينه وبين الحركة سياجا كثيفا فاستغل جلالته الفرصة للتعبير عن رضاه عن الحركة وعزمه الوطيد على استرجاع مكاسب المغرب وكانت فرنسا قد كونت ضمن حكومتها وزارة «فرنسا ما وراء البحار» فاحتج جلالة السلطان والغيت الوزارة

عيد العرش

ودعت الكتلة منذ 1933 الى تاسيس «عيد العرش المغربى» يوم 18 نونبر وهو يوم جلوس جلالة الملك محمد بن يوسف على العرش واحتفلت الامة بهذا المهرجان الوطنى امام اندهال الفرنسيين الذين لم يجرؤوا على اعلان معارضته فكان هذا المكسب الجديد تخليدا لذكرى رمز الوطن ودحضا لثرهات الاستعمار حول تعارض الحزب والقصر واقيم هذا العيد الرسمى لاول مرة عام 1934 عقبته مظاهرات شعبية رائعة فى مايه بمناسبة زيارة الملك لفاس استاءت الاقامة العامة مما برز خلالها من مظاهر التجاوب بين الشعب والملك فمنعت السلطان من اداء صلاة الجمعة بالقرويين وطالبته باعتقال زعماء الكتلة فرفض وسارع بالعودة الى الرباط قبل انتهاء برنامج الزيارة تضامنا مع شعبه وسخطا ضد المستعمر الوقح الذى اوقف «عمل الشعب» ومنع الصحف الوطنية من الدخول الى المنطقة السلطانية فكانت هذه هى المناسبة الاولى التى اظهر جلالة محمد الخامس وطنيته الصادقة التى كان الاستعمار يكبتها كبتا .

وواصلت الحركة الوطنية حملتها اللاذعة ضد سياسة الحماية والاستغلال العنصرى مطالبة باحلال المغاربة الاكفاء محل الاجانب فى الوظائف المغربية وتحميل الميزانية الفرنسية لنفقات الاحتلال ولوازم النفوذ الفرنسى والثلث الاستعمارى ومنددة بالحكم المباشر المتنافى حتى مع بنود الحماية القاضية بمجرد المراقبة وقدمت الكتلة فى نوفمبر 1934 برنامجا اوليا للاصلاح ضمنته بعض مطالب الشعب المغربى فى خصوص الغاء الحكم المباشر وتوحيد النظام الادارى والقضائى واعطاء الاسبقية للمغاربة فى الادارة وفصل السلط واحداث بلديات ومجالس اقليمية ومجلس وطنى متركب من نواب مسلمين واسرائيليين وغير ذلك من وجوه الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى وقد صفق اصداق المغرب فى اوربا لهذه الروح التحريرية والاندفاعية التقدمية المتبلورة فى تصميم ايجابى محكم اضطرت

فرنسا للامر بدراسته في دوائر الإقامة غير ان سياسة الادماج والاستغلال كانت تحدد الاستعمار الى تقوية نفوذ هيئات الجالية الفرنسية التي طالبت عام 1935 بوجوب موافقة الغرف الفرنسية للتجارة والفلاحة وكذلك ما يسمى بمجلس شورى الحكومة على كل التشريعات الاقتصادية وان يكون لهذا المجلس الفرنسي حق التقرير لامجرد الاستشارة فكان رد فعل الكتلة الوطنية هو برقيات الاحتجاج المرفوعة لجلالة السلطان وفرنسا مطالبة بالغاء المجالس الفرنسية بالمغرب وتعويضها بمجالس مغربية ونادى جلالة الملك في يناير 1936 بمعارضة مطالب الفرنسيين وهدد بالتنازل عن العرش اذا ما نال هؤلاء الاجانب حقا نيابيا في المغرب . واشتد النزاع في هذا الشأن وعجزت فرنسا عن ترضية رعاياها وعن قمع المغاربة فاستبدلت مقيما بمقيم وعوضت بونصوبم بيروطون الذي صرح بعزمه على قمع الكتلة كما قمع الدستوريين عندما كان مقيما عاما بتونس فعززه في هذا الاتجاه السنيور موليس المقيم الاسباني في الشمال وقد وزع بيروطون مال الدولة على المغمرين وكبار القواد فقابلته الكتلة بصمود عنيف لاسيما بعد ان منع انعقاد مؤتمر «طلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا» بالرباط وقامت في هذه الفترة الحرب الاهلية الاسبانية بعد ان تمرد الجيش الاسباني في المغرب بقيادة الجنرال فرانكو فاحتج الوطنيون على هذا التطاحن المذهبي الاجنبي فوق التراب المغربي واشتروا للعمل على تخليص الديموقراطية الاسبانية اعلان استقلال منطقة الشمال والتعجيل بتنفيذ الاصلاحات في المنطقة السلطانية وبعثت الكتلة وفدا الى برشلونة (سنتمبر 1936) لمفاوضة وزير الخارجية الاسبانية الذي استشار فرنسا فاوعز مقيمها الجنرال نوجيس بالرفض وحاولت اسبانيا عبثا ارشاء الكتلة بأربعين مليون بسيطة في مقابل الدعاية للجمهورية وأدى اقفال الحدود بين منطقتي المغرب الى حرية العمل في شقى الكتلة على اساس الكفاح من اجل استقلال المغرب ووحدة ترابه في ظل العرش وتحت شعار الاسلام والعروبة واسس محمد المكي الناصري في الشمال حزب الوحدة المغربية وعبد الخالق الطريس واصدقاؤه حزب الاصلاح الوطني واستطاع الوطنيون بالشمال انتزاع بعض الحريات اهمها توجيه بعثات علمية الى الشرق وتنظيم النشاط الحزبي ولكن الاسبان مالبثوا ان ضيقوا الخناق شأنهم في ذلك شأن الجبهة الشعبية الفرنسية التي كانت تعد الكتلة الوطنية بتنفيذ مطالب المغرب اذا ما اعتلت اريكة الحكم ولكن اليساريين ماكادوا ينتصرون في انتخابات مايبه

1936 حتى قابلوا الوفد الوطنى بالتسويف وقد عقدت الكتلة مؤتمرا بالرباط فى 25 اكتوبر 1936 لوضع المطالب المستعجلة التى ترمى الى اقرار الحريات العامة وتوحيد التعليم وتسديد حاجيات المغرب الثقافية بتاسيس المعاهد الكافية ودور المعلمين وفصل السلط وضمان الملك العائلى وتوسيع القرض الفلاحى وكفالة المساواة فى الضرائب وحقوق العمال وحماية الصناعة الوطنية وتعزيز المؤسسات الصحية واقفال دور البغاء وتكثير الملاجىء الخيرية وبناء المساكن الصالحة بدل دور القصدير فكان جواب المستعمر اعتقال بعض القادة الوطنيين وتأزمت الحالة وتظاهرت الجماهير فى المدن والقرى حيث اشتبكت مع قوات البوليس فتوجه مبعوث الكتلة الوطنية الى باريس حيث اسس مكتبا للدعاية وصدر «المخبر المغربى» الجديد حافلا بتقارير عن الاحداث المغربية تعززت بحركة التضامن فى تونس والجزائر وشمال المغرب فلم يسع السيد بلوم رئيس الحكومة اليسارية الا امر الجنرال نوجيس بتحرير المعتقلين وتغيير سياسته وخطت الحركة التحريرية بذلك خطوة حاسمة اقضت مضاجع المستعمرين فانعقدت مائدة مستديرة بين الكتلة والمقيم ودرست المطالب وصدرت «الاطلس» لسان الكتلة و«المغرب» اليومية لسعيد حجي كما سرحت «عمل الشعب» وقررت بعض فروع الحزب الاشتراكى الفرنسى تايد مطالب الشعب المغربى فقضت الحركة الوطنية قفزة جديدة تجدد فيها نظام الحزب الوطنى فاسست لجنة تنفيذية ومجلس وطنى ولجان فنية وفروع بكافة انحاء المغرب وانهقد مؤتمر فى يناير 1937 لانتخاب الهيئة المسيرة فكان علال رئيسا ومحمد حسن الوزانى امينا عاما الا ان هذا الاخير استعفى واسس «الحركة القومية» فاضطلع بالامانة العامة السيد احمد بلافريج وقد هال هذا التكتل الظافر المستعمر فقرّر حل الكتلة يوم 18 مارس 1937 ولكن العمل السرى ظل موصولا باسم «الحركة الوطنية لتحقيق المطالب» ريثما انعقد مؤتمر جديد بالرباط فى ابريل 1937 قرر اطلاق اسم جديد على الحركة هو «الحزب الوطنى لتحقيق المطالب المستعجلة» الذى تصدى زيادة على مجهوده السياسى لتربية الجماهير وتكوين خبراء فى مختلف وجوه النشاط الوطنى وتطوير التعليم العربى العصرى ونشر المبادئ الاسلامية والدفاع عن حقوق العملة والصناع والفلاحين والنهوض بالصحافة وتنظيم فرق الشبيبة وتاسيس جمعيات الشباب المسلمين والهداية الاسلامية وتخطيط الاصلاحات الاقتصادية وقد تزايد حنق المستعمرين ازاء هذا التكتل

الترتيب بين الجبال والسهول والعرب والبربر فاعتقلوا كثيرا من قادة الحزب الامازيغيين وفرضوا الرقابة على الصحف وشددوا الخناق على الخلايا والفروع وسخروا القواد الاقطاعيين لمقاومة حركة التحرير وارقوا دماء الشهداء في مكناس والخميسات حيث نظمت حركة التبشير والتمسيح فانعقد مؤتمر عام في 13 اكتوبر 1937 لدراسة القضية المغربية على ضوء التطورات المستجدة فتقرر العمل المباشر القوى لمقاومة سياسة الجنرال نوجيس والدفاع عن الحريات العامة ولم تكد تمضى ايام حتى اعتقل بعض القادة الوطنيين ونقلوا الى الصحراء بينما زج بالسيد علال الفاسي في غياهب السجون بالجابون (افريقيا الاستوائية واهتاج الشعب بكافة انحاء المملكة وتضامنت سائر طبقات الامة وهياتها في مظاهرات عنيفة اسفرت عن اعتقال قادة آخرين كالسيد الحسن الوزاني وامتدت الى الشمال والجزائر وتونس حيث اعلن اضراب عام لمدة ثلاثة ايام وتردد صدى هذه الثورة الوطنية في صحف اوربا والشرق حيث اسس الطلبة المغاربة نواة المغرب العربي بالقاهرة ووضع حزب الاصلاح بالمنطقة الخليفية عام 1938 برنامجا للاصلاح يتلاءم والوضع في الشمال مؤيدا من طرف الخليفة السلطاني الذي نال حظه من الكبت وهكذا ظلت الحركة الوطنية تواصل نضالها المستميت فلم يكن ذلك يزيد وزراء اليمين واليسار في فرنسا الاعنتا ومع ذلك لم تكد تنشب الحرب العالمية الثانية حتى اعلن الملك والحركة الوطنية مؤازرتهم للحلفاء الى النصر رغم ما حاوله الالمان من استمالة الوطنيين وكان الحاج احمد بلافريج في اوربا يتحسس اكاذيب المحور ويوافي الحزب بتقاريره فطفق الوطنيون يشقون طريقهم اللاحبة في خضم الدعايات المتضاربة ولمعت شخصية الملك لما اظهره من اتزان ولباقة بتضامن مع الشعب فازداد تعسف الاقامة العامة وتخوفها وعاد الوطنيون منذ 1940 الى التنديد بفظائع الاستعمار الذي لم يتعظ بهزيمته ولا بحسن عهد المغرب عند الضراء وبدأ الشعب يشعر بضرورة العمل لاقتطاف ثمار النصر المشترك بالتمهيد للمطالبة بالاستقلال وكانت اسبانيا الفاشية قد احتلت منطقة طنجة في هذا العام وطردت المندوب السلطاني واستمرغيتها الى تاريخ نزول الحلفاء (8 نونبر 1943) حيث تعزز العمل الداخلي بكفاح «رابطة الدفاع عن مراكش في مصر» التي اسسها رسل الوطنية بالقاهرة للمطالبة بالاستقلال والوحدة تحت رعاية جلالة الملك ثم تاسست في نونبر 1944 «جبهة شمال افريقيا» بين اقطار المغرب العربي وكان استقلال سوريا ولبنان يؤجج الوعي لاسترجاع السيادة المغربية

المطالبة بالاستقلال : وانعقد بالرباط في 11 يناير 1944 مؤتمر ضم قادة الحزب الوطني الذي سمي بحزب الاستقلال وعدة شخصيات من الحركة القومية والهيئات الحرة فوق المؤتمر على ميثاق وطني ابرز مفروضية نظام الحماية الذي قاومه الشعب بالسلاح ازيد من ربع قرن والصبغة الاستغلالية التي اتسم بها هذا النظام وانبثاق عهد الحرية بمقتضى الميثاق الاطلسي وطالب بالاستقلال والوحدة والديمقراطية

ورفع «ميثاق الاستقلال» لجلالة الملك فعقد في 13 يناير مجلسا وزاريا موسعا ضم بعض الرؤساء والاعيان والعلماء فصادق الكل على المطلب الوطني وتشكلت لجنة من وزيرين للاتصال بحزب الاستقلال وبحث مسطرة اقناع الاقامة العامة التي استمرت المحادثات معها ثلاثة ايام دون أن تحيد عن اصرارها على التشبث بعقد الحماية ونظم « اسبوع التضامن في سبيل الاستقلال » تواردت خلاله الوفود وعرائض التأييد على القصر الملكي وفي 18 يناير ابلغ المقيم العام جلالة الملك « معارضة اللجنة الوطنية الفرنسية للتحرير بالجزائر كل ما من شأنه ان يمس نظام الحماية وابلغ جلالة الملك وزرائه هذا القرار مؤكدا تمسكه بالاستقلال وجاء رد الفعل الاستعماري مقرونا باعلان اصلاح مستعجل واعتقال القادة الوطنيين ومجابهة المظاهرات الجماهيرية بالقمع العنيف والسلب والنهب طوال ثلاثة ايام وانقلبت المدن والقرى الى بركان يغلي استشهد في بوتقته بفاس والرباط وسلا سبعة وسبعون وجرح المئات وسجن خمسة الاف واصدرت المحكمة الفرنسية حكمها بالاعدام ليلة عيد المولد النبوي على اربعة عشر وعزل كل من وزير العدل ووزير المعارف وعشرات الموظفين واحيل تلامذة المدارس على المجالس التأديبية بينما ظلت كثير من المدارس مغلقة طوال السنة واعلن مقيم فرنسا العام المسيو كابريال بيو يوم 22 مارس اصلاحات جزئية اجاب عنها حزب الاستقلال بان تحرير السيادة المغربية هو الشرط الاساسي لكل تفاهم واصدر بيانا انتقاديا للمشاريع المقيمية الواهية وفشلت تمويهات كابريال بيو فخلفه المسيو ايريك لابون ودشن عهده بتشريح بالاfrican المنفى بكورسيكا والوزاني المعتقل بايتزر (ناحية فاس) وعلال الفاسي المبعد الى خط الاستواء وحاولت الاقامة العامة ان تدس مرة اخرى بين الملك والوطنيين بمناسبة الحفاوة الرائعة التي قوبل بها القادة المسرحون ولكن صاحب الجلالة ابا الا ان يستقبلهم وان يعبر عن استعدادة للتضحية بعرشه في صالح القضية

المغربية وبدأ الاتصال بين المقيم والحزب في غير جدوى لتباين عروض الاصلاح مع مبدأ الاستقلال وتجلي مصداق هذا التمويه الموصول عندما خطب المقيم فيما سمي بمجلس شورى الحكومة فخابت الآمال وندد الحزب بالسياسة الاقتصادية الجديدة وقوطعت المؤسسات المقيمة وصدرت جريدة «العلم» عام 1946 وتوجه وفد الى باريس خلال نفس السنة فاقام الندوات والقى محاضرات ووزع النشرات لبيان وجهة نظر الشعب المغربي ولكن سياسة الاستعمار ظلت جامدة لم تتأثر قلامة ظفر بالانقلابات الدولية .

وجاء تاريخ زيارة جلالة الملك لطنجة عاصمة مملكته الدبلوماسية فاثار الاستعماريون لعرقلتها مذبحه الدار البيضاء في 7 ابريل 1947 حيث طوق الجيش الفرنسي لاسباب تافهة الاحياء العمالية وقتل الاطفال والمدنيين العزل فكان لهذه المأساة وقعها العميق في نفوس الشعب الذي ملك اعصابه وتوجه جلالة الملك بنفسه للوقوف على عين المكان وتضامنت الجماهير بالاضراب والاكتتاب لاسعاف المنكوبين وبالرغم عن الحواجز المتعاقبة قام صاحب الجلالة برحلته الميمونة متعمدا جميع المظاهر التي تؤذن بان طنجة قطعة من التراب المغربي وانبرى الشعب في الاقاليم الممزقة للاحتفال برمز سيادته ووحدته وخطب سمو ولي العهد الحسن الثاني وسمو الاميرة عائشة وكذلك صاحب الجلالة امام الملا الدولي فابرز جلالته عروبة المغرب ووحدة ترابه واشاد بالرابطة الاسلامية والجامعة العربية وعبر عن ضرورة تحقيق امانى المغرب القومية واقرار نظام ديموقراطى وترددت اصدااء هذا الخطاب التاريخى فى انحاء المعمورة فكان اكبر صفة للاستعمار وكان حزب الاستقلال وحزب الاصلاح قد وحدا خطتهما وطالب هذا الاخير فى مذكرة للامانة العامة للامم المتحدة والجامعة العربية باعلان الاستقلال فقابل الاسبان هذه الانتفاضة بالقمع وتوقيف جريدتى « الوحدة المغربية » «والحرية» ولكن الخليفة السلطاني استطاع توجيه وفد رسمي الى الجامعة العربية التي انعقد فى بحبوحتها مؤتمر المغرب العربى فى 15 يبرابر 1947 فنادى المؤتمر ببطلان الحماية المفروضة على المغرب وتونس وعدم الاعتراف باى حق لفرنسا فى الجزائر وضرورة اعلان استقلال المغرب العربى وجلاء الاجانب عنه ورفض الانضمام الى الاتحاد الفرنسى وتعزيز الكفاح لتحقيق الاستقلال والجلاء وكلل المؤتمر بفتح مكتب المغرب العربى بقيادة بعض اقطاب الشمال الافريقى وسافر علال الفاسى الى باريس لاستتمام مهمة الوفدين

الذين ترأسهما كل من الحاج عمر بن عبد الجليل و الحاج احمد بلافريج واخذت القضية المغربية مظهرا جديدا حسبت له فرنسا حسابه فعينت الجنرال جوان مقيما عاما لاستئصال الحركة الوطنية ظنا منها ان سياسة القوة هي الحل الحاسم وعارض جلاله الملك تعيين مقيم عسكري ولكن تحدى الحكومة الفرنسية لم يزد الوضع الاتأزما فالتحق علال بالطريس لتنسيق العمل بمكتب المغرب العربى بالقاهرة وحاولت فرنسا فى نفس السنة التلويح بشبح الامير ابن عبد الكريم الخطابى لتهديد جلاله الملك فقررت نقله الى فرنسا وتآمر مكتب القاهرة مع الحكومة المصرية لاختطافه بقناة السويس مع اسرته فتم لجوؤه الى مصر وسقط فى ايدي الاستعمار بعد اعلان الامير ولاءه للعرش المغربى وانضمامه لزمرة المكافحين فى سبيل تحرير المغرب العربى وكان لتحرر الامير صدى عميق فى العالم الاسلامى وخاصة بالمغرب فتأسست تحت رياسته فى ديسمبر 1947 «لجنة تحرير المغرب العربى» التى اعلنت باسم احزاب افريقيا الشمالية عدم قبول اية مفاوضة الا بعد اعلان الاستقلال التام للبلدان الثلاث وازاء هذا العمل البناء ظهرت صبيانية تهديدات جوان لجلالة الملك الذى رفض امضاء المشاريع المقيمة تضامنا مع الشعب وتحفظ فى المصادقة على ميزانية الدولة لسنة 1948 التى حاولت الاقامة ان ترتهن فى مضامينها ثروات البلاد المعدنية واشتد الصراع بين المقيم والقصر فعزل قواد مخلصون للملك وقربت الاقامة بعض الاقطاعيين من ادعياء التصوف ولكن صمود الملك والشعب الاجماعى فت فى اعضاد ماصنعتة فرنسا من احزاب لبث التفرقة فى هذه الكتلة المتراسة ومنيت الدبلوماسية الفرنسية بفشل ذريع رغم التعديل السطحي الذى ادخل على نظام الحكومة المغربية بتعيين خمسة مناديب لرئيس الوزراء فى المالية والزراعة والتجارة والاشغال العمومية والانتاج الصناعى والمناجم والبريد والشؤون الاجتماعية والصحة كانوا فى نظر فرنسا مجرد اعوان للوزراء الفرنسيين (I) فرأى الشعب فى هذا الاصلاح مطية للادماج كما ازداد جلاله الملك يقينا بتلاعب المستعمر الذى اراد ان يقنع العالم باستبداد القصر ومعارضته لحقوق الشعب فى الانتخاب الديموقراطى بينما عارض جلاله الملك فى تكوين مجلس شورى مختلط يكون فيه للجانب حق الانتخاب المباشر وللغاربة حق الانتخاب من درجتين (2) .

واستمرت فرنسا فى سياسة الضغط على البلاط لفرض الاصلاحات الى ان خولت لها غطرسة بعض قادتها اللامسؤولين المساس بكرامة الملك واسرته الكريمة فكان ذلك الشرارة الاولى لانبثاق ثورة الاستقلال .

(I) ورد فى بلاغ لوزارة الخارجية الفرنسية وتصريح لرئيس حكومة باريس ما يفيد ان فرنسا تعتبر المديرين الفرنسيين وزراء حقيقيين وان المندوبين مساعدون لهم مما حدا الكتابة الخاصة لجلالة الملك الى اصدار بلاغ فى 31 يوليوز 1947 لتحقيق الوضع وطمأنة الشعب .

(2) صدر بلاغ آخر من القصر الملكى بتاريخ 24 شتنبر يرد على هذه الترهات ويطالب لتسحب بحق نيابى مماثل لما تتمتع به الشعوب الحرة .

الفصل السادس عشر

ثورة الملك والشعب

بدأ الصراع العنيف بين العرش والحماية بخطاب طنجة عام 1947 ولكنه تبلور في الرحلة الملكية الى فرنسا في 5 اكتوبر عام 1950 وكان جلاله الملك قد حضر عام 1945 في مهرجان عسكري بالعاصمة الفرنسية بصفته رئيس دولة اسهمت في الحرب برجالها وعتادها ولكن زيارته الجديدة لباريس كانت تهدف الى اقتطاف ثمرة الانتصار المشترك والاستفادة مما اصبح الفكر الدولي يضمنه للشعوب وللتعجيل بتنفيذ ما اعطى للمغرب من وعود في مؤتمر آنفا الذي ضم عام 1943 الى جانب الملك وولي عهده مولاي الحسن قادة الدول الحليفة (رزوفلت وتشرشل ودوكل وجيرو) وكانت خيبة آمال الامة المغربية بعد انطلاقة ثورة الملك والشعب في طنجة قد تجلت واضحة بعد اقضاء لابون غداة مهرجان العاصمة الدبلوماسية واستبداله بالجنرال جوان الافريقى الناشئ بالجزائر والذي كان اقدر من غيره في نظر فرنسا على سحق الانتفاضة المغربية الرائعة غير ان حكمة الملك حذته الى تلبية دعوة صديقه «فانسان اريول» رئيس الجمهورية الفرنسية لزيارة باريز لانه كان مومنا بحق شعبه في السيادة لا يستخفه وعيد ولارد جارح .

ولم تات هذه الدعوة عفوا وانما كانت محاولة مرنة من فرنسا لتلطيف

الجو بعد اليأس الذى دفع نواب الغرف التجارية المغربية الى الانسحاب مما يسمى بمجلس شورى الحكومة فى يوليوز 1950 (I) وكذلك فشل المحادثات بين حزب الشورى والاستقلال الذى قدم مذكرة يطالب فيها بدرس القضية المغربية على اساس تعديل عقد الحماية ، ومن يدرى لعل هذه اللعبة الباريسية ستكون اشبه بلعبة الاقامة ببعض الوطنيين الذين استغلت مذكرتهم للتحذير والتفرقة لاسيما وان السياسة القائمة كانت قد جردت السلطان من حقوقه وعارضت ضمنا فى ولاية عهد الامير الشهم مولاى الحسن وبوأى خصومه المناصب العالية واقصت الاستقاليين بدعوى تواطؤهم مع القصر كل ذلك لشعور المستعمر بتزايد النفوذ الملكى بين طبقات الامة مما دفع صنائع الاقامة من قواد وباشوات الى التزلف للبلطاط للحظوة برضاه .

كان جلالة الملك صارما فى مواقفه بالرغم عن غلاف المرونة واللين ، وكان مطلبه يهدف فى غير التواء الى ضمان سيادة البلاد وتحقيق أمانى الشعب فى الاستقلال دون تقيد بالانخراط فى انواع الرباطات والوحدات الفرنسية وقد اظهر الفرنسيون استعدادا لمفاوضة الملك فى صلب القضية المغربية فخفت جامعة بوردو ، حيث نزلت الباخرة المقللة لجلالته لمنح السلطان الدكتوراة الفخرية وتحمس الشعب الفرنسى فى اقتبال العاهل وتواردت الجالية المغربية من جميع الانحاء واهتبلت الدولة بابرار مظاهرات حفاوة رائعة ولكن العاهل لم تكن تهمه هذه المجالى الشكلية اذ ان افكاره متجهة بكليتها للمحادثات التى بدأت فى باريس مساء ذلك اليوم مع القادة الفرنسيين بعرض مطالب المغرب فى مذكرة اجابت فرنسا عنها يوم 30 اكتوبر بعد مداولات موصولة باقتراح اصلاحات جزئية ضمن معاهدة الحماية وعقبت المذكرة الاولى مذكرة ثانية انعقد بباريس جمع وزارى مصغر برئاسة جلالة الملك لنحريها حضره بعض اعضاء الحاشية (الصدر الاعظم ووزير الاحباس والمستشار القانونى المغربى) فتقررت

(I) كان ظهير 13 اكتوبر 1947 قد نظم الغرف الاستشارية المغربية التجارية والفلاحية وتقدم التجار والفلاحون الوطنيون الى المشاركة فى هذه الهيآت التى قبض على زمامها حزب الاستقلال بنجاح مرشحيه وقدمت جامعة الغرف التجارية مقترحات لتخطيط اتجاه جديد فى السياسة الاقتصادية مع نقد لاذع للميزانية المطبوعة فى الاقامة .

المطالبة بتعديل عقد الحماية في شكل استقلال داخلي يكون مرحلة لتحرر البلاد التام وهنا بدأت المناورات الفرنسية التي كانت نقطة انطلاق لازمة عارمة عندما دفعت الاقامة العامة عضوين مفروضين على الحاشية الملكية وهما القائدان الكلاوى (I) والعيادى لتزعم المعارضة باعلان عدم الموافقة على المذكرة ولكن الملك عاد الى الرباط بعد ان ارسلها صرخة مدوية اقضت المضاجع فاستقبله شعبه استقبال البطل الظافر وازداد تحمس الامة عندما اعلن في خطاب العرش بعد عشرة ايام جهوده لاقرار الحكم الديموقراطى وعزمه على مواصلة السعى لتحقيق مطامح الشعب ومرت ايام وجدد القصر الاتصال بالاقامة فلم يكن الاستعداد يعدو اصلاحات بسيطة مثل حذف الرقابة على الصحافة واعلان «الحق النقابى» وتعميم التعليم وتغيير مراسيم العدلية وتشكيل لجان استشارية مختلطة ولكن البلاط فضل الاستمرار فى وضع غليل مع التشبث بالمبدأ الرئيسى القاضى بتعديل الحماية على قبول اى اصلاح يمس قانونيا بسيادة الشعب وفى هذه الاونة كانت الحفلات تقام فى فرنسا على شرف باشا مراكش والصحف تنشر صور تنقلاته والمستعمرون يشيدون بموقفه وشارك اعضاء حزب الاستقلال فى لجنة الميزانية لسنة 1951 رغم انسحابهم من مجلس الشورى حتى لا يفرغ المجال لمعارضة متخاذلة ولكنهم اعلنوا تمسكهم بالمبدأ وقام السيد احمد اليزيدى فى تقريره العام امام المجلس بنقد لاذع لسياسة الحماية وخططها الاقتصادية واحتج المقيم على الصيغة العدائية التى اتسم بها هذا العرض العام وهدد باتخاذ التدابير الزجرية اللازمة وقد تضعض ممثلوا الادارة امام الفظائع الصارخة فى الحكم المباشر والمالية والتعليم والفلاحة وباقى مرافق الدولة التى استغلتها المصالح المقيمية لوجهة استعمارية وتبودلت سهام باردة حتى بين المديرين الفرنسيين وبعض المناديب الذين اجبرهم القصر على اعلان الحقيقة ببيان موقف جلالة الملك من مقترحات الاقامة المهزولة التى لم تكن تنسجم مع رغبة الشعب ، فالبلاط كان مثلا يطالب للعمال بحق نقابى كامل بينما يتلنك الاستعمار فى تعزيز القوة العاملة ويستمر فى كبتها والقص من جناحها .

واكفهر الجو بتضايق المقيم من هذه الحقائق فطرد أحد الاعضاء الاستقلاليين

(I) بقى الكلاوى بضعة اسابيع فى فرنسا بعد عودة جلالة الملك واوجس الناس خيفة مما كان يحاك من دسائس وراء الستار .

من المجلس ورأى زملاؤه في ذلك مستأسا بكرامتهم كمنتخبين فتضامنوا معه وفرغت أركان القاعة من أغلبية ممثلي الغرف المغربية الذين اتصلوا بصاحب الجلالة مستنكرين هذا الاستهوان فطيب خاطرهم ونصحهم بالسكون والبرود ولكن رد فعل جلالته كان قويا عندما حاول الكلاوى بمناسبة زيارة عيد المولد الضغط على القصر ضد الوطنيين فلم يسع جلالته الا طرده وامره على لسان الصدر بالعودة العاجلة الى مراكش انتظارا .للاوامر الملكية وشبت الشرارة الاولى بين البلاط والاقطاعيين فانسحب العيادى وابناء الكلاوى ووجهت الصحافة الاستعمارية هذا الحدث توجيهها يمس بالقصر ويعلى من شأن الاقطاع رغم بيان الصدارة العظمى حول حقيقته وانطلقت منذ ذاك سلسلة من المؤامرات المحبوكة فى مكاتب الإقامة ونشرت الفيغارو تصريحات للكلاوى بلسان الشعب والقواد وباسم الدفاع عن الاسلام للمطالبة باستمرار الوحدة مع فرنسا فى نطاق الحماية ووسم الاحرار بالشيوعية وتجول الكلاوى فى طول البلاد وعرضها بمساعدة الإقامة العامة للاتصال كزعيم سياسى ودينى بالباشوات والطرقيين فتوافدت وفود العلماء على القصر لاعلان الولاء واستنكار اعمال باشا مراكش وعزز الجنرال جوان حملة صنائعه بتهديد الملك يوم 26 يناير 1951 والتعريض بخلعه وتمزيق وحدة البلاد وأيقاد حرب اهلية اذا لم يعتمد السلطان الى استنكار عمل حزب الاستقلال وطرد أعضائه من حاشيته والموافقة على الظواهر المطبوخة فى المصالح الفرنسية وارفق جوان هذا الوعيد باستغلال نفوذه العسكرى فى كتلة الحلفاء بدعوى السلام والامن فى البحر المتوسط والمحيط الاطلسى ضد كل ثورة اقليمية فكانت خطته محبوكة : اثاره الفتنة والارتكاز عليها للقمع باسم الدولة المغربية ورحل جوان صحبة رئيس الحكومة الفرنسية الى الولايات المتحدة مخولا للقصر مهلة يسيرة للتفكير والا اضطر بعد العودة الى تنفيذ مؤامراته الجهنيمية وكان يعلم انه مقبل على تسلم مقاليد هامة فى الدفاع الاطلسى وان الاستراتيجية العسكرية الغربية تحتم الهدوء فى الاقليم المغربى حيث سمحت فرنسا من تلقاء نفسها ودون مشورة المغرب فى اتفاق ابرمته مع أميركا غداة قنبلة السلطان بباريس (22 دجنبر 1950) بتأسيس قواعد جوية فى مراكز مختلفة من التراب المغربى ولعل ذلك كان محاولة لالجام الولايات المتحدة المرتبطة ادبيا مع السلطان بوعود روزفلت .

ولكن جلالة الملك لم يعبأ بهذا التهديد رغم العرائض التى لفقها خصوم

كل من القصر وحزب الاستقلال ورغم الخطأ الدبلوماسي الذي ارتكب بإدراج الخلاف الحزبي في قضية وطنية خطيرة وفي ظروف كانت كل محاولة من هذا القبيل تعد مساسا بالكتلة المتراصة التي تجمع الملك والشعب وتعزز موقف البلاط بانتفاضة العالم العربي والإسلامي في التنديد بالسياسة الفرنسية باستنكار الأحرار الفرنسيين لموقف جوان منها واضطر روبيرشومان وزير خارجية فرنسا إلى تبرئة ساحة المسؤولين في باريس من كل ما أصبحت الصحافة العالمية تلوكه حول ما يبيت للعرش المغربي ورضخت الدوائر الاستعمارية في هذه الغضون راضية من السلطان بتصريح لادانة حزب الاستقلال وإقصاء رجاله من القصر وإزاء تصلب صاحب الجلالة ورفضه فصم العري الوطنية التي تربطه بأحرار أمته عمد المقيم إلى الضغط على الصدر الأعظم وهيئة المناذير لإعلان ذلك الاستنكار بدلا من القصر الصامد وتوالت اجتماعات المندوبين واتصالاتهم بالإقامة وقرراهم آخر الأمر على عدم الانصياع لوعيد المستعمرين وحقق جلالة الملك بمساندة ولي عهده الأمير الحسن خطوة أولى في طريق النصر ولكن هذا الفشل لم يزد الاستعمار إلا عنادا إذ صدرت الأوامر إلى الأقطاعيين بتحريك فرسان القبائل في حشد عام لمهاجمة فاس والرباط وكانت الإقامة قد سلمت في نفس الوقت (25 يبرابر 1951) رسالة إلى جلالة محمد الخامس من رئيس الجمهورية الفرنسية يلح فيها على تدارك الأمر بقبول الإصلاحات التي ستؤدي إلى الاستقلال الداخلي ولكن هذه المكاييد المعسولة لم تنطل على القصر الذي رأى فيها استدراجا للتنازل عن مبادئه فواجهها بالبرود في إباء وشمم وهدد المقيم من جديد بإطلاق أيدي الأقطاعيين للهجوم على الحواضر وخلع الملك ووجه «بروتوكول» الإصلاحات إلى السلطان الذي اضطر حقنا للدماء أن يؤشر عليه بعلامة تفيد مجرد الإطلاع لا الموافقة ربعا للوقت ثم عزلت الإقامة بعض أعضاء حزب الاستقلال من مناصبهم وأصدرت أمرها برجوع فرسان القبائل الذين أوغرت صدرهم بسوقهم إلى أبواب العاصمة الإدارية ضد ملك يستमितون في حبه والولاء لعرشه فكانت نكسة جديدة للاستعمار في صورة

I حاولت كذلك اعتقال السيد علال الفاسي المقيم بطنجة فخف رئيس حزب الاستقلال في يوليو إلى مدريد ومنها إلى القاهرة للدفاع عن قضية المغرب في العالم العربي ووصل في نفس الوقت السيد محمد بن الحسن الوزاني رئيس حزب الشورى والاستقلال •

انتصار موهوم ما فتىء الملك ان يدد غيومه فى تصريحات اكده فيها انه لم يؤشر
الاتحت الضغط وكان الفكر العام فى الشرق العربى والعالم الحر قد هب للتنديد
بسياسة الجبر والاكره التى لم تغير من الواقع شيئا وشعرت فرنسا بفشل
الجنرال جوان فحاولت ابعاده عن المغرب باقتراح تعيينه فى القيادة العليا لجيش
الحلفاء باوربا الوسطى وبذل هو جهده بمساعدة المعمرين للاحتفاظ بمنصبه
حتى يستكمل برنامج القمع الذى خطه لتحقيق الادمج ولكن باريس ارسلت
اوائل اكتوبر 1951 خلفا له فى شخص الجنرال كيوم الذى نهج فى البداية
مسلكا غامضا سعى خلاله الى استمالة بعض الهيئات ولكنه مالبث ان كشف
القناع عن وجهه الحقيقى وعن بنوته الروحية للجنرال جوان وكان الحنق
المكبوت يتجلى فى اشهرات لاذعة خلال حركة التجوال التى اعقبت جولات سلفه
الوداعية وقد تجلت بادرة المناورات الموصولة فى تمويه انتخابات الغرف
التجارية والفلاحية التى استعجلت الاقامة العامة اجراءها ولما يمض شهر على
وصول الممثل الفرنسى الجديد فشعرت الهيآت الاقتصادية بما يببئ لها واعلنت
جامعتها الوطنية مقاطعة الانتخابات التى عاند المستعمرون فاجروها فى خضم
من الدماء والقمع فى البوادي والحوضر والبادية ولكنها منيت بالفشل الذريع
رغم تجنيد صنائع الاستعمار وتموين صحفهم وندواتهم من ميزانية الدولة وكان
زعماء الاستقلال ينددون فى الشرق بهذه الحلقة الطائشة من الاضطهادات فهبت
جامعة الدول العربية لتسجيل قضية المغرب فى جدول اعمال هيئة الامم المتحدة
قافزة بها الى الحقل الاممى ومعززة بملف ضخم يدين السياسة الفرنسية
الخرقاء ورغم تاجيل القضية بدعوى انها داخلية لاتعنى سوى المغرب وفرنسا
تمكن العرب من اقناع كثير من الدول الاعضاء بالصيغة الدولية التى تتسم
بها قضية بلد تضمن له المعاهدات السيادة الكاملة وتعزز هذا الموقف بتبريك
الملك فى خطاب العرش لبادرة الامم العربية والاسلامية فكان فى ذلك تكليف
ضمنى من طرف المؤتمن على السيادة بدفاع العرب عن الكيان المغربى وتكتلت
الدول الاسيوية مع زميلاتهما العربيات لاعادة الكرة مرارا فقررت الجمعية العمومية
التاجيل الموقت وحققت الدبلوماسية العربية الاسيوية بذلك خطوة هامة فى
سبيل تدويل القضية المغربية اقضت مضاجع المعمرين الذين بلغهم هذا النبأ
المزعج وهم فى غمرة اصطناعية فى مجلس شورى المقيم وثار تائرة الادارة
الاستعمارية ازاء التكتل الاجماعى ضد الحماية فصارت تنزل ضرباتها دون

وعى ولا هوادة معتقلة القضية والخطباء ورجال الدين فى فاس والرباط والبيضاء
والجديدة (I) غير ان الارهاب لم يفت فى عضد الشعب الذى قدم ممثلوه يوم II
يناير مذكرة الى صاحب الجلالة للمطالبة باعلان الاستقلال فعمد القصر الملكى
الى تجديد مطالبة فرنسا بالغاء الحماية وتشكيل حكومة مغربية واجراء مفاوضات
ثنائية لاقرار علائق جديدة وذلك فى مذكرة الى الحكومة الفرنسية بتاريخ
I4 مارس ونادى المتظاهرون يوم 30 مارس بوجوب فسخ الحماية فواجهت
فرنسا هذا التيار العارم بسيل من الاعتقالات وبايقاف الصحف الوطنية خنقا
للرأى العام المغربى الذى تمكن مع ذلك من التعبير عن سخطه امام مندوبى امريكا
الجنوبية المدعويين من طرف فرنسا للوقوف على منجزاتها بالمغرب واخيرا اجابت
فرنسا المذكرة الملكية فى I7 شتنبر 1952 اتضح من البلاغ الملكى الصادر يوم 8
اكتوبر 1952 خلوها من اى عنصر جديد يمكن الارتكاز عليه لتجديد العلاقات
وكان امل الشعب وطيدا من حسن تفهم الحكومة الفرنسية لاسيما وان مؤتمر
الحركة الجمهورية الشعبية طالب بالغاء الحماية ولكن باريز ظلت متمسكة
بالاوهام مصرة على اقرار الازدواجية فى ادارة الحكم والهيآت النيابية لذلك
لم يتردد الملك فى رفض فحوى المذكرة الجديدة وكان الوضع يتأزم بين فرنسا
وحلفائها فرفضت الكتلة الاطلسية اقحام المغرب بالرغم عنه فى مجموعتها كما ادان
التجار الامريكيون بالمغرب امام محكمة الاهاى (I5 يوليوز 1952) سياسة التقنين
الفرنسية المناهية لعقد الجزيرة فكان فرصة لافتضاح سياسة الحكم المباشر
وابراز سيادة المغرب الاقتصادية بفتح ابواب الاستيراد الحر على قدم
المساواة بين جميع الاجانب ولم يكن هذا النزاع الفرنسى الامريكى ليعضد
حكومة باريز امام هيئة الامم حيث اضطرت الولايات المتحدة نفسها بعد تسجيل
قضية المغرب من جديد الى اعلان ضرورة اثبات جميع الدعاوى الموجهة الى المنظمة
الاممية فتمت بالفعل الموافقة على ادراج القضية واتجه الفكر العام المغربى الى
الحقل الدولى فقام علال الفاسى بجولة فى امريكا اللاتينية يدعوها لتعزيز موقف
العرب والمسلمين فى قضيتنا العادلة ووقفت فرنسا موقف المتهم امام الدول
فلم يجد وزير خارجيتها شومان حجة اقوى من ادعاء عدم الاختصاص لان قضية

(I) كان من جملة من حكم عليهم بالنسجن ثمانية عشر شهرا فى 8 يناير
1952 والدى السيد عبد الواحد بنعبد الله بتهمة مهاجمة سياسة الحماية .

المغرب فى نظره داخلية ولكن اصداء تصريحات جلالة الملك وخطاب العرش فى العيد الفضى (18 نونبر 1952) كانت قد وصلت بعد انعقاد الدورة باسبوع (8 نونبر) محبطة فى مضمونها الادعاءات الاستعمارية فكان فى ذلك انتفاضة جديدة للكتلة الافريقية الاسيوية التى حققت خطوة هامة بمصادقة الامم المتحدة على نص يطلب من فرنسا معاضدة الحريات الاساسية عن طريق التفاوض غير ان رد الفعل الفرنسى تبلور فى تكتيل الصنائع مثل الكلاوى والكتانى بالمغرب وبسياسة الاغتيال بتونس حيث قتلت اليد الحمراء الفرنسية الزعيم النقابى فرحات حشاد فكان ذلك مبدءاً انطلاق الشعب المغربى فى سلسلة من الاضرابات والمظاهرات استشهد فيها مآت المغاربة ووقفت الصحف الوطنية واعتقل قادة الاحزاب القومية مع الاف المواطنين وتنفس المستعمرون الصعداء حاسبين ان الجو قد خلا لترويج ترهاتهم ولكن هذا الجو المكبوت كان ينذر بالانفجار لان الشعب الواعى كان يتربص لاسيما وان الفكر العام العالمى كان يسانده فى قلب فرنسا وقد شعرت الاقامة العامة بان استئصال شافة المعارضين لا يمكن ان يتم الا اذا توج بخلع الملك وقد اوعزت لصحافتها بالمغرب وفرنسا ان تمهد الجو للتآمر على العرش الذى اصبح عقبة كاداء فى وجه الاستعمار وتحرك البيادق من الباشوات والقواد وأدعياء التصوف معززين بأحزاب مفتعلة كحزب الاديسى وحزب الزمرانى (حزب الشعب) وقدماء المحاربين واحزاب فرنسية كالحزب الراديكالى الذى عقد مؤتمره بالمغرب فى ابريل 1953 لتأسيس جمعية الوجود الفرنسى وازاء هذه الضجة المصطنعة وجه الملك مذكرة جديدة (14 ابريل) يقترح اجراء مفاوضات بباريس نظرا للتعفن السائد بالمغرب فاجابت حكومة فرنسا بعد اسبوع بان المحادثات يجب ان تدور بالرباط مؤكدة بذلك تضامنها مع كيوم واعوانه واقيم فى الحواضر المغربية مهرجان عظيم ضم الى جانب كيوم الجنرال جوان والوزير الفرنسى لقدماء المحاربين ومختلف البيادق ودبرت خطة كفاهم فيها جوان مؤونة بباريس ونسق العمل الهادف الى خلع الملك بعريضة للقواد سلمت الى بيدو وزير خارجية فرنسا تندد بحياد محمد الخامس عن الدين وبمساندته للاحزاب وبعزم القواد والباشوات على تنحيته عن العرش ووضع مقاليد الامر فى يد شخصية احق ولم تكن الاقامة تقصد فى البداية سوى الضغط على القصر لقبول الاصلاحات فى اطار الحماية ولكنها وجدت فى شخص محمد الخامس شهما صمد فى رزانة وحكمة امام هذا «الشانطاج» وقد وقفت الامة خلف الملك

تسانده بعرائض الولاء فانبرى العلماء وبعض كبار القواد لدحض ترهات الباشوات الموظفين الذين يزعمون التحدث باسم الامة كما تألفت فى باريز برياسة الكاتب الحر فرنسوا مورياك لجنة «فرنسا المغرب» لتنوير الفكر العالمى حول حقيقة ما يجرى فى المغرب والتنديد بهذا الوجود الفرنسى الذى يريد ان يرتكز بالحديد والنار والدسائس والمؤامرات فى بلد له كيانه وسيادته وفى هذا الخضم كان الشعب يواصل رغم القمع الشديد مظاهراته الصاخبة وكانت الوثبة اجماعية حول محمد الخامس ولكن الاقطاعيين المدفوعين من طرف الاستعمار المسعور والمعرزين بصحافة ماجورة كانوا منطلقين فى غير وعى ولا هوادة نحو تحقيق خطتهم الجهنمية فاقسموا الايمان فى ضريح المولى ادريس يوم 11 غشت 1953 لينزلن عن العرش هذا الملك الذى ابى الامناواة فرنسا لتحقيق مايسميه هو والوطنيون بالمطامع القومية وبالاستقلال وكان الميعاد هو 13 غشت بمراكش لتنفيذ الحلقة الاخيرة من هذه المأساة التى لم يكن اقزامها يحسبون لثورة الشعب حسابها وابى الملك الا ان يحذر فرنسا من عواقب هذا التيار الذى سوف يجرف بالاستعمار واذنابه قبل ان يؤثر قلامه ظفر فى صمود الملك والشعب وعندما كان القواد والباشوات متجمعين فى عاصمة الجنوب جاء كيوم الى القصر الملكى محاطا بالدبابات التى احدثت بالمشور وكان الجنرال المقيم يلعب على حبلين يتظاهر بالوساطة بين الطرفين وبالمسالة تمويها على الراى العام (اذ كان يبدو قد صرح امام الحكومة بان فرنسا لاتنوى خلع الملك) ويوجه فى نفس الوقت بيادقه مثل بونيفاس وفالا الى المتأمرين فى مراكش لحثهم على جعل فرنسا امام الامر الواقع وفعلا انتهى مؤتمر الاقطاعيين فى الجنوب يوم خامس عشر غشت بحضور المقيم ومبعوث الحكومة الفرنسية الخاص وباقى رؤساء النواحي واقطاب الاستعمار - بالمناداة بالشيخ العجوز محمد بن عرفة اماما دينيا للمغرب واصدر كيوم بلاغا حول مقابله مع الملك وفرضه على العاهل اصلاحات جردت الملك من سلطته التشريعية لصالح هيآت مشتركة من المغاربة والفرنسيين فانبثق الشعب من اقصى البلاد الى اقصاها فى فورة عارمة يندد بالضغط الذى يتعرض له رمز الامة واصدر القصر بلاغا يوم 17 غشت يدعو الى الهدوء ويذكر بان الاحداث الدامية التى غمرت المغرب لم تكن سوى نتيجة محسوسة للمساس بالعرش المؤتمن على سيادة الامة وشعرت الحكومة الفرنسية بالخطر فامرت مقيميها بالوساطة بين القصر والباشوات من

جديد واستدعى المقيم الكلاوى بمجرد عودته من باريس بالتعليمات الحكومية
القاضية باقناع خصوم القصر بالتساهل وتلفن لباريز الاخبار الحكومة برفض
الكلاوى كل مفاهمة ثم جاء الى القصر فى هاجرة الزوال تعقبه دوريات مصفحة
توغلت داخل المشور فطالب كيوم الملك فى وقاحة بامضاء وثيقة التنازل عن العرش
فكان جواب الملك الرفض البات فلم يسع مدير الامن سوى اعتقال الملك ونجليه
الاميرين مولاي الحسن (جلالة الملك الحالى نصره الله) ومولاي عبد الله فسيق
الجميع على متن طائرة فرنسية الى جزيرة كورسيكا مع باقى افراد الاسرة الملكية
هناك انطلقت الشرارة الاولى من شعب فقد قائد وزعماء فانبرى فى
اندفاع ثورية يشق طريقه فى واد من الدماء نحو التحرر واسفرت هذه الفورة
الشعبية عن انبثاق حركة فدائية طوحت بكثير من رؤوس الفتنة وبيادق
الاستعمار وبثت الرعب فى صفوف المستعمرين وفرضت بالحديد والنار ارادة
الامة بالرغم عن الاعتقالات والاعدامات وتكديس المواطنين فى المعسكرات وعقبت
هذه الاندفاع المرتجلة العنيفة معركة منظمة أجم اوارها قادة جيش التحرير فى
الداخل والخارج وكانت منطقة الشمال الخاضعة للنفوذ الاسباني ملتقى للاحرار
ومعسكرا للتدريبات ينبثق منها رجال الفداء لانزال ضرباتهم الموصولة وخشى
الاستعمار مغبة هذه الانطلاقة الجامحة فعزز الداخل بجيش عرمرم من الجند
والجواسيس واشاع الرعب والارهاب ونقل الملك البطل والامراء والاميرات
الى جزيرة مدغسكر خشية التواطؤ على الاختطاف وتوالت فى العالم العربى
والاسلامى هزات زعزعت اركان المستعمرين وفضحت المكاييد الفرنسية وأثارت
موجة من الاستياء حتى داخل فرنسا وكان الشعب موقنا بنجاح مسعاه مومنا
بقرب عودة الملك المنفى الى عرشه لان ارادة الشعب لا تقهر وتعاقبت الضربات
والقذائف على ابن عرفة واذنابه واعترضته مفرقات الفداء مرارا فصار يستنجد
فرارا من هذه المملكة الوهمية ولا مغيث وغلق الكلاوى والاقامة على هذا العجوز
ابواب القصر واصبح سجيننا تساق اليه الظهائر المقيمة لتوقيعها واخيرا
توالت صرخاته فسمح له اسياده بالاستحمام فى طنجة او خارج المملكة ونصبوا
له ولى عهد فى شخص ولده وكان مؤتمر ايكس ليبيان قد انعقد لجس النبض
ولتغطية فشل السياسة الاستعمارية بمحاولة ترمى الى انقاذ الموقف وايقاف
تيارات النقد اللاذع المنصب على باريز واختلفت الآراء بين الوطنيين فى الداخل
والخارج وكان الاحرار قد انطلقوا من السجون بعد ان كان وعيد الاستعمار
ينذرهم بالموت العاجل او الخلود فى معسكرات الاعتقال وشعر الكل بضرورة
الانسحاق مع هذه التجربة الجديدة التى لم تكن سوى تغليف دبلوماسى لاختفاق
فرنسا واصبح مطلب الشعب القاضى برجوع الملك حديث الاندية وترددت
اصداء المحالات داخل الكوالس فى شكل امكانيات وتساوقت الاحداث فعين
مجلس موقت لوصاية العرش ونقل محمد الخامس الى سان كلود بفرنسا
وانصاعت باريز الى مطامح الملك والشعب فاعترفت بالواقع وعاد الملك الظافر
يوم 16 يونيه 1955 الى الرباط ليحمل لشعبه وثيقة الاستقلال فى خضم من
الافراح كللت ثورة الملك والشعب .

المعجم التاريخي

أهم الأحداث والأعلام والأماكن مرتبة ترتيباً أبجدياً

تأليف :

عبد العزيز بن عبد الله

استاذ بكلية الآداب

هذا المعجم لا يحتوي إلا على معلومات
إضافية لم تذكر في كتابينا « معطيات
الحضارة المغربية » و « تاريخ المغرب »

المعجم التاريخي

- 1 -

الاحماس : كثير من قبائل الغرب كانت مقسمة الى اخماس والخمس عبارة عن وحدة عسكرية لا ادارية لان كل خمس يحتوى على جماعة من الرماة على رأسهم مقدم ولها علم ذولون معلوم قد نقشت عليه عبارة « لا اله الا الله » .

الأرز : ذكر مياج Miège (هسبريس 1959 ص 219) ، ان الارز كان يزرع في الغرب طوال القرن التاسع عشر الميلادي وقد اصدره المغرب الى فرنسا عام 1840 اما القطن فقد توفرت مزروعاته بين 1805 و 1840 قرب تطوان (مارتيل) وفي ولجة سلا (حيث وصف التاجر الفرنسي Rey بساتين القطن عام 1839) وبين هضاب شالة وابي رقراق وقرب الدار البيضاء (وادي بوسكورة) وفي وفي انحاء ازموور والجديدة واسفى وكذلك حول مكناس وفي الريف والسوس وخاصة حوز مراكش وكانت مصانع تطوان تتوفر عام 1828 على آلات لفرك الياف القطن كما كان بالرباط 28 معملا لنسيج القطنيات وقد بلغ الانتاج عام 1836 في تطوان نحو 80 طنا وفي الرباط وسلا بين عامي 1840 و 1850 خمسة عشر طنا وقد اصدر المغرب القطن بين سنتي 1810 و 1840 لمرسيليا ولندن وجنوة وجبل طارق وقد جلب المغرب القطن من الاسكندرية على بواخر فرنسية وانجليزية كما جلب القطنيات من انجلترا والهند والقطن الازرق من السودان وبعد « مجاعة القطن » في اوربة (1858 - 1865) ازدهرت زراعة القطن في المغرب واهتم سيدي محمد بن عبد الرحمن بمدّها الى اراضي المخزن حفظا للعملة المغربية المصروفة في الواردات .

ازغار : بلاد الشراردة وسفيان والخلط

أزمور ، سماها ياقوت في المعجم (ج 1 ص 216) أزمورة (بثلاث ضمات)
كما انه سمي اصيلا بازيل وكذلك ابن حوقل (ص 217) .

- راجع النص العربي للرسالتين التين وجههما سكان أزمور الى ملك البرتغال يوحنا الثاني عام 1486 - للاعتراف بخضوع اقليمهم للبرتغال ودفع عشرة آلاف حوتة من الشبل سنويا كجزية مع جواب يوحنا بالعربية (السلسلة الاولى -

من وثائق المغرب غير المنشورة السعديون - البرتغال ج I ص 4) وقد خاطبه اصحاب مدينة ازموور « يمولانا دون جون أرشده الله سلطان برتغال ٠٠ يقبلون يديكم مع رجلكم الكريمة والرسالة ممضاة من محمد بن قاسم الرعيني تعقبها رسالة موافقة تحمل عدة توابع من سكان أزموور (10 - 16) راجع ايضا النص العربى لرسالة يوحنا الثانى الى سكان آسفى (1488) جوابا عن طلب قائد اسفى احمد بن على الذى اوفد ابن اخيه يحيى الزيات لاعلان خضوع المدينة ليوحنا بعدان خضعت للفونس الخامس (المتوفى عام 1481) فجدد يوحنا العهد للقائد ومدينته كرايا للعرش البرتغالى مع التزام اداء ثلاثمائة مثقال ذهبى نقدا او قيمتها شمعا مع فرسين كل سنة ودور صالحة او قطع ارضية لبناء دور يسكنها موظفو الملك (ص 25) تليها رسالة عما نويل الاول الى أهل ماسية الذين اوفدوا الشيخ العزيز مع حمو بن بركة وسيدى يحيى لاشبونة للاعتراف بسيادته على البلاد (ص 31) كما خضع له شيوخ قبيلة مشنزايه اكتبها هكذا صاحب السلوة (ص 78) وكتبها مشتراية ابن القاضى فى الدرة والجذوة وابن عسكر فى الدوحة وابن الزيات فى التشوف) برسالة كتبوها من المدينة فى ثالث جمادى الاولى (908) (4 نونبر 1502) (ص 70) وتناحر هؤلاء القواد هو الذى حداهم الى الاستعانة بملك البرتغال حتى ضد ملك مراکش الناصر بن يوسف

وفى هجوم البرتغال الاول على أزموور عام 1508 م قذف اهل المدينة على العدو المهاجم خلايا النحل (السلسلة الاولى - السعديون - البرتغال ج I ص 407) وكذلك فى الغارة الثانية عام 1513 م (ص 407) وكان الاسطول البرتغالى يحتوى على خمسمائة قطعة بقيادة دوق دوبر كانص Duc de Bragance (ص 430) وقد زحف من الجديدة 18000 جندي نحو أزموور (ص 434)

— القائد التركى كان يحكم ازموور باسم مولاي عبد الملك اقترح تسليم المدينة لمولاي محمد المسلوخ واخبر بذلك والى الجديدة البرتغالى كما ورد فى رسالة سبستيان (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 394)

الاستانة الباب العالى خصص منحة سنوية لمولاي عبد الملك واخيه عبد المومن فى تلمسان وقدرها 4٠000 او 5000 دوبرل (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 206) وذلك قبل أن يساعده بعشر سفن لنقل العتاد وعشرين مدفعا وبعشرة آلاف جندي تركى (ص 215) وقد بلغ عدد السفن التركية فى المغرب فى هذا العهد نحو الخمسين (ص 239) معظمها فى سلا والعرائش (ص 246)

— ذكر المولى عبد الرحمن بن زيدان ان سيدى محمد بن عبد الله دعا
للسلطان عبد الحميد العثماني يوم عيد الاضحى على المنبر (الاتحاف ج 3 ص 178)

الاسطول : كانت القطع القرصانية بسلا فى عهد مولاي رشيد عام 1669
تحتوى على I) فرقاطة من صنع سلا حملتها تسعون طنا مجهزة بستة مدافع
وتحمل مائة وثمانين ملاحا 2) فرقاطة اقتنصت من فرنسا عام 1668 من حمولة
60 طنا وستة مدافع وتحمل 110 من الملاحين 3) مركب فى قوة الفرقاطة المذكورة
من صنع هولندى اقتنص من الانجليز 4) فرقاطة من صنع انجليزى اقتنصت
حملتها 50 طنا وجهازها أربعة مدافع تحمل 80 ملاحا 5) مركب من
صنع هولندى اقتنص من الفرنسيين 6) ثلاث فرقاطات صغرى مصنوعة
بسلا ذات حمولة وزنها ثلاثون طنا للوحدة
ومدفعان وستون راكبا 7) فرقاطة جديدة من صنع سلا حملتها مائتا طن مجهزة
بأربعة وعشرين مدفعا تحمل ثلاثمائة راكب وقد استولى القراصنة فى هذه
الغضون على 19 سفينة انجليزية وأربع فرنسية كما لجأت الى سلا سفينتان من
صنع جزائرى (الفلايون - السلسلة الثانية ج I ص 279)

— عندما اعتلى السلطان مولاي سليمان اريكة العرش كانت البحرية الملكية
تتوفر على عشر فرقاطات وأربعة مراكب شراعية وأربعة عشر زورقا وتسعة عشر
مركبا كبيرا للمدافع مع ستة آلاف من البحارة الماهرين (كودار ج I ص 156)

الاسرى : لاحظ Du Tertre دوتيرتر فى تاريخ جزر الانطيل (ج I ص 81) أن
كثيرا من المحررين من بين الاسارى الاقدمين فى افريقيا الشمالية « يلعنون
الساعة التى خرجوا فيها من الأسر لأنهم أشد يؤسا فى وضعهم الجديد

— وجه لويس الثالث عشر ملك فرنسا رسالة الى ديوان جمهورية سلا يطلب
تحرير الاسرى الفرنسيين فحرر الديوان مائة وعشرين منهم وقد تدخل بين
الطرفين فى سلا العميل الانجليزى جوهن هاريسون لانجاح المسعى (السلسلة
الاولى - السعديون ج 3 ص 309) راجع النص العربى للرسالة الموجهة فى شأن
تحرير الاسرى من مولاي عبد الملك بن زيدان الى لويس الثالث عشر بتاريخ 26
ربيع النبوى سنة 1040 (ص 350) وقد ارفق ملك فرنسا رسالته الى عبد الملك
بمنسوجات قيمتها مائة الف ليرة مقابل الاسرى (ص 390) ووجه مولاي الوليد
ابن زيدان مبعوثه الاسرائيلى دافيد بالاش الى فرنسا فتسلم الهدايا مع نص
مصادقة ملك فرنسا على معاهدة الصلح ولكنه سافر الى هولندا وحسب السلطان

أن فرنسا احتقرته فلم تجب مدة عام ونصف فسمح للقراصنة بمطاردة السفن الفرنسية وأسر الرعايا الفرنسيين واعتقال القنصلين مازى Mazet ودوبوى Du Puy وكان بالاش قد سلم الى ملك فرنسا رسالة اعتماد مزورة فتدخلت فرنسا لدى هولندا للقبض على بالاش واستشارت هولندا السلطان فأمر باعتقاله فى رسالة مؤرخة ب1635م حملها الى فرنسا دوشالار Du Chalard الذى جاء لتصفية هذا الخلاف ومنها الى هولندا فى العام التالى ولكن بالاش فر الى كولونى فى حين سعى والده يوسف واخوه موشى لتبرئته فجدد له الوليد اعتماده كمبعوث للمغرب فى هولندا (ص 396)

— نظرا للخلاف بين فرنسا والمغرب حول تبادل الاسرى اوقفت فرنسا مبادلاتها التجارية مع المغرب بمرسوم ملكى عام 1687 ولكن التجارة استمرت خوفا من استيلاء الانجليز على السوق لاسيما وأن فرنسا زاحمت انجلترا منذ مدة فى بيع الانسجة الصوفية علاوة على احتكارها لسوق نسيج القطن والكتان (دو كاستر — السلسلة الثانية — العلويون ج 3 ص 144 — 179)

— ذكر الزيانى أن سجون المولى اسماعيل كانت مملوءة بخمسة وعشرين ألف أسير مسيحي ونحو ثلاثين ألفا من المجرمين وقطاع الطرق (مقتطفات من الترجمان العرب — ترجمة هو داس ص 54)

— ورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle ان مولاي اسماعيل الذى كان يحتفظ فى سجنه بأسرى برتغاليين اشترط لتسليمهم تنازل البرتغال عن الصويرة كما اشترط لتسليم الأسرى الاسبان دفع الكتب العربية المحجوزة فى اسبانيا (السلسلة الثانية العلويون ج 3 ص 349)

— دفعت اسبانيا مقابل تحرير مائة أسير اسباني من ضباط العرائش 1051 أسيرا مغربيا وجزائريا (ص 120) علاوة على نفقات بلغت مائة وخمسين ألف بسيطة (السلسلة الثانية — العلويون ج 3 ص 428 — 437) وورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle أن فرنسا اقترحت استبدال أسيرين بأسير مسيحي ، ولكن مولاي اسماعيل تنازل لتعويض رأس برأس (ص 441)

— كان عدد الاسرى بمكناسى أوائل القرن الثامن عشر 130 فرنسيا و 460 اسبانيا و 200 برتغالى و 17 جنويا و 8 من السويد وهو لنديان اثنان (السلسلة الثانية — العلويون ج 6 ص 484)

آسفى : نصت رسالة مؤرخة ب 7 اكتوبر 1534 وجهها اسقف لاميكو Lamego الى ملك البرتغال يوحنا الثالث يوصيه بالتنازل على آسفى وأزمور واكادير بعد هدمها وباحتلال مملكة فاس الحافلة بالمدن الغنية بالمياه المعتدلة المناخ بالنسبة لدكالة ومملكة مراكش والتي هي أشبه بالبرتغال ومدنها ضعيفة يسهل احتلالها فى حين أن عرب الجنوب رحالة تصعب مطاردتهم ، ويجب انقاذ سبتة لاهميتها بالنسبة للمسيحية (م.غ.و.و.السعديون I ج ص 57) وفى رسالة اخرى من أحد النبلاء الى الملك يحضه على استشارة البابا ويؤكد أن احتلال المغرب يجب أن يتم سواء بدىء بفاس أم مراكش لان فى ذلك تعويضا للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا (ص 73) وتنصح رسالة اخرى الملك بالتقليل من مصاريف البلاط للبدء باحتلال مراكش دون التنازل عن اسفى وازمور (ص 90)

الاسقفية : كان المغرب هو الاسقفية الوحيدة التى تشرف على الحركة المسيحية بافريقيا الشمالية وكان اسقف مراكش هو المسئول الوحيد (ماس - لاطرى - علائق وتجارة - افريقيا الشمالية مع الامم المسيحية ص 226)

الاسلام : لاحظ ابن عذارى أنه فى عام 85هـ تم اسلام المغرب الاقصى وحولت المساجد التى بناها المشركون الى القبلة وجعلت المناجر فى مساجد الجماعات وفيها صنع مسجد أغمات غيلانة (ج I ص 37)

- ذكر ابن خلدون فى تاريخه (المجلد الاول القسم الثانى ص 293) نقلا عن ابي زيد انه ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتى عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده

- اكد روبير مونتاني Robert Montagne فى كتابه البربر والمخزن

Les Berberes et le makhzen ص 54 أن الاسلام هو الذى حمل الى المغرب فكرة الدولة

- راجع النص الاصل المختوم لرسالة وجهها المولى اسماعيل بالاسبانية الى جاك الثانى ملك انجلترا عام 1698م (1109هـ) يدعوه فيها الى الاسلام ويذكره بعلائق المغرب الطيبة مع الملك السابق شارل الثانى (السلسلة الثانية العلويون ج 3 ص 560) تليها رسالة بالعربية مطولة فى نفس الموضوع (ص 562)

- اكد لاووست Laoust (نشرات معهد الدروس المغربية العليا

مجلد 18 ص 9) أن ورود المسيحيين على الجبال المغربية قد اعتبره البربر أفدح شرمنى به الشعب المغربى

— نشرت مجلة هسبريس (ج 4 سنة 1924) نماذج للقانون العرفي في مأساة قبل عام 1298 وهو يحتوى على 29 فصلا و 190 بندا وقد نص البند العاشر بعد المائة أن في وسع شخصين أن يتفقا على احالة دعوى الشرع بعد تقديمها الى مجلس القبيلة أو الجماعة وأن الواجب انذاك هو تطبيق الشريعة الاسلامية لا العرف المحلى .

— **اسماعيل (المولى) :** كان مولاى اسماعيل بفاس ينوب عن اخيه مولاى رشيد عندما مات هذا الاخير بمراكش وقد بويح بفاس كما أكد ذلك الافرانى والقادري فى نشر المثانى خلافا للزيانى والناصرى الذين نصا على أن البيعة كانت بمكناس مقرر نيابة مولاى اسماعيل

— لاحظ الزياني أن المولى اسماعيل ترك 528 ولدا ومثلهم من الاناث وقرأ فى سجلات سيدى محمد بن عبد الله حيث كانت تدون المنح الموزعة عليهم أن هذه الذرية كانت تحتل خمسمائة دار بسجل ماسة كما وقف الزياني على ذلك بنفسه عندما توجه الى الصحراء لدفع هذه الاعانات (مقتطفات من الترجمان العرب ، ترجمة هوداس ص 54)

الاكحل — لاحظ الناصرى (الاستقصا ج 2 ص 57) أن السلطان الاكحل هو ابو الحسن المرينى لأن أمه كانت حبشية بينما أكد باسى أنه هو أبو يعقوب يوسف المرينى 204 René Basset, Nedroma et les Trarcas n. وذكر الكتانى فى سلوة الانفاس (ج 3 ص 217) نقلا عن صاحب شرح الصدور فى مناقب الشيخ ابي يعزى يلنور أن السلطان الاكحل عند العامة هو ابو يعقوب الموحدى على أساس أنه هو صاحب ماء الحمة التى يغتسل بها ذوو العاهات والظاهر أن الاسم متعدد لان كثيرا من الملوك كانوا موغلين فى السمرة

اصيلا : الفونس الخامس الملقب بالافريقى الذى ملك البرتغال خلال ربع قرن (1438 - 1481) هو الذى استولى على اصيلا وطنجة عام 1471 (دو كاستر — السعديون — البرتغال — ج 4 ص 108)

— فى عام 1542 طرد البرتغاليون اليهود من اصيلا (السلسلة الاولى السعديون — البرتغال — ج 4 ص 108)

— رد روبير ريكار (هسبريس ج 33) على صاحب الاستقصا فلاحظ أن العرائش لم يحتلها البرتغاليون قط وأن الاسبان هم الذين استولوا عليها من 1610 الى 1689

أما أصيلا فقد احتلها البرتغاليون من 1471 الى 1550 ثم من 1578 الى 1589 ومنذ هذا التاريخ لم تقع فى قبضة أية دولة أوربية (ص 201) ثم اتهم الناصرى بأنه المسؤول الاول عن الاغلاط الفادحة المرتكبة غالبا فى وصف الحملات الاروبية بالمغرب وقد حمل ليفى بروفنصال كذلك عام 1922 على الناصرى وهم يستندون فى ذلك الى وثائق أوربية .

لم يسترجع احمد المنصور مدينة أصيلا الا بعد مرور نحو اثنى عشر عاما على معركة وادى المخازن (13 شتنبر 1589)

الاطلس : يظهر أن التمييز بين أقسام الاطلس (الكبير والاولى والصغير) لم يعرف قبل رحلة فوكولد الى المغرب عام 1883 وقد أشار قبله الرحالة البرتغالى المجهول صاحب « وصف المغرب » (السلسلة الاولى من السعديين ج 2 ص 231 - 313) الى سلسلة أولى تمتد من حاحة الى الممر المؤدى من مراكش الى درعة وهذا الحد الفاصل بين مملكتى مراكش والسوس هو المسمى ادرارن درن (جبل درن) فى حين تسمى السلسلة الممتدة شرقا والفاصلة لمملكة مراكش عن مملكة درعة بتيلى - نكلوى (راجع رحلة فوكولد ص 95) وقد سمي الأطلس الكبير أو درن قديما بالجبال البيضاء Montes Carlos نظرا لقممها المكسوة بالثلوج كما سميت الجبال الصغرى Montes Atlas وعرف الاطلس الصغير بجبل تزروالت (السلسلة المذكورة ص 270)

— وأكد روبير مونطاني (البرابرة والمخزن ص 69) أن قبائل الاطلس الكبير ادهشت الغربيين بقيمتها الحربية وقوتها التنظيمية وبمالها من قابلية التجانس

اعذار : (الاطفال) : يظهر أن عادة اعذار الاطفال لم تكن معروفة بالمغرب قبل الموحدين وقد قام المنصور بذلك لأول مرة عام 595 بمراكش حيث جعل فى يد كل طفل دينارا من ذهب ودرهما من فضة وحنة من الفاكهة الخضراء ليشتغل بها عن ألمه ويصرف الدينار فى مداواته (البيان لابن عذارى ج 4 ص 180)

الاقطاعية - لاحظ دوتى (مراكش ص 401) أن الاقطاعية لا تقوم على وجود اقطاعى واحد وأنها عبارة عن مجموعة وأن هذه المجموعة لاوجود لها بالمغرب كما أكد كوستاف لوبون (حضارة العرب الطبعة الفرنسية ص 415) أن العرب لم يعرفوا قط النظام الاقطاعى

اكادير : - لاحظ دو كاستر (م. ١٠٠٠ م. السعديون I ج I المقدمة) أن وثيقة برتغالية مؤرخة باكادير في 10 شتنبر 1537 تحمل على الاعتقاد بان احتلال السعديين لهذه المدينة لم يتم الا في 12 غشت 1536 حسبما توهمه مارمول ومن نقل عنه بل من 12 مارس عام 1541 مما حدا يوحنا الثالث الى الجلاء عن اسفى وأزمور (ص 106) وهذا التاريخ يتفق مع ما أورده اليفرنى الذى اكّد أن محمد الشيخ هو الذى اختط مرسى اكادير عام 947 هـ (أى ما بين 1540 و 1541 م) ولكن هذا لا يدل فى نظرنا على أن تحرير المدينة من طرف السعديين تأخر الى التاريخ ولم يتم عام 1536 (أى 942 هـ)

- فى اواخر القرن السادس عشر كانت اكادير تصدر الى انجلترا السكر الصافى والسكر الخام وكثيرا من ملح البرود والبلح والزرابى والقطن (السلسلة الاولى - السعديون - انجلترا ج 2 ص 91)

امريكا : (الكشف عن) - ذكر ابن عربى الحاتمى فى بعض تأليفه أن وراء المحيط الاطلنطيقى امما من بنى اءدم وعمرانا وقد عاش قبل كريستوف كولومب بثلاثة قرون وقد تحدث أيضا صاحب مسالك الابصار نقلا عن شيخه محمود الاصفهاني قبل كولومب بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود أرض وراء المحيط وقد توفى الاصفهاني عام 749 هـ ، وذكر ابن الوردي فى جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات جزائر عظيمة فيها خلق كثير ووصفها وصفا يكاد ينطبق على وصف بلاد امريكا وابن الوردي عاش فى القرن الرابع عشر أى قبل كولومب باكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربى محاضرات المجمع العلمى العربى (بدمشق ج 2 ص 233)

امقدول - مرسى امقدول هى الصورة Magador حسب البكرى (افريقية والمغرب فى المسالك ص 86)

الامويون: اتصلت دولة الامويين فى الشرق والغرب الى عام 424 هـ ذلك أن عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية من قبل بنى امية وصل الى يوسف ابن عبد الرحمن المتغلب على الاندلس الذى دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو أميرها (البيان لابن عذارى ج 2 ص 57)

الانتاج - وصف الشريف الادريسى الانتاج الزراعى بالسوس فى القرن السادس الهجرى فلاحظ وجود اجناس كثيرة من الفواكه كالجوز والتين والعنب العذارى والسفرجل والرمان الاملىسى والاترج الكبير والمشمش والتفاح

المنهد وقصب السكر الذى ليس على قرار الارض مثله (نزهة المشتاق فى اختيار الافاق - الجزء الخاص بافريقيا الشمالية والصحراء ص 39) كما وصف اخضرار النبات الدائم فى الاطلس حيث يتوافر التين والعنب المستطيل العسلى بدون نوى والجوز واللوز والسفرجل والرمان والاجاص والكمثرى والمشمش والاترج وقصب السكر والزيتون والخرنوب واركازان (ص 41) ثم أبرز أهمية المبادلات التجارية مع السودان فلاحظ أن أهل اغمات « أملياء تجار مياسير يدخلون الى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الاموال من النحاس ، الاحمر والملون والاكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والاصداق والاحجار وضروب من الافاويه والعطر وءالات الحديد (ص 143)

— كانت النيله حسب ابن خلدون تزرع فى درعه ويستخرج الصحراويون مادتها بمهارة

الاندلس - كان المرور من ميناء سبتة الى الجزيرة يتم فى ثلاث ساعات كما وقع لعبد الملك بن المنصور بن ابي عامر عام 389 هـ (نبذة تاريخية فى اخبار البربر فى القرون الوسطى منتخبة من مفاخر البربر - طبعة ليفى بروفنصال ص 34) وفى عام 1565 اكتشف فيليب الثانى ملك اسبانيا فى قشتالة مبعوثا لملك المغرب ورد لجمع الزكوات من الاندلسيين (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 88)

— يظهر ان غرب الاندلس كان اشد تأثرا بالمغرب ففى خصوص الأزياء مثلا لاحظ المقرى (النفج ج I ص 105) أن أهل شرق الاندلس يتركون العمائم فى حين أن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه وهو بعمامة كان اسم الثغريين أى سكان الثغور يطلق على اندلسى اقليم اراكون فى حين سمي بالاندلسيين سكان الاقاليم الجنوبية

انطوان الايرلندى - كان المسيحى الايرلندى انطوان هو الذى يترجم للمولى زيدان - وهو أسير بمراكش الكتب اللاتينية الى اللغة القشتالية ثم ينقلها بعض الاعلاج الى العربية (كودار ص 498)

انطونيو - أجلى فيليب الثانى حاميته من اصيلا عام 1589 لحمل المنصور الذهبى على عدم اقراض انطونيو مائتى ألف كروزادا (السلسلة الاولى - السعديون ج 2 ص 286) أما الجلاء عن القصر الصغير فقد تم عام 1551 م

اورانج (امير) - كان امير اورانج Prince d'Orange يعتبر التحالف

ولومع المسلمين ضد البابوية مشروعا وضروريا نظرا لسلوك البابا في ملحمة
برتيليمي ضد البروتستانت (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 363) وكانت
اورانجوى اقليما اقطاعيا انضم الى العرش الفرنسى عام 1673

— ب —

البابا : التقسيم العالمى بقرار) مرسوم التقسيم البابوى
لمناطق النفوذ بين اسبانيا والبرتغال أصدره البابا الاسكندر السادس بتاريخ
14 مايو 1494 غداة الكشف عن امريكا (دو كاستر - السعديون I ج I ص 44)
وقد منحت البابوية بمقتضى مرسوم الصليبية المقدسة امتيازات لمسيحيى
اسبانيا والبرتغال فى حروبهم ضد المغرب منها حق اكل البيض والحليب خلال
الصوم بل وحتى اللحم وصار ملوك البلدين يبيعون هذه الامتيازات لتعزيز
صندوق الدولة سنويا بنحو مائتى مليون درهم مرابطى وهذا الاستغلال هو
الذى حدا البرتغال الى الاحتفاظ بالجديدة الى عام 1770 واسبانيا بسبته ومليية
(ص 55)

بادس - توجد بادس بالزاب وبادس فاس على البحر المتوسط (معجم
ياقوت ج 2 ص 29)

— كانت بادس مدينة تجارية مهمة تعتبر ميناء فاس فى البحر الابيض
المتوسط (راجع كتاب كابريرا Cabrera ج I ص 394) وكان الاسطول
التجارى البندقى ياتى مرة كل سنتين الى هذا الميناء

— قرصان حجرة بادس كانوا يحملون اسبانيا والبرتغال سنويا ازيد من
مليون من العملة الذهبية (السلسلة الاولى السعديون ج I ص 243)
ولعل المقصود مليون ايكو Ecus (أى مايقارب الدينار) أو اثنى عشر
مليون فرنك (ص 265) .

جلا الاسبان عن حجرة بادس Penon de Velez De la gomarc
عام 1522 (929هـ) ثم عادوا اليها عام 1564م (971هـ) فوجدوا فيها 21 مدفعا تركيا
وقد اتخذها القراصنة الجزائريون مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص
السفن المتوجهة للهند وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم ولم يكن
هذا سوى رد فعل لقراصنة مليية .

الاسبان الذين كان ملك اسبانيا يقتطع خمس أسلابهم quinto (و. غ. م. ٠
السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 15) والجند الريفى هو الذى طرد الاسبان
عام 929 هـ وبقي الوطاسى ابو حسون ثم السعديون مالكين لبادس الى عام 1554
(961 - 962 هـ) حيث احتلها الاتراك نجوا من عشر سنوات فاسترجعها الاسبان
وهدموا بادس واحتفظوا بجزيرتها معززين ب 92 سفينة برتغالية واسبانية مع
جنود ألمان وصقليين وايطاليين واسر جميع الاتراك (ص 63) وهناك أشعر
الاسبان بأن مصب نهر مارتيل هو الملجأ الوحيد فى الساحل الافريقى للقراصنة
المغاربة والاتراك وقد اغرق الاسبان فعلا بمعونة والى سبنة ستة مراكب مثقلة
بالاحجار فسدوا مدخل الوادى حيث انحصر مركبان تركيان واثنى عشر من
الغلك المغربى وذلك فى مارس 1564 وبمحضر أربعة آلاف من المشاة المغاربة
المسلحين بألف من الحراب اشتغلوا بصد هجوم اسباني على البر ، وكانت
ثمان سفن من سبنة تناور على بعد مرحلتين لشغل التتطوانيين (ص 100 - 128)
وقد رفض السلطان امضاء معاهدة للاعتراف بالامر الواقع (ص 141) ووجه
قائدين لاسترجاع الحصن (ص 151)

الباشا - يقال بأن مدينتى مكناس وفاس كانتا تتوفران على باشاوين
اثنين أحدهما للمدينة والآخر للاقليم (كودار ج I ص 42) .

البحر (الاخضر) - أطلق البحر الاخضر تارة على البحر الابيض المتوسط
(راجع طبقات السبكي ج 4 ص 44 وتحفة الاحباب ص 93 وابن خرداد به ص
92 وكتاب البلدان لليعقوبى ص 330) وتارة اخرى على المحيط الاطلسيقي (راجع
التنبية والاشراف للمسعودى ص 68 والخراج لقدامة ص 230 ونخبة الدهر ص
17) .

البديع (قصر) - ترك الرسام الهولندى اديان ماثام Matham
الذى رافق السفير الهولندى انطوان دولييدكير Antoine de Liedekerker
صورا تمثل مراكش وقصورها وخاصة قصر البديع الذى يصفه ماثام بأنه
« اية الآيات » وقصيدة بالهولندية فى مدح مراكش (السلسلة الاولى - السعديون
ج 4 ص 570) ويوجد وصف آخر لقصر البديع بقلم فرانسيسكو Francisco
de St. Jean Del Ruerto وهو وصف مكمل لوصف الافرانى ويرجع
عهده لعصر مولاى الوليد (ص 576)

نشر جوهن وندوس J. Windus فى كتابة « يوم بمكناس » (عام

I72I) تصميمًا للقصر الملكي بفاس وقد أكد جان مونيي Meunier (هسبريس I957صI29) أن هذا التصميم هو تصميم قصر البديع المعروف منذ عشر على التصميم المخطوط بالاسكوريال والذي نشره Koelher (هسبريس 1940 ج 27 ص I – I9) وقد بدأ التنقيب في مكان القصر منذ I950 .

براكانس (الدوق) – من جملة أسرى معركة وادي المخازن نجل دوك براكانس Duc de Bragance الذي كان ثالث ثلاثة يطمحون لعرش البرتغال زيادة على الدون انطونيو وملك اسبانيا وقد كان براكانس محظوظا عند الوصي هنري والجزويت وعدد كبير من النبلاء ولكن كان البرتغاليون يخشون أن يطالب المغرب بالمراكز المحتلة فدية للامير الشاب (السلسلة الاولى – السعديون ج I ص 354) .

البربر – يطلق المؤرخون الغربيون بربر Barbares أي المتوحشون على الافارقة الشماليين وقد لاحظ فريجوس Frejus في رحلته عام I666م أن المغاربة ليس لهم من البربرية الا الاسم (دوكاستر – الفلايون السلسلة الثانية ج I ص I23) .

البرتغال – في أواخر عام I640م اغتتم البرتغاليون حرب الاسبان مع فرنسا فاعلنوا استقلالهم وملكوا عليهم يوحنا الرابع فبايعته المستعمرات ومنها الجديدة في حين أن طنجة لم تنضم الا عام I643 نظرا لقربها من اسبانيا بينما ظلت سبتة تابعة لاسبان وكانت لانجلترا وهولندا انذاك أطماع في طنجة التي استعصى تمويلها لحيلولة الاسطول الاسباني بينها وبين البرتغال (السلسلة الاولى – السعديون – ج 3 ص 596) وقد فكرت البرتغال في التنازل لفرنسا عن طنجة مقابل مساعدتها ولكن فرنسا رفضتها لأنها لا تريد اضعاف مالهها وحاميتها (ص 609 – 6II) ثم عرضت البرتغال ذلك من جديد عام I657 بشرط زواج الاميرة كاترين بلويس الرابع عشر (ص 685) وفي هذه الغضون اقتنص الانجليز مركبين برتغاليين للمؤن سنتي I65I وI652 كانا موجهين لطنجة (ص 647) ثم عاد ملك فرنسا فطلب تسليم طنجة اليه (ص 687) غير أن المدينة سلمت بعد خمسة أعوام (2I مايه I662) لانجلترا كصداق لنفس الاميرة كاترين التي زفت الى الملك شارل الثاني وقد أكد المؤرخ روث Routh (ص I66) أنه في يونيه I679 وردت اخبار من انجلترا وهو لندا والبرتغال تؤكد مطامح فرنسا في طنجة .

— لاحظ كامبو في كتابه المنشور عام 1886 م باسم المغرب المعاصر امبراطورية تنهار » أن أزيد من ألف عامل مغربي توجهوا منذ سنوات الى البرتغال للاشتغال في عملية مد الخط الحديدي بين دكاكار وسان لوى وأنه من المحتمل ان يصبح المغاربة في يوم من الايام « صينيى افريقيا » (ص 157)

— كانت قيمة صادرات الذرة الى البرتغال وانجلترا في العهد الحسنى تقدر بثلاثة ملايين فرنك ، وكانت التجارة - الخارجية تدر في مجموعها نحووا من أربعين مليون فرنك وكانت شركة فورود Ferwod الانجليزية وشركة باكى Paquet الفرنسية هما التين تربطان مراسى المغرب باروبا عن طريق سفنهما البخارية (كامبوص 116 - 125)

برغواطه - ذكر كثير من المؤرخين أن برغواطه هم المشار اليهم في التاريخ القديم ب Baquates (ترجمة تاريخ ابن خلدون - دوسلان عام 1857 ج 2 ص 125) وقد تأكد ذلك عندما عشر ابتداء من عام 1919 في ويلي أى شمال شرقي القطر البرغواطى على كتابات تشهد بقرب التاحية التى يقطنها الباغاطيون — يزعم البكرى أن يونس بن الياس بن صالح البرغواطى أخلى ثلاثمائة وسبعا وثمانين مدينة بالمغرب منها مدينة تيمغس أقام القتل في أهلها ثمانية أيام (افريقية والمغرب - مسالك البكرى ص 136)

برناريوسى : اتخذ السلطان مولاي اسماعيل الاسير الاسباني **برناريوسى** استاذا لتعليم اللغة الاسبانية لاثنيين من أولاده (المنزع اللطيف فى التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف) •

البروتستانت - منذ ألغى مرسوم نانط Edit de Nantes (اكتوبر 1685) أصبح البروتستانت يشكلون فى معظم المدن الساحلية المغربية جماعات هامة نسبيا ونشطة (السلسلة الثانية - العلويون ج 6 ص 157) ولم يكن يقطن فى اكادير خاصة سوى الانجليز أو الفرنسيين البروتستانت المنفيين (ص 527) •

البريجة : - الاسبان جلوا عن البريجة أى الجديدة عام 1643 فاحتلها البرتغاليون الى عام 1769 •

— أشار مؤلف « تاريخ الدولة السعدية » الى استرجاع المغرب للبريجة ثم تخليه عنها بأمر السلطان مولاي عبد الله ودخول النصارى اليها بعد خروجهم

عنها وأداء مال عريض للسلطان وهدية جميلة كأنهم اشتروها منه (ص 37)
ويعتبر بيع بادس وتسليم البريجة شرما وقع في أيام هذا السلطان مع استخدامه
في الجيش الاندلسيين الفارين بدينهم من الكفر والتشديد عليهم في الخدمة
وهو الذي أشار على الاسبان باخراجهم من الاندلس وقصده تعمير سواحل
المغرب (ص 38 - 39) .

البصرة - كانت البصرة « تعرف ببصرة الكتان لأنهم كانوا يتبايعون
في بدء أمرها في أكثر تجاراتهم بالكتان وتعرف أيضا بالحمراء لأنها حمراء
التراب وكان سورها مبني بالحجارة والطوب ولها عشرة أبواب وللجامع سبع
بلاطات وبها حمامان كبيران . . . ونساء البصرة مخصصات بالجمال الفائق
والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجمل منهن (البيان لابن عذارى ج I ص 133
134) وقد هدمها ابو الفتوح صاحب افريقية من قبل العزيز بالله عام 368 هـ
(ص 330) .

بلانكي - النقود الاسبانية في القرن العاشر الهجري : *Blanquille*
(قيمتها 24 ضعف فلس النحاس المغربي) ورابع الاوقية وعشر الدوكا الفضية
أو الريال الاسباني القوي والمثقال الفضي عشر أواقى .

طلب مولاي عبد الملك عام 1576 من شاعر اسباني راهب هو بوتيسنا *Fray*
Juan Boutista تأليف ديوان للشادة بالنصر الذي أحرزه مولاي عبد
الملك على ابن اخيه ودفع الديوان الى كاسبارو كورسوبواسطة كيوم بيرار لطبعة
في بلنسية (ص 264) وأذن لخمس من الطرق المسيحية بفتح مدارس بمراكش
(ص 269)

بودميعة - على أبوحسون بودميعة يسمى في الوثائق المسيحية بعدة أسماء
منها مرابط سوس وشيخ ماسة ومرابط الساحل (أى من اكادير الى وادي نول)
وأمير سوس وشيخ زاوية ايلينغ أو سيدي على وسيدي على بن موسى في الغالب
بيتون - وجه ملك فرنسا فرانسوا الاول الى احمد الوطاسي سفيره بيتون

Piton لاقتناء الطيور والضواري المغربية لحدائق الحيوانات الملكية
بباريس (دو كاستر و غ . م . السعديون I ج I ص 3) وأجابه الملك برسالة
وجهت الى فنانيين مسيحيين باصيلا للتذهيب والزخرفة (ص 9)

بيبي (عبد الهادي) - في عام 1724 اعتنق التاجر الفرنسي بيبي *Pillet*

الاسلام وكان من البروتستانت فتسمى بعبد الهادى وتزوج بيهودية أسلمت
فسماه مولاي اسماعيل باشا سلا ويتهمه الفرنسيون بأنه كان السبب فى نكبة
التجارة الفرنسية بالمغرب (السلسلة الثانية - العلويون ج 6 ص 572) .

تاريخ (المغرب) - لاحظ دو كاستر (المصادر الغميسة أى غير المنشورة
السلسلة الاولى للدولة السعدية ج I المقدمة) ان المغرب هو القطر الوحيد الذى
استطاعت الاسر المالكة المتعاقبة منذ القرن الثامن الميلادى أن تحقق له تاريخا
حقيقيا .

— لم تعرف جغرافية المغرب حقيقة باوربا الا بعد ان صدر كتاب ليون الإفريقى
« وصف افريقيا » فى البندقية عام 1550 وكل من جاء بعده قد نقل عنه أمثال
مارمول صاحب الوصف العام لافريقيا (غرناطة فى مجلدين عام 1573)
وتيقى André Trevet (Cosmographie universelle) باريس 1575 المجلد
الاول (وبيلفوري François de Belle forest) باريس 1575 ج I Cosmographie
universelle de toulle Mande وكوريون Curion فى كتابه « وصف المغرب »
— فرانكفورت 1596) وجان باتيست كراملى J. B. gramaye (وصف افريقيا
1622) ودافيتى Pierre d'Avity (الوصف العام لافريقيا القسم الثانى
من العالم باريس 1643 المجلد الخامس) ودراير Drapper . (امستردام
1668) ثم ورد على المغرب فى القرن التاسع عشر رحلان هما على باى (1803 -
1805) وفوكولد (1883 - 1884) على أن هناك أوصافا أخرى للمغرب فى هذه
الفترة مثل وصف المغرب لمؤلف برتغالى مجهول عاش فى المغرب 17 عاما بعد معركة
وادي المخازن (السلسلة الاولى - السعديون ج 2 ص 231)

— لانعتمد كثيرا على النصوص البرتغالية وحدها فى وصف الحروب والغارات
مع المغرب لان التطرف والايغال خاصية تكاد تكون مطردة فيها وقد نقلت وثائق
دوكاستر عن المؤرخ كالدو Galande ما يؤكد ذاك حيث أشار هذا المؤرخ
الى ان مجرد نهب بعض رؤوس الاغنام فى الارياض المجاورة للمراكز البرتغالية
بالمغرب يوصف بالنصر العظيم الماجد (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص
281) .

— تاريخ المغرب لم يعرف فى اوربا الا من خلال مصدرين هما وصف افريقيا
لليون الإفريقى وتاريخ الملك مانويل لؤلؤة البرتغالى Damao او Gois
لم يترجم وقد لخصه مارمول الاسباني الذى ترجم كتابه « افريقيا » الفرنسى
Pierre d'Ablancourt (1667) ثلاثة مجلدات - باريس

اهتم الدنماركيون كثيرا بتاريخ المغرب وقد قضى هوست الدنماركى Host ثمانى سنوات (1760 1768) بالمغرب وابتاع منها عددا من المخطوطات ونشر بالدنماركية عام 1781 كتابا فى اخبار مراکش وفاس ثم ظهر ماكتبه بالفرنسية والالمانية وفى عام 1761 جهز ملك الدنمارك فريدريك الخامس بعثة مؤلفة من خمسة أشخاص لارتياح بلاد العرب كان من بينهم فريدريك Frédric Havez الدنمركى وفورسكال Forskal الفنلندى ونيبوهر Niebuhr الالمانى وقد نشرت نتيجة هذه الرحلة عام 1772 فى كوبنهاج بالالمانية ثم الفرنسية .

— خصصت مكتبة باريس Gesthner للمغرب عام 1914 (فهرسا يحتوى على الفين ومائتين وخمسة وثلاثين مصنفا كلها مفيدة للدراسات الاسلامية .

ت

تاودة - قرية تاودة يوجد بها معدن الملح بالسودان وهناك أيضا تاودة فى عمالة فاس (سلوة الانفاس ج 3 ص 110)

التجارة الخارجية - ذكر الحسن الوزان (ليون الافريقى) فى وصف افريقيا أنه اتصل عام 918 هـ بتجار كانوا يتنقلون بين المغرب والسودان ومصر وانهم دشنوا آنذاك طريقا جديدة من الجنوب تصل والاة بمصر بواسطة التشاد (ج 1 ص 99 و 104) لان الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس كانت قد هجرت منذ قرن نظرا لصمت عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد رافق الوزان هذه القوافل خلال هذه الطريق الجديدة الى مصر

— فى القرن السادس عشر اتسع نطاق التجارة الانجليزية فى الشرق واوروبا الشرقية وغينيا وبدأت العلاقات التجارية مع المغاربة عام 1551م وازاء احتجاج البرتغال تمنسكت الملكة ايليزابيث بتجارة رعاياها مع المغرب حيث فضل الانجليز عام 1573م التضحية بالتجارة مع البرتغال للاحتفاظ بصفقاتهم الربحة فى المغرب ولكن اليهود استولوا على السوق المغربية بعد عام 1567م وصاروا يؤدون ثمن الواردات مواد مغربية بدلا من العملة الذهبية التى كان الانجليز يحرصون عليها أضف الى ذلك أن المهريين الانجليز تحدوا المسيحية بامداد المغرب بالسلاح واستولى تجار فرنسيون على السوق فصاروا يشترون السكر المغربى ويبيعونه للانجليز باثمان باهظة لان التجار الانجليز كانوا يرتبطون فى صفقاتهم مع

الاندلس الى النهاية وأنهم اذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن أن يتصدقوا عليه فلا تجد بالاندلس سائلا الا ان يكون صاحب عذر .

تطوان - هدم بنو محمد بن القاسم بن ادريس تطوان وندموا على ذلك فلما شرعوا في تجديد بنائها ضج أهل سبتة لان بناءها أضربهم (البيان لابن عذارى ج I ص 317)

— المقدم احمد النقسييس طلب من الانجليز تاسيس دار للتجارة بتطوان وتلقت سبتة وطنجة الامر بمعارضة هذا المشروع (السلسلة الاولى - الدولة السعدية ج 3 ص 84)

تلمسان - ابرز ابن مرزوق اتفاق الرحالين واجماع المتجولين على انهم لم يروثانيا لجامع تلمسان (نخب المسند هسبريس ج 5 سنة 1925)

تمسيح (المغاربة) - نبهت جماعة دوكاستر في الوثائق (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 206) على ان كثيرا من النشرات الاوربية كانت تختلق الانباء والاساطير لترويج بضاعتها من ذلك مازعمته احدى هذه النشرات من ان 80.000 اندلسي من المهاجرين الى المغرب تمسحوا هم وملك فاس ومازعمته نشرة اخرى صدرت عام 1607 في مدينة روان Rouen من تمسح ألفين من المغاربة بمراكش وقتلهم مع الراهب بيرناردان Bernardin وان سخط الله نزل بمراكش فهلك أهلها عن بكرة ابيهم وهم مائتا ألف نسمة بعد زلزال وتزعم هذه النشرة ان مراكش واقعة في جزيرة اوركوس التي بننها سيميراميس Semiramis ملكة بابل ومؤسسيتها مع حداثها المعلقة

— يقال بأن مولاى الشيخ نجل مولاى محمد المسلوخ الذى وجهه والده الى البريجة خلال معركة وادى المخازن انتقل الى اسبانيا وتمسح فى مدريد (عام 1593) وسمى الدون فيليب افريقيا او النمسا Philippe d'Autriche (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 243)

— توجد رسالة لأمير من بنى مرين يسمى نفسه كاسبار Gaspard كان يسكن نابل ورومة ووشحه البابا اوربان الثامن وقد عمر مائة سنة عندما توفى عام 1641 وكتب على قبره أنه هو الملك الثانى والعشرون لافريقيا (بينما لاحظت جماعة دوكاستر أن أسمه مثبت فى الشجرة المريينية فى الصف

اليهود المحتكرين للسوق وتنصب عليهم عواقب افلاسهم فلهذا فكر التجار الانجليز في تكوين (حناطى) Corporations تسمى شركات معترفا بها من طرف البلاط الانجليزى منها la Barbary Company التى مالبثت ان افلست نظرا لبيعها بالدين للبلاط بدل اليهود ولمنافسة تجار انجليز احرار فى تهريب السلاح وكذلك التجار الاسبان فلهذا لم تجدد هذه الشركة بعد مرور أمدتها المقرر لاثنتى عشرة سنة (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 445)

- ورد فى مذكرة جان ايستيل J. Estelle (السلسلة الثانية العلويون ج 5 ص 363) ان أربعين سفينة تجارية فرنسية دخلت لمرسى سلا عام 1698 ويلى الفرنسيين فى الميزان التجارى الهولنديون الذين يهربون الى المغرب كثيرا من البضائع وتكثر المبادلات الانجليزية فى اسفى حيث يستورد الانجليز الانسجة الصوفية والحديد والفولاذ والعملة الغينية .

- منح مولاي اسماعيل عام 1705 لبعض اهل فاس احتكار تجارة الشمع والجلود فوجهوا رسلهم لاقتنائها بأبخس ثمن من آسفى وتطوان والعرائش وسلا وقرر التجار الفرنسيون بالمغرب رفع شكوى الى السلطان (السلسلة الثانية العلويون ج 6 ص 328) ويظهر ان السلطان منح لتجار مغاربة احتكار جميع المنتجات والمواد التى يستوردها الاوربيون من بلاده فضيق بذلك الخناق على الاجانب (ص 332)

- توجد فى دار المحفوظات بمدينة دوبرنيك وثائق يرجع تاريخها الى أواخر القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر الهجرى وعددها سبع وعشرون وثيقة تدور حول العلاقات التجارية بين جمهورية دوبرونيك والمغرب الاقصى منها عشرة مراسيم وأوامر سلطانية مع رسالة من الجمهورية الى المولى يزيد . وكانت دوبرونيك محمية الباب العالى وقد نشرت هذه الوثائق فى كتاب صدر عام 1960 بيوغوسلافيا باشراف المعهد الشرقى سبراىو وباسم الوثائق العربية فى دار المحفوظات بمدينة دوبرونيك والكتاب موجود بمكتبتى الخاصة .

التسول - لم يكن التسول شائعا فى المغرب على نسقه الحالى الفادح لانه كان فى دور الضيافة والكرم القبائلى الغنية وقد لاحظ المقرئ (نفج الطيب ج I ص 205 طبعة 1949) أن التسول فى الاسواق على النمط المشرقى كان مستقبحا فى

الثلاثين) وقد كان عضوا في الميثسية المسيحية التي تأسست في فيينا عام 1617 ووقع الامير رسالته المؤرخة بعاشر يوليو 1621 بولي عهد فاس وترك فتاة تزوجت في نابل برجل مسيحي عام 1642 (السلسلة الاولى - الدولة السعدية ج 3 ص 59) .

— تزعم المصادر الاجنبية ان الامير سيدى محمد حفيد محمد الحاج الدلائي أسر في طريقه الى الحج ونقل مع صحبه الى مالطة حيث اعتنق المسيحية وسمى بلطازار ليولا Balthazar Loyola وتوفي بمدريد عام 1667 بعد ان انخرط في فرقة الجزويت وقد اختلفت المصادر في هوية هذا الامير فزعم بعضهم انه نجل مولاي محمد الشيخ الاصغر أو نجل احمد المنصور (الغلابيون - السلسلة الثانية ج I ص 203) ويقال بأنه توجه الى بعض اقطار اوربا وخاصة الى الهند للقيام بالدعوة المسيحية (ص 214)

— تزعم مذكرات ورسائل أجنبية أن أحد أبناء مولاي محمد بن الشريف فر الى المعمورة بعدما هزم مولاي رشيد اخوته الثائرين عليه في ناحية تازة عام 1670 واسم هذا الامير مولاي العربي الذي لجأ الى اسبانيا واعتنق بها - حسبما يزعمون المسيحية وتسمى بالدون انطوان او كستان ثم توجه الى انجلترا بعد ان عين كولونيل في الخيالة الاسبانية ومنها عاد الى طنجة واتصل عام 1676 بعمه مولاي اسماعيل (تاريخ مولاي رشيد دو كاستر - السلسلة الثانية - فرنسا ج 2)

تنبكتو - كانت تنبكتو تؤدى للمغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر أى الذهب غير المسبوك ، مما جعل من المنصور الذهبي « أعظم أمير في العالم من حيث العملة » (السلسلة الاولى - انجلترا ج 2 تاريخ 9 شتنبر 1594) وكان الانجليز يملأون الصناديق سكرًا يخفون فيها سبائك الذهب وافتضح الامر مرة عندما غرقت السفينة فى التاميز وذاب السكر وظهر الذهب (السعديون السلسلة الاولى ج I المقدمة)

توات - لاحظ الرحالة البرتغالى المجهول صاحب « وصف المغرب » فى عهد المنصور السعدى أن النظام السياسى فى توات كان أحكم وأعلى منه فى معظم المجتمعات الاسلامية بافريقيا الشمالية (نص الرحلة فى السلسلة الاولى السعديون ج 2 ص 302) وقد لاحظ هذا الرحالة ان الواحات الصحراوية لم تكن تعرف الكلاب ويظهر أنها لم تدخل الا مع الاحتلال الفرنسى .

تومرت (ابن) - يوجد شخص اسمه محمد بن عبد الله بن تومرت وهو صاحب كنز العلوم ودر المنظوم فى حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة توجد منه نسخة فى المكتبة الخديوية ويرى برو كلمان أن اسمه الحقيقى هو محمد بن على بن تومرت وأنه أندلسى توفى عام 391هـ إلا أنه ينسب كنز العلوم هو وهوارت Huart الى المهدي وسبب الخلط ان فى هذا الكتاب نقد نظرية التجسيم .

— محمد بن عمر بن تومرت المصمودى ذكره صاحب « نثير الجمان فيمن نظمى واياه الزمان » وكان بفاس وذكر ابن الاثير محمد بن تومرت « آخر كان معاصرا للمهدي وهو الذى كان يقترب جرائم القتل الجماعى فى عهد المهدي .

تيجيساس - وصف مولييراس تيجيساس بأنها مدينة صغيرة جميلة ومرسى بحرى وأنها محاطة بالحدائق الغناء (المغرب المجهول ج 2 ص 256) .

ج

الجراد كانت الحكومة المغربية تكافح الجراد بشراء بيضه بثلاثة ريال للقنطار فكان الناس يتهافتون على تقديمه الى المخزن الذى يلقي به الى البحر وكانوا يحفرون خنادق حول مزارعهم للحيلولة دون تسرب الجراد ويحصنونها أحيانا بصفائح من القصدير (كتاب مراکش - ادمون دوتى - ص 17)

الجزائر : انقطع الحج فى المغرب عن طريق الجزائر منذ الاحتلال الفرنسى فلم تعد هنالك قوافل لان السفر أصبح بحرا (الدكتور رينو - دراسة حول الصحة والطب بالمغرب ص 52)

— يقال بأن من بين الجزائريين القاطنين بالريف بنى عامر (أو عمرو) وأولاد هاشم وبنى سنوس والجعافرة وحميان وأولاد سليمان والحساسنة والسجاعة وقد نقل كثير منهم الى دائرة فاس أو حوز مراکش (مولييراس - المغرب المجهول ج 2 ص 437 ومنهم ايضا اولاد سيدى الشيخ الذين لجأوا الى بوعمامة فى الجنوب والى بلاد الساييس بين مكناس وفاس حيث يوجد أهل الاغواط وكذلك بين سبو وورغة (الوثائق المغربية - المجلد الحادى عشر - 1907 ص 5) وكان للجزائريين نقيب بفاس يقوم بتوزيع الصلة التى كان السلطان مولاي عبد الرحمن يتبرع بها سنويا على اللاجئين ، وهذه الصلة مسجلة فى دفاتر دار عدیل بفاس وفى عام 1894 وزعت عليهم اثنا عشر الف ريال غير ان المخزن حصل عام 1895 على اعتراف مكتوب من أهم حفدة المهاجرين بأنهم مغاربة فقطعت الصلة (ص 72 - 74) ومن بين العائلات المهاجرة أولاد بنونة وبن ثابت والزغارى

وبوعلو وهنالك أربعمائة اسم تمثل قبائل وعائلات جزائرية (ص III) .

الجزر الخالدات - قبل معركة وادي المخازن كان التجار الاسبان يهربون السلاح الى المغرب من سواحل الاندلس ومن الجزائر الخالدات وطلبت البرتغال جعل حد لهذه التجارة فأصدر فيليب الثاني ملك اسبانيا امره لهذا الغرض ملاحظا ان تهريب السلاح يستفيد منه الاتراك والمغاربة ضد البرتغال الذي انفرد بغزو المغرب (1563 - 1970 هـ) (و . غ . م السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 48) .

الجزر الجعفرية هي التي يسميها الريفيون حجرة كبدانة .

جلولا - مدينتان بخراسان وافريقية (معجم البلدان لياقوت ج 3 ص 129)

وذكر ابن خلدون ان المدن الحافلة التي كانت بالمغرب في عهد القرطبيين هي سببيلة وجلولاء ومرناق وشرشال وطنجة (المقدمة - كتاب طبيعة العمران)

ومدينة جلولا تبعد عن القيروان بأربعة وعشرين ميلا فتحها عبد الملك بن مروان في جيش معاوية بن حديج وفيها قصب السكر وكذلك في فاس حيث يتوافر أجود وأرق حرير في افريقية (افريقية والمغرب في مسالك البكري ص 17 - 32)

الجنويين (حصن) - كانت حواجز وادي لكوس تحول دون دخول السفن الى ميناء العرائش اللهم الا في مكان كان يسمى حصن الجنويين Fortin des génois) يقع أسفل العرائش وعلى الشط الايسر لنهر لكوس (السلسلة الاولى - السعديون - القسم الثاني ج I ص 542)

جيدة (ابو) - ابو جيدة هو حامل مذهب مالك والشافعي بفاس وقد توفي عام ثلاثمائة وبضع وستين (سلوة الانفاس ج 3 ص 93)

جيرير - Gervert d'Aurillac الذي تولى البابوية وتسمى Sylvestre 999 - 1003) ورد على ما قيل الى فاس حيث درس في القرويين وأكد ذلك بيرك Revue Historique de Droit 1949) وقد فنده Gisele Charri (هسبريس 1957 ص 265) بحجة ان القرويين لم تكن جامعة في القرن العاشر وان جيرير لم يكن يعرف العربية

ح

الحجري (أحمد) - أحمد الحجري الاندلسي الذي عاش في مراکش الى عام 1046 هـ والذي كان كاتب المولى زيدان وترجمانه للاسبانية أشرف على سفارة

الى فرنسا زار خلالها مدن باريس وبوردو والها فر ثم هولندا (امستردام ولايدن)
ثم لاهاي (راجع مخطوطة كتابه المغرب عن الاسبانية والمرسوم بالعز والمنافع
للمجاهدين بالمدافع) .

الحجيج (المغاربة) - في ربيع الاول 1194هـ وصل الى مراکش وفد ديوان
دوبرونيك لمقابلة السلطان سيدي محمد بن عبد الله برياسة انطونيو كاز لارى
فى شأن اصدار السلطان أوامره لمراكبه الجهادية بحجز سفن دوبرونيك بسبب
نقلها لحجاج مغاربة وتركهم فى تونس فى حين سبق للسلطان ان بعث عام 1189
احتجاجات عنيفة للدول الاوربية التى كانت تقوم بالتسفير والتجارة فى البحر
المتوسط والمحيط الاطلسى محذرا اياها من نقل الحجاج المغاربة من الاسكندرية
وانزالهم فى غير المراسى المغربية وقد برهن الوفد معززا بشهادة من شيخ
بتونس على ان السفينة المتهمة هى فرنسية فسامحهم السلطان (الوثائق العربية
فى دار المحفوظات بمدينة دوبرونيك 1960 ج I ص 15)

الحد - كان الحد يقام فى بعض الاحيان بالمغرب فقائد الصويرة بيهى
كان يقطع يد السارق اليمنى لسارق النهار واليسرى لسارق الليل فكان الناس
فى وقته يجدون المال فى الطريق فلا يصلون اليه (الدكتور رينو - دراسة حول
الصحة والطب بالمغرب ص 48)

الحديث (العصر) - لاحظ دو كاستر (م . غ . م - السعديون ج I المقدمة)
ان عام 1845 يعتبر بالنسبة للمغرب بداية العصر الحديث

الحديث (قراءة) - حرق عبد المومن كتب القروع ورد الناس الى قراءة
الحديث وكتب بذلك الى طلبة المغرب والعدوة عام 550هـ (الانيس المطرب ج 2
ص 154)

حروف (سرية) كان المنصور يستعمل - حسب نزهة الحادى - حروفا
اخترعها لكتابة الرسائل السرية فيمزجها بالحروف الهجائية حتى لا يفهم النص
المكتوب وقد سهر على اتقان الخط المشرقى لمكاتب علماء الشرق .

حسن (باشا) - حسن باشا أمير الجزائر تزوج بنت مولاي عبد المومن
أخى مولاي عبد الملك وعينه واليا على تلمسان حيث كان أخوه يتصل به وقد قتل
عبد المومن بأمر من مولاي محمد المسلوخ أمير فاس ففقد المعتصم بذلك شخصا

كان يعينه على الاتصال بعامل وهران الاسباني لان عبد الملك كان يامل الحصول من مدريد على معونة تساعد على استرجاع العرش غير ان فيليب الثاني ملك اسبانيا لم تكن له رغبة في مساعدته (و.غ.م السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص I60) وتقول المصادر الاسبانية بأن عبد الملك رافق علوج على الى القسطنطينية وانه كان يخبر كاسبارو كورسو بما يجرى عند الاتراك (ص I62) وقد استنصر المعتصم كذلك بملك فرنسا بواسطة سفيره في الجزائر عام I574م ثم شارك في غزو الاتراك لتونس فساعدوه (ص I65) وعندما اعتلى المعتصم العرش وجهه سفيرا الى فيليب الثاني يقترح بذل مساعدته ضد البرتغال (ص 266) ولكن فيليب الثاني كان دائما يعقب باستعداده لعقد معاهدة سلام مع ادراج البرتغال فيها (ص 298) .

الحسيمة - كانت فرضة الحسيمة تسمى مرسى المجاهدين « المغرب المجهول - موليراس ج I ص 95 »

الحصار (البرى - ضغط نابليون على السلطان للانضمام الى الحصارى البرى Blacus Continental ووجه اورنانو Ornano قنصله بطنجه الى المخزن رسائل كلها تهديد ومن بينها رسالة تنذر السلطان بغزو افريقيا بمائتى ألف جندي غير ان فرنسا كانت اذ ذاك فى فترة انهزاماتها (كاييى - ايكو دو ماروك I4 ابريل I950)

وكان من نتائج الحصار البرى المضروب على انجلترا دخول قطائف القطن الانجليزية الى المغرب (السلسلة الثالثة - فرنسا - عام I8I7)

الحمامات - نقل ابن خلدون عن الخطيب فى تاريخه ان الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المامون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وأمصار متلاصقة ومتقاربة تتجاوز الاربعين ولم تكن مدينة واحدة يجمعها سور واحد لافراط العمران (تاريخ ابن خلدون - المجلد الاول - القسم الثانى ص 6I8) . ولذلك لا تستبعد كثرة الحمامات العامة والخاصة فى المدن المغربية وخاصة سبتة حيث بلغت الالف (راجع سبتة)

حمة خولان - اعتنى ابو الحسن المرينى ببناء حمة خولان (سيدي حرازم) «على وجه محكم التتم به مصالح الناس ومنافعهم» (جدوة الاقتباس ص 23)

زهرة الآس ص 26) ودفن هذه الجمة التي سُميت باسمه (أو بالسخينات) هو محمد بن علي بن اسماعيل حرازم تلمذ له ابو الحسن الشاذلي (السلوة ج 3 ص 90) وابو الحسن هذا من بنى زرويل من الاخماس قرب شفشاون (السلوة I ص 85)

الحناطي (نظام) - لاحظ باليز Pallez في بحث له (النشرة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب Bulletin économique et social رقم 49 و 50) أن نظام الحناطي (أى الحرف) كان دائما يتسم بالحرية وقد احترم المخزن مبدأ حرية التجارة قبل صدور ظهير التنظيم البلدي عام 1917 وأكد ان هذا النظام لم يفسد الا بالاحتكاك بالغربيين .

حوت - مما يزعمه بعض المؤرخين وقد نص على ذلك صاحب نشر المثاني (ج I ص 235) انه نزل بالمغرب ثلج عام 1072 «ومعه حوت صغار طولها قدر ثلثي الخنصر من اليد»

— د —

الدلاء - ذكر احمد التاركي اللمتوني المدعو الصناد أن الدلائيين لمتونيون (نشر المثاني ج 2 ص 56)

- تقع زاوية الدلاء حسب البدور الضاوية وعلى بعد مرحلتين من فساس وحسب الحاج ادريس الشرقاوي هي زاوية آيت اسحاق الواقعة على مسافة أربعين كم شرقي ابن الجعد قرب خنيفرة في المجري الاعلى لام الربيع ولا تزال هنالك معالم منارة وجدران المسجد الدلائي .

الدنمارك - كانت الدنمارك تدفع سنويا للمغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 51000 ويكسدال أى أزيد من ربع مليون فرنك (كودار ج 2 ص 613) .

دوسانطو - لاحظ كايبي Caillé ان البارون دوسانطو De Santo اتصل في عهد سيدي محمد بن عبد الله برئيس احدى قبائل الشلوح العرب وحاول الاستيلاء بواسطتها على المغرب لفائدة فرنسا .

دولاكروا - توجد في متحف تولوز بفرنسا لوحة رائعة عن السلطان مولاي عبد الرحمن بريشة الرسام الفرنسي دولاكروا De lacroix تصويره موكبه الرسمي وهو يحمل سبخته خارجا من القصر السلطاني بمكناس وقد رسمها عام 1845 بعد ما كان برفقة سفارة الكونت مورتي Mornay التي

تمت عام 1832 وهناك ايضا مصور Album في متحف اللوفر يرسم نفس الزيارة ويحتوى على مجموعة مناظر (هسبريس 1952 ص 391) .

الديموقراطية - تحدث رونان عن ديموقراطية البربر Revue des Deux Mondes فاتح شتنبر 1873 حيث يوجد نظام اجتماعى حقيقى لا ظل فيه لى حكم خارج عن الشعب وهو المثل الحق للديموقراطية .

— ر —

الراية - اقدم راية مغربية لونها ازرق واحمر وابيض يرجع تاريخها الى القرن الثامن الهجرى ويشبه علم تطوان العلم الجزائرى (الاحمر والابيض والاخضر) ويوجد اللون الاصفر فى اعلام ثلاثة لقرصان سلا وعلم ملك المغرب فى القرن الثامن عشر أحمر يحمل رسم مقص ابيض بينما العلم الوطنى حوالى 1870م اخضر يحمل ثلاثة أهلة بيضاء والعلم المغربى للحرب والتجارة الى حد عام 1915 أحمر اللون كله أما العلم المغربى الرسمى من تاريخ 17 نونبر 1915 الى الان فهو الاحمر ذو الخاتم الخماسى الاخضر (هسبريس تمودة 1960 ج 1 فصل 3)

- نشرت رايات المسيحية منكسة فى أعلى منار القرويين ومنار جامع الكتبيين بمراكش ليعاينها الحاضر والبادى وذلك بعد الانتصار على المسيحيين فى الاندلس عام 674هـ (الذخيرة السنية ص 174)

- لاحظ ليون روشى أنه عندما رفع المركب الفرنسى الراية رفع العلم المغربى حينما فى ابراج سلا والرباط والقصر الملكى (رحلة ليون روش Léon Roches عام 1845م - طبعة 1947 ص 54)

الربيع (أم) - فرض ملك البرتغال يوحنا الثانى عام 1481 جزية سنوية قدرها عشرة آلاف حوتة من الشابل على الاهالى القاطنين بشاطئ أم الربيع اعترافا بسيادته عليهم (السلسلة الاولى - السعديون ج 2 ص 248)

الرحالون - ورد فى رحلة نيتو Nieto حول معركة وادى المخازن (السلسلة الاولى - السعديون - القسم الثانى ج 1 ص 503) أن المولى عبد الملك كان يتكلم الاسبانية ويكتبها بسلاسة كما كان يتقن الايطالية والتركية واشتهر كشاعر بالعربية وقد أحكم العزف على آلات الطرب والرقص والرماية وكان يصنع الأسلحة بيده كما أحب المسيحيين وبنى لأسراهم بمراكش مستشفى جميلا

قرب المسجد الاعظم ، كما لاحظ فرانشي Franchi Conestaggio في رحلته حول معركة وادي المخازن (ص 537) ان عبد الملك صنع بنفسه أربعة مدافع وأكد دوبييني Agrippa d'Aubigné أيضا أنه كان يعرف حتى الارمنية والصقلية (راجع رحلة المؤلف في المطبوعة عام 1626) وأكد السفير الانجليزى ادمون هوكان في رسالة الى اليزابيث ملكة انجلترا ان عبد الملك متضلع في علوم الزبور ج I ص 225)

- تحدث جان موكي في الرحلة التي كتبها عن المغرب (1601 - 1607) (السلسلة الاولى - السعديون ج 2 ص 383 - 417) عن مراکش فذكر أنها أعظم من مدينة باريس وأن سكانها يتراوحون بين 300 و 400 ألف نسمة ومدح فضاة المغرب واصفا سرعة وعدالة المسطرة القضائية (ص 400) كما ذكر عن الخيل بالمغرب أنها أجمل أفراس العالم (406) .

- ورد في مذكرة لرجل انجليزى هو جورج ويلكنس G. Wilkins كتبت عام 1604 ان عدد الهالكين في الوباء بالمغرب بلغ سبعمائة ألف فى مراکش وخمسمائة ألف بفاس ولعله يقصد مملكتى مراکش وفاس (السلسلة الاولى - السعديون - انجلترا ج 2 ص 248)

- كتب رحالة انجليزى هو وليام ليتكوف Wiliam Lithgow عامى 1615 - 1616 مذكرة حول المغرب صدرت عام 1640 حيث وصف مدينة فاس وقناطرها (وعددها سبع وستون) وفنادقها المائة ومساجدها وعددها اربعمائة وستون وسكانها البالغ عددهم المليون وألعاب مقارعة الثيران ومباراة الشعراء فى ساحة السوق النخ (السلسلة الاولى السعديون انجلترا ج 2 ص 491) .

الرشيد (مولاي) - كانت عادة مولاي رشيد فى دخوله لفاس ان يبدأ بجامع القرويين ومنه يتوجه الى المدرسة المصباحية (سلوة الانفاس ج I ص 110)

الرصيف - جامع الرصيف بناه مولاي سليمان (سلوة الانفاس ج I ص

(325)

رقراق (ابو) - بعد وفاة المولى اسماعيل بعشرين سنة وقع زلزال فى

اشبونة وسع مصب ابي رقرق مما ساعد بعض المراكب الكبرى على الدخول الى الميناء (اسماعيل الاكبر امبراطور المغرب - ماكسانج ص 71

الرماية (مدرسة) - اشار كامبو في « المغرب المعاصر » الى وجود مدرسة مركزية للرماية في الجديدة في عهد مولاي الحسن (ص 16)

الرومان - راجع بحثا (في هسبريس 1957 ص 73) حول بقايا الطريق الرومانية الممتدة من سلا الى وادي بهت

الرياض (قصر) - كان في قصر الرياض الاسماعيلى مائتا مدفع من النحاس حسب جان ايستيل ومائة وخمسين حسب سانت أولون اخذت من العرائش والمعمورة بعد احتلالهما ومن مركب اسباني غرق قرب سبتة (السلسلة الثانية - العلويون ج 4 ص 690)

- في عام 1145 هـ أصدر المولى عبد الله الامر الى الاسرى المسيحيين وبعض الجند بهدم مدينة الرياض التي كانت زينة مكناس (مقتطفات من الترجمان العرب للزياني - ترجمة هوداس ص 71)

ريشليو - كان الكاردينال ريشليو Richelieu يتقاضى كل سنة من أسلاب القراصنة وخاصة الافارقة عدة ملايين لفائدته الخاصة كما كتب بذلك عام 1631 لـلويس الثالث عشر (حروب لويس الثالث عشر للمؤرخ بيرنار - الكتاب الخامس عشر)

— ز —

الزبور - نقلت سفينة انجليزية الى العرائش عام 1562 مقاذيف ورماحا ومعادن كالقصدير وأسلحة وستة وعشرين صندوقا مملوءا بكتب الزبور بالعبرانية لليهود (السلسلة الاولى - السعديون ج 1 ص 44) وقد تزايد ايراد المنسوجات الصوفية الانجليزية الى المغرب بعد أن رغب مولاي عبد الملك في اشاعة لبس الازياء التركية بالمغرب (ص 200)

الزربية (التركية) : ورد في رسالة لسفير زار مراکش عام 1579 ان ردهات العرش في عهد المنصور الذهبي كانت مفروشة بالزرابي التركية ، وان السفراء الاجانب كانوا يلبسون فوق الحذاء جوارب ينزعونها عند الدخول الى قاعة العرش

وان المحظوظين منهم كانوا يقبلون يد السلطان (دو كاستر - السعديون السلسلة الاولى ج 2 ص 48)

زرقون (ابن) - أشار ابن القاضي في الدرة (ص 313) الى محمد بن علي زرقون أحد قواد اسطول المنصور السعدي في بحر النيل (أى النيجر) بالسودان

زروال (بنو) - قبيلة زروال تسمى قبيلة الخلفاء لان في أصغر قراها على ما قيل حفدة الخلفاء الثلاثة : ابي بكر وعمر وعلي .

الزعفران (جبل) - جبل العرض أو جبل الزعفران يقع يسار الخارج من باب الجيسة أى عجيسة بفاس (سلوة الانفاس ج 3 ص 149) وجبل الظل هو زالغ (ص 182) .

الزليجى - لاحظ ابن سعيد أنه كان يصنع بالاندلس نوع من المفضض المعروف فى المشرق بالفسيفساء ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجى يشبه المفضض (نفح الطيب ج 1 ص 187 طبعة 1949)

زموور : كان أهل زموور حسب الشريف مولاى على بن عبد السلام الوزانى يعتبرون الأحد يوم عطلة ولعل ذلك من بقايا تأثير الحكم البرتغالى (الرباط وناحيته ج 2 ص 222 من سلسلة مدن المغرب وقبائله)

الزيدانية (الخزانة) - نشرت كازييط دو فرانس Gazette de France عام 1631 بحثا قومت فيه الخزانة الزيدانية مع المجوهرات بأربعة ملايين ليرة (السلسلة الاولى - السعديون ج 2 ص 431) (راجع كسطلان حرف الكاف - ففيه معلومات اختلاس هذه الخزانة)

س

سانشو - ذكر المؤرخ الالماني أشباخ (تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين - ترجمة عبد الله عنان ج 1 ص 61) ان سانشو هو حفيد المعتمد بن عباد لان احدى بناته تزوجت بملك فشتالة وتنصرت باسم ايليزابيت وانجبت سانشو .

سبقة - ذكر محمد بن القاسم الانصارى فى كتابه « اختصار الاخبار عما

كان بثغر سبتة من سنى الآثار « مقتطفات فى مجلة هسبريس ج 12 النشرة الثانية عام 1931) خمس عشرة مقبرة فى سبتة (عام 825 هـ وهو تاريخ تصنيف الكتاب أى بعد احتلالها من طرف الاسبان بسبع سنوات) وألف مسجد منها مدرسة أبى الحسن الشارى الغافقى ومدرسة أبى الحسن المرينى واثنين وستين خزانة علمية منها خزانة موقفة على مدرسة الشارى وهى أول خزانة وقفت بالمغرب وسبعا وأربعين مابين الزوايا والروابط اعظمها رابطة الصيد وهى قائمة فى الهواء على اثنى عشر عمودا ومنها زاوية أبى عنان للغرباء أما المحارس فعددها ثمانية عشر علاوة على ناظور المرابطين بأعلى الجبل المشرف على بادس ومالقة ومجموع الزقاق وعدد الازقة مائتان وخمسون تحمل أسماء سكانها من العلماء كزقاق عياض وزقاق العزفى وزقاق ابن الشاط وعدد الحمامات اثنان وعشرون علاوة على عشرة فى القصبة وبكل دار من ديار سبتة حمام ومسجد الا القليل وكان بمنزل المؤلف حمامان ومسجد وعدد الاسواق 174 منها 32 سوقا فى الارباض الثلاثة وعدد الحوانيت أربعة وعشرون الفا وكانت فيما مضى أكثر وعدد التربيعات احدى وثلاثون للحرارين والخرازين وغيرهم وكانت أعظمها عبارة عن معقل أو قلعة على ثلاث طباق وفى صحنها مسجد وعدد المنجرات المعدة لعمل القسى أربعون وعدد الفنادق ثلاثمائة وستون اعظمها الفندق المعد لاختزان الزرع يحتوى على اثنين وخمسين مخزنا من بناء أبى القاسم العزفى ويشتمل فندق غانم على ثلاث طبقات وعدد الافران ثلاثمائة وستون والسقايات خمس وعشرون والميضاءات اثنتا عشرة وديار الاشراف أربع (الديوان والقاعة والبناء والنجارة والسكة) وعدد المطامير أربعون ألفا مفترقة فى الدور والحوانيت وعدد الطواحين مائة وثلاث وعدد الارباض ستة والابواب خمسون والمصلات ستة وعدد المرامى واماكن السبق أربعة وأربعون وعدد المقاصر خمسة وعشرون مع ابراج لصيانة الامتعة والمراسى ثلاثون فيها دار الصناعة و 299 مصيدا للحوت وتوجد مدينة أفراك حيث القصر الملوكى الذى أعده بنو مرين لنزولهم وقرية بنيونس الكثيرة العيون والانهار التى بلغ عدد حماماتها 126 والارحى 50 والمساجد 19 وتصدر فواكه الى المغرب والاندىلس منها 65 نوعا من العنب و28 نوعا من التين و15 نوعا من التفاح والخوخ ستة انواع والسفرجل اربعة والرمان 16 الخ وتوجد قرى كثيرة

- السبتي (ابو العباس) - انتشرت أسطورة بالمغرب بين المسيحيين خاصة تدمج شخصيه أبى العباس السبتي فى القديس المسيحى سان - او كستان

Saint Augustin ويظهر أن ذلك راجع لاسم المدينة التي ولد فيها هذا الأخير وهي Tagaste واسم المدينة السوسية Tagaste (السلسلة الأولى من الدولة السعدية ج 3 ص 214)

سبستيان - يزعم المؤرخون الأجانب أن مولاي عبد الملك وجه إلى الملك سبستيان رسالتين عام 1377 لم يعثر على نصيهما ورسالة ثالثة كذلك بعد نزوله في أصيلا يذكره فيها بأن ابن أخيه مولاي محمد هو الذي قتل قبطان طنجة خلال حصار البريجة وأن ما وعد به من تسليم مراسي مغربية مع مساحات من الأراضي يتعذر عليه مادام عبد الملك ملكا لذلك فعبد الملك نفسه مستعد لتسليم هذه القواعد وتعليق الراية البرتغالية فوق جامور الكتبية والتنازل لابن أخيه عن قطعة الأرض التي يختارها مثل أكادير (عدا. مراكش) على أن سبستيان هالك لا محالة لأن القوات المغربية عتيدة (السلسلة الأولى السعديون ج 3 ص 419-427) وقد حمل سبستيان معه أكليلا ليتوج به ملكا على المغرب ولكن المولى محمد نفسه نصحه بأن يبقى في أصيلا وأن لا يعرض نفسه للخطر (ص 474)

- كان عدد سفن سبستيان في معركة وادي المخازن ثمانمائة وسبعة وأربعين (847) السلسلة الأولى السعديون ج 3 ص 474)

- حاول الكردينال هنري وصي البرتغال مفاوضة المنصور للحصول على جثمان سبستيان الذي سلم يوم رابع دجنبر 1578 إلى والي سبتة حيث بقي إلى أن مات الكردينال وأصبح فيليب الثاني ملكا للبرتغال فنقل الجثمان إلى دير بيلم Belem مقبرة ملوك البرتغال (السلسلة الأولى - السعديون - القسم الثاني ج I ص 625)

سجلماسة - اشتهرت سجلماسة في العالم الإسلامي بالعمارة والبساتين الرائقة والقصور والمنازل المتصلة على نهر فياض قد حفت به مغارس النخيل واحاط بها سور طوله أربعون ميلا وأهلها من اغنى الناس لهم متاجر إلى بلاد السودان وقد لاحظ ابن حوقل وابن سعيد أنهما رأيا صككا لاحدهم على آخر مبلغه أربعون ألف دينار وأكد ياقوت أن نساءها مهرة في غزل الصوف وصنع ازرق تفوق الازرق المصرية كما لاحظ ابن حوقل أن نهرها يزيد في الصيف كزيادة النيل وزعم القلقشندي (صبح الاعشى ج 2 ص 180) أن بها شجرا إذا جعل الرجل منه أكليلا على رأسه لم ينم ولا يتأله ضرر السهر

- ذكر ابن حوقل في المسالك والممالك (ص 70) أنه رأى « صكافيه ذكر حق على رجل من أهل سجلماسة لرجل آخر من أهلها بأربعين ألف دينار » ثم قال وما سمعت بالمشرق لهذه الحكاية نظيرا ولقد اخبرت بها بخراسان والعراق فاستظرفت .

- مذكروه البكرى عن سجلماسة غالبه لم يكن موجودا فى زمن محمد بن عبد السلام الناصرى صاحب الرحلة لانه لم يعرج عليه .

- ذكر لاووست (هسبريس ج 18 ص 151 . 1934 ان سجلماسة هدمتها ايت عطة حوالى عام 1818م

سظمبول - ذكر صاحب نشر المثاني (ج 1 ص 143) أن أحمد المنصور أرسل عشرة قناطير من الذهب الى ملك سظمبول

السفارات - يقال بأن المولى ادريس الازهر وجه الى الامبراطور شار لماني Charlemagne عام 801 سفيرا فصادف وجود مبعوث الخليفة هارون الرشيد الا ان الوثائق الملكية بفرنسا تنص على ان اسم الامير ابراهيم (ولعله ابن الاغلب) بينما يوجد اسم Fossatum الذى ظن بعض المؤرخين أنه مدينة فاس فليس هناك اذن ما يؤكد هذه السفارة الادريسية الى فرنسا (هسبريس تمودة 1960 ج 1 ص 41)

- وجه ملوك المغرب الى فرنسا نحو من سبعة وعشرين سفارة أولاها عام 1576م والاخيرة سفارة محمد المقرى عام 1909 - 1910 (سفارات وبعثات المغرب الى فرنسا - هسبريس تمودة 1960 ج 1 ص 39)

- اقدم سفارة فرنسية بفاس هي سفارة الكولونيل دوبيتون Piton الذى وفد على السلطان احمد بن محمد الوطاسى ثم تلتها سفارة ملك نافاريا التى جاءت الى فاس فى عهد مولاي عبد الله السعدى (هسبريس - المجلد الثامن والعشرون ص 234)

- كان أول سفير لانجلترا بالمغرب هو ادمون هو كان Edmon Hogan الذى ورد على المغرب عام 1577 واستقبل رسميا بالقصر حيث قدم أوراق اعتماد الملكة وأمر السلطان بخروج البرتغاليين والاسبان لاقتباله خارج المدينة ومن أهم ما أشار اليه فى رحلته (السلسلة الاولى - السعديون ج 1 ص 239-249) ألعاب الكلاب الانجليزية والثيران وكذلك صيد البرك ويظهر ان هذه الألعاب لم تعرف الا فى عهد المولى عبد الملك الذى كان له ولوع بالعادات الاوربية

- كان الوفد الاسباني الذي ورد على المغرب لتهنئة أحمد المنصور غداة معركة وادي المخازن يتركب من ستين شخصا زيادة على السفير لابسين حللا مطعمة بالجواهر والذهب واشتملت الهدايا على ياقوتة بقدر كف اليد قد علقت بها جوهرة بقدر الجوزة قيمتها ثلاثة آلاف دينار مع زمردة بقدر التفاحة تتدلى منها زمردة اخرى طولها أصبح مع عقد انتظمت فيه اثنتا عشرة ياقوتة تخللتها ست وثلاثون جوهرة مع مائة وعشرين اوقية من الجواهر (دو كاستر - السعديون السلسلة الاولى ج 2 ص 31)

كلف كيوم بيرار Guillaume Bérard غداة معركة وادي المخازن بتهنئة أحمد المنصور والتذكير بروابط الود التي استوثقت بين فرنسا ومولاي عبد الملك وبالعامل على تحرير الاسرى وفتح المراسى المغربية للسفن الفرنسية واستيراد ملح البارود واستقراض مائة وخمسين ألف دينار من ملك المغرب لملك فرنسة (دو كاستر السعديون - السلسلة الاولى ج 2 ص 22)

- وجه احمد المنصور عام 1600م الى ايليزابيث ملكة انجلترا وفدا برياسة سيدي عبد الواحد الفاسي والحاج باحماد وكان الغرض الظاهر هو الابحار في مركب انجليزى الى الاسكندرية (مرسى حلب) لشراء الجواهر والغرض الحقيقى هو القيام بمأمورية سرية من اجل تحقيق التحالف الانجليزى المغربى ضد اسبانيا (السلسلة الاولى - السعديون انجلترا ج 2 ص 177) وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثانى يستمد موارده من الهند وقد شاطرها السلطان هذا الرأى مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف ليرة (ص 206)

- يوجد نص رسالة موجهة من احمد بن عبد الله المرني وسامويل بالاش الى هولندا مؤرخة ب 8 يوليوز 1610 من لاهاي حيث كانا سفيرين للمولى زيدان يعرضان فيها باسم السلطان اقراض مليون ونصف مليون لهولندا مع اعتماد سفراء فى البلدين وفتح مراسى الدولتين فى وجه السفن الحربية والتجارية (السلسلة الاولى - السعديون - هولندا ج 1 ص 528) ، وقد سبق للسفير حمو ابن البشير ان اقترح تسليف مليون واحد (ص 567) راجع نص المعاهدة المبرمة بين البلدين بمراكش فى 24 محرم 1020 موافق 18 ابريل 1611 (ص 613)

- كان لسامويل بالاش يخت وسفينة كبرى يستغلها للقرصنة علاوة على

استغلاله لمنصبه كممثل للمولى زيدان للقيام بمؤامرات على حساب المغرب مما ادى الى اعتقاله من طرف حكومة لندن عام 1615 بسبب قضية قرصنية ومات بلاهاى بعد سراحه فى بؤس فى العام التالى وقد عثر زيدان على رسالتين زور بالاش فيهما العلامة السلطانية (راجع ج 2 من السلسلة الاولى من تاريخ الدولة السعدية - مستندات دو كاستر)

- وجه مولاي زيدان الى هولندا عام 1619م مبعوثا خاصا لقضاء بعض اغراضه هو الفرنسى جاك فابر Jacques Fabre (السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3 ص 109) وهو الذى كلف بتذويب مدافع النحاس بهو لندا ثم بعث يوسف بالاش عام 1624 لمساعدة سفيره يوسف بسكانيو (ص 558)

جوهن هاريسون J. Harrisson مبعوث ملك انجلترا جاك الاول Jacques Ier الى المولى زيدان زار المغرب ثماني مرات وعندما شبت الحرب بين اسبانيا وانجلترا عام 1625 اتصل بالمهاجرين الاندلسيين فى تطوان وسلا وساند فكرة تحالف انجلترا مع القراصنة وامدادهم بالعتاد عام 1627 ضد زيدان واطلاق الاسرى الانجليز ولكن شارل الاول رفض التفاوض مع الثوار وظلت مراكبه تقتنص السفن القرصانية (السلسلة الاولى - السعديون - انجلترا ج 2 ص 431) وقد استقر قرصنة انجليز فى المهديّة وعددهم ألفان يملكون اربعين مركبا (ص 462)

- راجع نص الامر الاسماعيلى المؤرخ بربيع الاول 1110 هـ (1698) لتعيين الرئيس القبطان عبد الله بن عائشة قائدا للبحر (السلسلة الثانية - العلويون ج 4 ص 675) مع نص رسالة اعتماده سفيراً لدى لويس الرابع عشر (ص 681)

- أسفرت سفارة عبد الله بن عائشة الى فرنسا رغم فشلها عن احداث شركة تجارية (1700م) لمؤسسها جان جوردان J. Joudan الذى قدم للسفير المغربى مصانع زجاج المرايا فقررا هذه الصفقة المشتركة بينهما وأصبح جوردان بعد ذلك يلعب دورا مهما فى دبلوماسية البلدين وتسومح مع الشركة فى اصدار الزيوت والقموح وحصل بن عائشة من السلطان على مراقبته الشخصية لتجارة جوردان وهذا الشخص هو الذى كان صلة وصل فى خطبة الاميرة دوكونتي De Conti ولكن الشركة اخفقت بعد ثلاث سنوات (1703م) .

سفراء سيدي محمد بن عبد الله :

I - للاستانة ج) الخياط عدیل والطاهر بناني الرباطي والطاهر بن عبد السلام السلوي وعبد الكريم راغسون التطواني ومحمد الحافي وعبد الكريم العوني التطواني وعبد الملك بن ادريس العلوي ومحمد بن عثمان المكناسي والزياتي والقائد الرحمان والقائد الطاهر فنيش

2 - ولا سبانيا احمد الغزال الفاسي وابن عثمان المكناسي

3 - ولفرنسا علي مرسيل الرباطي والطاهر فنيش

4 - ولماطة محمد الحافي وابن عثمان المكناسي

5 - ولانجلترا الرئيس العربي المستيري الرباطي

6 - وللسويد ج) التهامي المدور

(الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 347)

- يستنتج من الوثائق الفرنسية ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله تلقى عام 1774م من لويس السادس عشر رسالة اخبار باعتلاء العرش فوجه لتهنئته ملك فرنسا السيد عبد الله شكالانط وتعزيتة في لويس الخامس عشر ثم رجع المبعوث مع القنصل شيني Chénier من مدينة بريست Brest (هسبريس تمودة 1960 - ج I ص 55)

- راجع نص رسالة من مولاي سليمان الى رجال الثورة بفرنسا Directoire بتاريخ 22 ربيع الاول عام 1213 حملها الى فرنسا الحاج عبد الرحمن بن زاكور والحاج محمد بن صالح الذي كان من ضحايا القرصان الفرنسيين (هسبريس تمودة 1960 ج I فصلة 3)

- محمد بن عثمان سفير السلطان مولاي سليمان بنايل توجه الى جمهورية دوبرونيك بيوغوسلافيا وهي محمية الباب العالي (الوثائق العربية لدار المحفوظات بدوبرونيك)

لاحظ مينيج Miegé في بحث حول المغرب وحرب القرم (1854 - 1856) (هسبريس 1559 ص 261) أن ممثل السويد في الجزائر الذي كان مكلفا بشؤون روسيا ورد على طنجة مؤيدا من طرف الولايات المتحدة لحمل المغرب على الانضمام الى كتلة المحايدين أولا ثم استدراجه للدخول الى الحلف الروسي الامريكي مقابل ارجاع مليلية الى المغرب .

- ذكر كابريال شارم الذي اتصل بالسلطان مولاي الحسن ضمن البعثة الفرنسية التي أشرف عليها السفير فيرو Féraud في وصف السلطان أنه بالقطع أجمل رجل في مملكته ومن أجمل من يمكن لقياء في امبراطورية ما ولو في عالم الاحلام (سفارة الى المغرب ص 196 - 197)

السكان - لاحظ كوتيي (العصور الغامضة في المغرب ص 405) ان مغرب القرن التاسع الميلادي كان اكثر عمرا

- أكد كوستاف لوبون (حضارة العرب - الطبعة الفرنسية ص 263)

أن سكان المغرب يقدرون في عصره بستة أو سبعة ملايين نسمة بينما كان سكان فاس وحدهم في القرن العاشر خمسمائة نسمة وكانت فاس اذ ذاك تنافس بغداد وتحتوي على 800 ، وأكد كوتيي (العصور الغامضة ص 405) أن مغرب القرن التاسع كان اكثر عمرا

- بلغ عدد سكان مراكش 1811 حسب جاكسون Jacksor 270000 نسمة (كودار ج I ص 35)

- أوصل صاحب النخبة الازهرية عدد سكان المغرب الى ثمانية ملايين جI ص (85)

وقدر كامبوز هؤلاء السكان (المغرب المعاصر ص 187) في العهد الحسنى بخمسة ملايين نسمة زيادة على اربعمائة ألف من اليهود

وأوصلهم إيركمان Erckmann في نفس العصر الى ثمانية ملايين (المغرب الحديث ص 6)

وقدر الدكتور رينو عددهم عام 1902 بتسعة ملايين الى عشرة (دراسة حول الصحة والطب بالمغرب - الجزائر 1902)

وقد تراوحت تقديرات السكان بين ثلاثة ملايين وثلاثين مليون نسمة واجريت عام 1917 احصاءات اسفرت عن تسجيل خمسة ملايين ونصف مليون في منطقة النفوذ الفرنسي ابان الحماية غير ان انعدام الحالة المدنية لا تعطي لهذه الاحصائيات سوى صبغة تقريبية (نشرة معهد الدروس المغربية العليا رقم I ص 45)

السكر: كان السكر يصنع فى شقى العروبة بافريقيا: المغرب ومصر وقد حدثنا المقرئى أنه كان بسمهود سبعة عشر حجرا لعصر القصب كما كان بملوى عدة أحجار (الخطط ج I ص 203) وكذلك فى قابس وجلولا (البكرى فى المسالك جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32)

— أكد ماس لاطرى ان المغرب كان يصدر السكر فى القرن الثالث عشر الميلادى الى الفلاندر والبندقية(علائق وتجارة افريقيا الشمالية ص 376) وقد نبه الحسن ابن محمد الوزان على وجود السكر بسوس قبل السعديين ولكن الشرفاء السعديين هم الذين جلبوا أساليب تصفية هذا السكر وتبييضه فى معاصر ساهم الاسرى المسيحيون فى تأسيسها باكادير وخاصة «سكساوة وشيشاوة (مستندات دو كاستر ج I ص 303)

— يوجد نص رسالة موجهة من مولاى محمد بن عبد الغالب — المسلوخ — عن اذن والده الى ملك فرنسا مؤرخة من قصر الدار البيضاء (فاس الجديد) فى رجب 968 (مارس 1561م) حول استعداد المغرب للسماح للملك شارل التاسع باحتكار سكر المغرب بشرط دفع ثمنه بالسعر المغربى مع زيادة نسبة فى المائة وكذلك اصدار النحاس المغربى لفرنسا طبقا لرغبة ملكها بشرط دفع ثمنه سلاحا وعتادا (السلسلة الاولى — السعديون ج 3 ص 746)

— لما عجز الاوربيون المجلوبون لعصر قصب السكر فى معمل اكداى بمراكش وتصفيته واخراجه من القوة الى الفعل عن اتمام عملياتهم جلب محمد بن عبد الرحمن الصناع المهرة من مصر القاهرة (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 556)

أسس مولاى الحسن عام 1878 مصنعا للسكر بمراكش وكلفه ذاك نفقات باهظة ولكن هذا المصنع احيل بعد سنوات الى مدبغة للجلود (كامبو ص 59)

السلطان — السلطان اسم خاص فى العرف العام بالملوك ويقال بأن أول من لقب به خالد بن برمك وزير الرشيد ثم انقطع التلقب به الى ايام بنى بويه فتلقب ملوكهم فمن بعدهم من الملوك السلاجقة (صبح الاعشى ج 5 ص 447)

— اقتصر صنهاجة — حسب ابن خلدون (التاريخ — المجلد الاول القسم الثانى ص 411) على اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم ينتحلوا

شيئا من هذه الالقاب الا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغضاضة

— يقال بأن مولاي عبد الملك نجل زيدان بن المنصور السعدي كان أول من تلقب بالسلطان من ملوك المغرب (كودار ج 2 ص 483)

السماك — لاحظ الادريسي وجود مائة نوع من السمك في سبتة حيث تكثر المصايد المعززة بالرماح التي توجد في اسنتها اجنحة بارزة تنشب في الحوث (اختصار النزهة ص 108)

السوس — السوس بلدة بخوزستان وبلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية وهناك السوس الادنى مدينة طنجة والسوس الاقصى والسوس أيضا بلدة فيما وراء النهر والسوسة مدينة صغيرة بافريقية وسوسية كورة بالاردن (معجم البلدان ج 5 ص 173)

— **سوسة** اسم مدينة بالصين (صبح الاعشى ج 4 ص 483) ونهر سوس تقع عليه مدينة استجه وقرطبة واشبيلية

— أكد ابن القاضي (جذوة الاقتباس ص 8) أن « السوس الادنى يمتد من وادي ملوية الى وادي ام الربيع وهو اخصب بلاد المغرب واعظمها بركة وفاس منه وأما السوس الاقصى فمن جبل درن الى وادي نول »

السياحة : تعرض كودار (ج I ص 242) الى حركة المغاربة السياحية في الخارج في عهد مولاي عبد الرحمن فلاحظ أن نحو السدس (أي 400 الى 500 من بين ثلاثة آلاف) كانوا يتوجهون الى اوربا والباقي الى الحجاز بقصد الحج

السيارات — كان لمولاي الحسن نحو عشرين سيارة (المغرب الحديث ص 263)

— ش —

شالة — أشار عبد الله بن عيشة في احدى رسائله للمسؤولين في فرنسا الى الكشف عن دار تحت الأرض في هيثة كنيسة مع ثلاثة تماثيل من الرخام والظاهر ان المدينة المقصودة هي شالة (السلسلة الثانية — العلويون ج 5 ص 411) وقد ورد في رسالة لجان ايستيل (1699) انه وقع العثور في شالة على

ثلاثة ثماثيل اثنان من المرمر والثالث من الفضة (السلسلة الثانية فرنسا ج 5 ص 418) وقد حاول جور دان ourdan التعلق بابن عيشة للحصول على هذه التماثيل ونقلها الى فرنسا (السلسلة الثانية - العلويون ج 6 ص 134)

ويظهر ان شالة كانت مركزا تجاريا فنيقيا وقد سكت فيها نقود تحمل شارات فينيقية أواخر القرن الاول قبل الميلاد (تاريخ افريقيا الشمالية القديم كزويل Gsell ج 2 ص 176) وقد عثر على تسعة وثلاثين اسما لاشخاص كانوا بهذه المدينة من بينهم اثنان افريقيان وثمانية من الافارقة وسبعة ايطاليين وخمسة أسبان (هسبريس 1950 - ص 427)

الشام - الشام الصغير هو اقليم فشتالة من تطوان الى وادي سبو ويشبهون جاية مثلا بالشام لوفرة فواكهها .

الشامى - لاحظ طوماس لوجوندر Thomas le gendre فى رحلته المنشورة فى مستندات دو كاستر (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 691 - 739) وجود الشامى فى المغرب زيادة على القهوة عام 1665 وكانا حديثى عهد بالدخول الى اوربا كما أكد ان مراکش فسيحة ولا تقل عظمة عن باريس بدون أرباض

وقد لاحظ القنصل الفرنسى شينىي Chénier فى عهد سيدى محمد بن عبد الله (ابحاث تاريخية حول المغاربة ج 3 ص 208) انتشار الشامى بالمغرب فى هذا العهد .

الشركات الاجنبية - شركة الشرق Compagnie du Levant قامت مقام شركة المزمة Compagnie d'Albouzème التى أوقف فريجوس وأصحابه أعمالها وذلك بقرار مجلس الدولة الفرنسى عام 1670 (الفلايون السلسلة الثانية ج 1 ص 313) واذن لها بنقل المدافع والعتاد الى المزمة (ص 327) وألقى القبض على فريجوس من طرف مولاى رشيد الذى وقف على تصميم الحصن الذى اعتزمت فرنسا اقامته فى احدى جزر المزمة (ص 389)

شخصية (المغرب) - أكد روبير مونتاني Robert Montagne فى كتابه ثورة فى المغرب ص 375 Révolution au Maroc أنه ليس ثمة بلد اسلامى حديث توفر خلال العصور واحتفظ الى الان بشخصية سياسية فى مثل قوة وأصالة الشخصية المغربية

الشكايات (وزارة) - وزارة الشكايات أول من أحدثها هو محمد الرابع
وسمى فيها محمد بن ج عبد الله الصفار (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 569) .

شمس - أشارت الدخيرة (ص 137) الى حصن شمس (أى ليكسوس
Lixus) وحصن العرائش التين دخلهما النصرارى عام 668 هـ

— ص —

الصادرات : كان السكر المغربى يصدر الى البندقية والفلاندر فى القرن
الثالث عشر الميلادى (ماس لاطرى ص 376) ومحمد الشيخ هو أول من عمل
على تصفيته بناء على عملية التكرير التى اخترعها البندقيون وأشاع استعمالها
الاسرى المسيحيون (مارمول - الكتاب الثالث) ولم تكن ايليزابيت ملكة انجلترا
تستهلك فى البلاط سوى السكر المغربى نظرا لصفائه (السعديون - السلسلة
الاولى ج I - المقدمة) وكان ملح البارود يشكل المادة الثالثة فى الصادرات بعد
الذهب والسكر ولم تكن حسب سان ماندرى St. Mandrier سوى
أربعة مناجم لملح البارود فى اقليم مراكش (اثنان فى مراكش واثنان فى اغمات
والشبانات) (المقدمة) وكان النحاس يسبك قوالب ويصدر وقد حصل ملك
فرنسا هنرى الثالث على الاذن باستخراج أربعين الف قنطار وهذه القوالب هى
المعروفة بفرنسا Pains de Rosette (السلسلة الاولى - فرنسا ج 2 ص 24)

- كان اصدار الطيور وكذلك الخيول محظورا فى المغرب وكان الاجانب
يتذرعون بوسائل غير قانونية لحمل بعض الطيور الى الخارج (السلسلة
الاولى - السعديون ج 3 ص 507)

الصحراء - لاحظ الزيانى ان المولى سليمان احتل فجيج عام 1221 هـ
وكورارة وتوات 1223 هـ (مقتطفات من الترجمان المغرب - ترجمة هوداس ص
189)

صقلب - صقلب أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج 5
ص 372) ولعل جزءا من الصقلية ينسب اليها لا الى جنس السلاف (Slaves)

الصناعة: تحدث الشريف الادريسى (اختصار النزهة ص 49) عن معدن
النحاس الخالص الذى لا يعد له غيره بمشارك الارض ومغاربها فى مدينة داي
حيث يزرع القطن الذى يتوافر خاصة فى تادلا .

— نشطت الصناعة المعدنية بإفريقية الشمالية خاصة خلال العصور الوسطى وقد نص البكرى على وجود الذهب والفضة قرب تازا وهو ذهب صاف جيد وأشار صاحب الاستبصار الى وجود منجم ذهبي قرب سجلماسة وقبله اليعقوبى الذى ذكر ذهب وفضة مدينة تمملت وكذلك الحسن الوزان وتوافرت مناجم الفضة كذلك بالاطلس الكبير وقرب مكناس ، وقد أصدر المغرب الحديد والرصاص والفضة الى الشرق ونحاس السوس الى السودان ويوجد جبل الحديد قرب الصويرة والرصاص بالناطور ووجدة والحديد بتمسمان وبين سلا ومراكش وقرب فاس (باب الحديد بفاس) وقد امتازت الجزائر وتونس بالرصاص والحديد فى حين ان الفضة والنحاس لم يتوفر الا فى المغرب (كزىل — هسبريس 1928 ص I — 21)

— كانت معاصر السكر فى مراكش والصويرة وتارودانت تدر على المنصور أزيد من ستمائة الف اوقية ذهبية فى السنة السلسلة الاولى — السعديون ج 2 ص 358) ووزن الاوقية يعادل ثلاثين غرام تقريبا .

— يظهر انه كانت بالمغرب فى عهد مولاي زيدان مصانع للطلس Satin حيث ورد فى قائمة هدايا السلطان الى هولندا عام 1612 الاشارة الى حياطى « عمل دار السلطان » (السلسلة الاولى — السعديون — هولندا ج 2 ص 175)

— بعد ان طلب مولاي زيدان من هولندا ان تصنع له أربع سفن عاد فطلب منها عام 1621 بناء فرقاطتين (السلسلة الاولى — الدولة السعدية ج 3 ص 188) وقد تقرر توجيههما الى المغرب بخفارة بارجة حربية عام 1622 ولكنهما وصلتا الى مياها انجلترا وعادتا لعدم استطاعتهما مواجهة امواج عرض المحيط (ص 371)

— مولاي زيدان عين سان مندري St. Mandrier الفرنسى مهندسا ساعده على تأسيس مصانع لاذابة المدافع وتكرير ملح البارود وأصبح هذا المهندس يتمتع بحظوة كبرى فى البلاط (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3) وهو الذى أوغر الى مولاي زيدان ببناء مرسى فى الوليدية نظرا لكون الجديدة والمعامرة والعرائش كانت فى قبضة المسيحيين واكادير فى يد ثوار السوس وأسفى هى المرسى الملكية الوحيدة وكان يود ان تتكفل فرنسا بالبناء وبالفعل تأسست شركة فرنسية لهذا الغرض غير ان مولاي زيدان فضل تحمل نفقات الانجاز فرسم تصميميا واستخدم اختصاصيين هولنديين لنسف صخور الشاطئ فثارت قبيلة دكالة ضد وجود الهولنديين بدافع من عائلة بالاش فعزل زيدان

عن المشروع واكتفى مولاي الوليد ببناء قصبة ، وقد قتل زيدان المهندس مندرى
عام 1626 - المقدمة - وكان من اهداف بناء هذا الميناء صيد العقيق واستخلاص
الاملاح .

- كان المغرب يصنع فى عهد سيدى محمد بن عبد الله البنادق وانواعا من
الاسلحة البيضاء كالحناجر والرماح فى تطوان وفاس ومكناس والبارود فى
مراكش وفاس وقد أسس مصانع لتدوير نحاس المدافع وجلب لذلك الخبراء
من الاستانة كما أسس خاصة مصنعا للقنابل فى تطوان

الصويرة - لاحظ دو كاستر (السلسلة الاولى - السعديون - البرتغال
ج I ص 120) ان فشل البرتغال فى الصويرة عام 1510 (915 هـ) فى الوقت
الذى استطاعوا بسط نفوذهم فى اسفى واكاير يرجع للفوضى التى كان يعيش
فيها الناس حول هاتين المدينتين بينما اصطدم البرتغاليون حول الصويرة
بمقاومة اذكت روحها عناصر صوفية من ركراكة المصامدة الذين وصفهم الحسن
الوزان بالاستقامة والتقوى وقد عاش سيدى محمد الجزولى ودفن بأفوغال
الواقعة على مسافة 35 كم من الصويرة حيث يؤكد الافرانى والمصادر البرتغالية
وقوع اول اصطدام بين البرتغاليين والسعديين وهذا يؤكد ان الحركة الصوفية
المنبثقة من هذه الناحية كانت مصدر الثورة ضد الوجود البرتغالى بالمغرب .

ط

طارق (جبل) - جبل الطر بدل جبل طارق (تاريخ الدولة السعدية

(ص 95)

- راجع نص رسالة من مولاي اسماعيل غير مؤرخة (كتبت قبل 1706) الى
البرلمان الانجليزى وأميرال البحر فيها يحتج على اقتراح انجلترا بعد احتلال
جبل طارق (عام 1704) التحالف مع الاسبان الذين يحتلون سبتة ضد المسلمين
مع ان ذلك مناف للمعاهدة المغربية الانجليزية ومادامت انجلترا لاتسعى الا
لضمان مرور سفنها فى المضيق فعليها ان تساعد المغرب على استرجاع سبتة،
وكانت انجلترا تشترط على اسبان سبتة الانضمام الى ملك اسبانيا الدوق شارل
بدلا من فيليب الخامس حفيد لويس الرابع عشر الذى ملك اسبانيا بعد وفاة
شارل الثانى . (السلسلة الثانية - العلويون ج 6 ص 349)

وتجد بالاسبانية نص رسالة اخرى مؤرخة بـ 14 جمادى الاولى عام 1121 هـ

(1709) يقترح مولاي اسماعيل فيها على لويس الرابع عشر تزويده بالجند
لطرده النمساويين من اسبانيا ومعلوم ان ارشيدوق شارل النمسا Charles d'Autriche

سعى للاستيلاء على اسبانيا وطرد حفيد لويس الرابع عشر منها بعد ان
اعتلى العرش منذ 1700 (ص 424) ولكن ملك فرنسا أجاب (3 يوليو 1710)
متشكرا بانه يعتمد على الله وحده في النصر (ص 454)

- يؤكد هاريسون في مذكراته (السلسلة الاولى - السعديون انجلترا ج 3
ص 124) أن قراصنة سلا أبدوا استعدادهم لمساعدة حلفائهم الانجليز على احتلال
جبل طارق .

طاو - باني قنطرة بن طاو هو سيدي أحمد الشاوي (نشر المثاني ج I
ص 97)

طرابلس - افتدى ابو عنان طرابلس - حسب ابن بطوطة - بخمسة
قناطير من الذهب العين (نشر المثاني ج I ص 248)

طريف - نشرت هسبريس (1956 ص 7 - 27) مذكرة برتغالية عن معركة
طريف (سلاو Salado عام 1340) زعمت ان المغاربة فقدوا في هذه
المعركة 57300 بين قتيل وأسير .

طفيل (ابن) - ذكر مونك في كتابه امتزاج الفلسفة اليهودية والعربية
Mélanges de Philosophie juive et arabe طبعة 1927 (ص
410) أن ابن طفيل وزير لابي يعقوب يوسف الموحدى .

طنجة - وهم البكرى فخلط بين طنجة ووليلي ثم نقل عن غيره ان وليلي
غير طنجة وانها تقع على مسافة يوم من فاس (افريقية والمغرب - المسالك ص
109 - 118)

- علقت نشرة « مدن المغرب وقبائله » (طنجة وناحياتها ج 7 ص 58) على
ما قاله صاحب مرآة المحاسن من أن البرتغاليين احتلوا طنجة عام 841 هـ (1437)
فلاحظت ان البرتغاليين انما حاولوا ذلك فطور دوا واستسلموا .

- يوجد نص رسالة حول ظروف زواج ملك انجلترا شارل الثاني باميرة
البرتغال كاترين ومعارضة اسبانيا لذلك ولكن المعاهدة امضيت في 23 يونيو 1661
سلمت بمقتضاها طنجة الى ملك انجلترا كصداق فوجه هذا خمس سفن حربية
لاحتلال المدينة وسمح للسكان بالهجرة الى البرتغال أو الاستيطان بالمدينة (دو
كاستر - الفلاليون - السلسلة الثانية ج I ص 4) وكان الاسبان يخشون انهيار

تجارة الهند بسبب تعذر صناعة السفن في قادس (ص 19) ويقال بأن الخضر غيلان رفض ما أوعز به الاسبان من التعرض لاحتلال طنجة من طرف الانجليز لأن هؤلاء أمدوه بعشر سفن لمحاربة خصمه عبد الله بن محمد الحاج الدلائي عندما كان يحاصره بسلا وقد تلقى الامير الدلائي يوم 15 يونيه 1661 خمسة مراكب لقرصان الجزائر محملة بالمؤن (ص 23) ولكن مذكرات اخرى تشير الى امداد اسبانيا غيلان بالمال وقيامه بحملات ضد الانجليز وفتكه بشمانمئة منهم في ارباض طنجة (ص 61) ومساعى ملك فرنسا لشراء المدينة من الانجليز (ص 65) ويظهر ان الهدنة انعقدت بين غيلان والانجليز لستة أشهر عام 1663 ثم تجددت واستوفت المناوشات بعدها فمات والى المدينة خلال مكيدة دبرها غيلان في وادى اليهودى (ص 78) ، وقد تنازل عبد الله أعراس لتجار انجليز عام 1666 عن مركز فى فرضه المزمة (ص 87) ولكنه مالبث أن أسر من طرف مولاي رشيد قبل أن يتوصل برسالة وجهها اليه ملك فرنسا لويس الرابع عشر لاختباره بتأسيس شركة فرنسية للتجارة فى المزمة حيث عين رولان فريجوس Roland Frèjus قنصلا (ص 95) وقد وجه مولاي رشيد بعد اعتلائه العرش رسالة الى لويس الرابع عشر بتاريخ 26 شوال 1076) يعطى فيها ضمانات للفرنسيين الواردين على المغرب بقصد التجارة (ص 114) وكان من نتائج انتصار مولاي رشيد وانهزام غيلان فى زحفه ضد الاسبان بالعرائش تجديد الصلة بين الانجليز والخضر للحصول على السلاح (ص 116)

— عندما احتل الانجليز طنجة نهبوا وهدموا الاصنام والاوانى المقدسة فى الاديرة والكنائس ولم يتركوا من السبع عشرة كنيسة التى اسسها البرتغاليون سوى واحدة مع دير لعبادة بعض الكاثوليكين الذين بقوا فى المدينة ويظهر ان أهم هذه الكنائس قد خصصت للبروتستانت ولعلها كانت فى موضع الجامع الاعظم الحالى (طنجة وناحيتها — مدن المغرب وقبائله ج 7 ص 70)

— صدر فى طنجة عام 1668م ميثاق يشكل هيئة بلدية تتركب من شيخ البلد وستة أعضاء واثنى عشر مستشارا وكان جميع سكان طنجة المسيحيين سواء منهم الانجليز او الاجانب ناخبين ومنتخبين فى هذا المجلس (الفلاييون — السلسلة الثانية ج 1 ص 461 نقلا عن كتاب روت Routh حول طنجة ص 117 — 147)

— اتخذ تحرير طنجة حسب المصادر الاجنبية مراحل فقد حوصرت من طرف

القائد عمر بن حدود بمساعده مهندسين أوروبيين ووقع احتلال حصنين دون تدخل من طرف الانجليز لانقاذ حاميتهم التي هلكت ولم يكد يمر شهران اثنان حتى اضطرت انجلترا لعقد هدنة (31 مايو 1680) ملتزمة بالجلء عن حصنين من خمسة الحصون الباقية (روث - طنجة ص 180) الفيلايون - السلسلة الثانية ج I ص 493) وقد اسست ثمانية حصون حول المدينة لتوسيع شبكة المستعمرة على نصف مرحلة ودارت معارك عديدة بين الطرفين تدخل خلالها الاسطول الانجليزى بدون جدوى وامضيت بين الطرفين معاهدة صلح لاربعة سنوات بين 29 مارس و8 ابريل 1681 تمنع انجلترا من بناء أى حصن خارج طنجة (ص 535)

— سفير فرنسا بانجلترا يقترح عام 1682 على لويس الرابع عشر بيع طنجة لفرنسا نظرا لعزم انجلترا تحطيمها أو دفعها الى البرتغال (السلسلة الثانية - العلويون ج 2 ص 300) احتذاء بماتم فى شأن مدينة دو نكيرك Dunkerque التى سلمها شارل الثانى للويس الرابع عشر عام 1662 مقابل أربعة ملايين (هامش ص 303) .

ع

العبيد — فى عام 1109 وجه المولى اسماعيل الى فاس مرسوما قرئ فى المساجد يضمن حق الملكية للعبيد وكان قد وجه فى العام السابق الى قضاة فاس وعلمائها توبيخا لتعرضهم للملكية العبيد المسجلين فى الديوان (مقتطفات من الترجمان العرب للزيانى - ترجمة هوداس ص 47)

العبيديون — تكلم بعض المؤرخين فى نسب العبيديين وقد قال صاحب نشر المثانى العجب من ابن خلدون حيث عد نفيهم من النسب من الاخبار الواهية واحتج بطول ولايتهم وخدمة الشيعة اياهم ، ، وهى تعد من سقطاته — ج 2 ص 102 وافقت بيعة ابى يعقوب الموحدى 558 انقراض الدولة العبيدية بالمشرق (البيان لابن عذارى ج 4 ص 72)

العدير — العدير هى المراعى التى احتفظ المخزن بها لنفسه فى الاراضى التى كانت تابعة لبيت المال والتى اعطيت للقبائل العربية وذلك لتربية الخيل والبغال خارج أيام الحركة أو السوائم من أجل تزويد القصر السلطانى بالزبد واللحوم وقد اضيفت اليها اراض حجزت من قواد متركين

العراقيون - أشار ابن القاضي (جذوة الاقتباس ص 16) الى وفد جماعة من الفرس من بلاد العراق انزلهم المولى ادريس بعين علون بفاس

العرائش - لاحظ الجغرافي اليوناني سترابون ان بسيط العرائش كان من الخصب بحيث تنتج حقوله مائتين وخمسين ضعفا نظرا لتوافر الازوط والفسفور الضروريين لتغذية النجيليات Graminées ومنها الزرع وأعشاب المروج والخيزران وقصب السكر (راجع المغرب المعاصر لكامبو ص 105)

- تأسست العرائش (حسب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ص 97) عام 657 على يد يوسف بن علي

العرب - ابن خلدون تناقض في الظاهر مع نفسه حيث وصف العرب بالتوحش والنهب والعبث وروح التخريب (ص 135) من مقدمة تاريخه ثم ذكر - ص 144 - أنهم بعد الفتح الاسلامي تمدنوا فبلغوا الغاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة واستجادوا المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والانية

والواقع انه لم يقصد بالتوحش سوى الاعراب الاجلاف في الجاهلية أو بعدها ممن احتفظوا بحياة البادية بتاثير من طبيعتها أما العرب الحضريون فهم غير ذلك وبهذا لا يكون العرب بدعا من الشعوب الاخرى كالبربر مثلا الذين نلمس فيهم نفس الخصائص في البادية ونفس الاستعداد للتطور في الحاضرة

العربية - كتب الوزير العثماني محمد سلحدار باشا بالقلم الديواني واللغة التركية الى سلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله في شأن قيام المراكيب الجهادية السلطانية بتهديد سفن جمهورية دوبرنيك محمية الباب العالي فأرجع الوزير المغربي محمد بن احمد الدكالي الرسالة راجيا تحريرها باللغة العربية (الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبرونيك - يوغوسلافيا طبعة 1960 ج 1 ص 14)

عروبة (الفينيقيين) - أكد الاستاذ توفيق المدني في تقويم المنصور « 1348 (ص 72) أن الكشف الحفري ونقوش الحجارة اثبتت كنعانية الفينيقيين كما ابرزت « ان كلامهم كان عربيا شديدا الشبه بالعربية العامية المستعملة خصوصا بنواحي العاصمة التونسية وبجزيرة مالطة قبل ان تختلط اختلاطا فاحشا

بمختلف اللغات الاوربية وأهل مالطة هم بقايا العنصر الفينيقي الخالص . .
وقد نشر توفيق المدني (ص 76) نص الحفريات القرطاجنية التي وجدت في
البرازيل على قبر السبط خليفة الملك ويتضح منها تقارب البونيقية مع لهجة
شمال افريقيا مثال ذلك : حتى خبر اللون أى حتى خبر الهون ومعناها بالفصحى
« لا يصلنا أى خبر الى هنا »

ومثال آخر :

كى مات عصبط عبد هبلت اى عليه كيف مات عصبط العباد هبلت عليه
العامية (بالفصحى) لما مات السبط اصاب العباد الاختبال عليه (ومازال لفظ
هبل يستعمل الى الان في المغرب بهذا المعنى) ، ووجود هذه الحفريات في
البرازيل تدل على أن القرطاجنيين هم أول من اكتشف امريكا قبل الميلاد ب 125
سنة

العزیز (عبد) ورد في كتاب كابريل فير في رفقة السلطان الخاصة
Dans l'intimité du Sultan 1905 ان السلطان مولای عبد العزیز باشر بقوة
أنواع الرياضات المستعملة في الجيش البريطاني وكذلك التنس وكرة القدم
ومهر فيها بصورة فاق بها مدربيه (ص 87) وكان القصر يتوفر على آلة لصنع
الثلج (ص 91) وقد جلب السلطان سكة حديدية للذهاب من قصره الى دار
الدبيبغ على مسافة أربعة كيلومترات وجرى بها من فرنسا الى العرائش ولكنه لم
يعثر على عجلات قاطراتها (ص 100) وكان يلعب النرد - ص 104 - وقد وضع
في عهده اول خط تلفوني بمراكش - ص 105 - كما وضع دينامو لاضاءة القصر
بالكهرباء في مراكش ومصنع تام الاجهزة بفاس - ص 109 - وكانت حديقة
الحيوانات المجلوبة من المانيا بواسطة المنبهي تشتمل على أربعة نمور وستة
سباع وأربعة ضباع وحمير رقطاء وجواميس الخ ، - ص 123 - وكان القصر
يحتوى على ثلاثة آلاف ساعة زمنية - ص 145 - واذا تحرك السلطان صاحبه
مدينة كاملة قوامها خمسة وأربعون ألف نسمة ويحمل خيمة السلطان وحدها
ستون جملا وهي محاطة بسور من النسيج الكثيف تحدد بها الاخبية الاخرى
في عمق يبلغ احيانا ألف متر (ص 159 - 160)

العسكر - مولای عبد المالك أول من اتخذ الجيش من فاس وأمر بانشاء
السفن في العرائش وسلا - تاريخ الدولة السعدية ص 53 -

- تحدث مندوسا Mendoca عن وجود سجل عسكري بفاس يقيد فيه الجند يتقاضون اجورا منتظمة (السلسلة الاولى - السعديون القسم الثانى ج I ص 548)

- كانت افراس البرتغاليين الاهلية تفر الى المعسكرات المغربية ولا يمكن امساكها الا بالعلف الجيد (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 145)
- يمكن اعتبار سيدى محمد بن عبد الرحمن كمؤسس حقيقى لفرقة المشاة المغربية (المغرب الحديث ص 265)

عقبة (بن نافع) - لاحظ أحمد بابا مؤرخ سونغاي أن عقبة بن نافع ترك اثنى عشر مسجدا فى عاصمة غانة عندما خرج - الاسلام فى افريقيا الغربية - ص 52 -

عمران - ادعى البعض أنه كان لمولانا ادريس الاكبر ولد اسمه عمران ذكره صاحب النبذة المختصرة (سلوة الانفاس ج I ص 70)

عنان (رحلة ابى) فيض العباب ، واحالة قداح الاداب فى الحركة السعدية الى قسنطينية والزاب .

تأليف ابى اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميرى الغرناطى المشهور بابن الحاج ، ولم يذكر مترجموه وفاته ، وانما بقى بقيد الحياة الى عام 768هـ (راجع الاعلام للزركلى ج I ص 43) والحدوة لابن القاضى والاحاطة لابن الخطيب ، والكتاب وصف لرحلة - للفتح - قام بها السلطان ابوعنان المرينى للمغرب الاوسط ابتداء من 20 جمادى الاولى 758

وتكمن اهمية الكتاب فى الفصول التى يتناول فيها اعمال ابى عنان وحالة المغرب الحضارية فى ايامه مما لايعرف لحد الان فى كتاب سواه ، ومن الموضوعات التى تناولها فى هذا الصدد :

كتابة ابى عنان لجميع قضاة اياته بالاهتمام باقامة الصلاة جماعة ، وتعيين موظفين خصوصيين اسندت لهم هاذة المهمة فى كل مدينة واقاف ابى عنان على المدارس والزوايا والمارستانات وعلى فداء الاسرى - وصف عدد من النواعير المائية بفاس وناحيتها - ذكر رحلته للعدوتين (الرباطوسلا) مع وصف ما بناه بشالة ، وزاوية النساك بسلا - وصف مسهب للزاوية التى بناها خارج فاس

وذكر حفل افتتاحها ونظامها ووصف موكبه لدى خروجه من فاس نحو المغرب الاوسط وهنا يذكر فرق الجيش وتركيبه وشاراته واعلامه وموسيقاه - وصف افراك العناني - وصف الاسطول، وذكر اسماء بعض رؤسائه وشاراته واعلامهم وموسيقاهم - وصف الموكب العناني عند الوصول لقسنطينة - خمس قصائد فى التهئة بالفتح - وصف الموكب العناني عند الاوبة لفاس .

— غ —

غرناطة - فاوض ابو عبد الله العنابي نزيل درعة والعالم فى الكيمياء والزجر ابازكرياء الوطاسى فى فداء اسارى غرناطة فتوجه اليها عام 875 وهو سنة سقوطها مزودا من نساء القصر السلطاني بالحلى ولكنه غرق فى البحر (دوحه ابن عسكر ص 69) .

- يلاحظ ان فى سنة دخول النصارى لغرناطة وهى 886 هـ نزلت الصاعقة على الحرم النبوى (جذوة الاقتباس ص 150)

الغزالي - ممن انتصر لعدم احراق احياء الغزالي ابو الفضل يوسف ابن النحوى الذى دخل سجلماسة وكان على بن يوسف قد كتب الى فاس بالتحرج على الناس وتحليفهم بالايمان المغلظة ان الاحياء ليس عندهم فاستفتى ابو الحسن ابن حرزهم ابا الفضل فى ذلك فقال انها لاتلزم وكانت على محمل ابى الفضل اسفار من الاحياء (جذوة الاقتباس ص 346) وعلى بن حرزهم هذا هو نجل اسماعيل ابن اخ صالح بن حرزهم الذى لقي الغزالي وعاد الى فاس (سلوة الا نفاس ج 3 ص 69) .

غيلان (الخضر) - الانجليز هم الذين اعانوا الخضر غيلان عام 1666م عند حصار مولاي رشيد لاصيلا حيث بقى غيلان الى يوليوز عام 1668م ففر الى طنجة على ظهر سفينة انجليزية ومنها ذهب الى الجزائر وقد أبرمت معاهدة اتحاد وتحالف بين الانجليز وغيلان (12 ابريل 1666) واستغلت فرنسا هذا الوضع فحرضت مولاي رشيد على مهاجمة الانجليز فى طنجة بمساعدة القوات الفرنسية (دو كاستر - الفلايون - السلسلة الثانية ج 1 ص 189) ولكن حامل الرسالة وهو تروبير Trubert لم يستطع الوصول الى المغرب حيث بقى فى الجزائر الى عام 1668م وكانت الهدنة قد انعقدت عام 1667 بين فرنسا وانجلترا فى خصوص ممتلكاتهما بامريكا .

فاس - لاحظ القلقشندي (صبح الاعشى ج 5 ص 154) أن فاس مدينتان احدهما بناها ادريس بن عبد الله وتعرف بعدوة الاندلس والاخرى بنيت بعده وتعرف بعدوة القرويين

- لاحظ دوزي (تاريخ مسلمي اسبانيا - طبعة ليفي بروفنصال 1932 ج I ص 301) أن ثمانية آلاف عائلة اندلسية استقرت بفاس بعد وقعة الربض فوجدت بالعاصمة الادريسية جالية قيروانية وكان العرب عمالا وتجارا بينما اشتغل الاندلسيون بالفلاحة

- هدم يوسف بن تاشفين أسوار فاس وردها مصرا واحدا (الانيس المطرب ج 2 ص 44) ثم جددت فهدمها عبد المومن ولم تزل فاس بدون سور حتى بناه حفيده المنصور (ص 137)

- لاحظ المراكشي (المعجب ص 221) أنه لا يظن في الدنيا مدينة كفاس وقد وصفها بأنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة . . رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة فنزل اكثرهم مدينة فاس الى أن قال « ومازلت أسمع المشانخ يدعونها بغداد المغرب »

- ذكر ابن سعيد أنه لم ير في الشرق والغرب ما يشبه رونق الاندلس في مياها واشجارها الا مدينة فاس بالمغرب الاقصى ومدينة دمشق بالشام وفي حماة مسحة اندلسية ولم ير ما يشبهها في حسن المباني والتشييد والتضييع الا ماشيد في مراكش في دولة بني عبد المومن ، ولاحظ المقرئ (النفح ج 2 ص 124) أن حضرة مراكش بغداد المغرب

- في عام 1033 سقطت ديار فاس ولم يسلم منها الا القليل وهدم الباقي لتفطر جدرانها (نشر المثاني ج I ص 149)

- وصف باديا لبليش الذي يسمى نفسه علي باي العباسي مدينة فاس فلاحظ أنه يمكن اعتبارها بمثابة اثينة افريقيا تشبها لها بعاصمة الفكر الافريقي (رحلة لافريقيا واسيا من 1803 الى 1807م)

فرنسا : بلغت قيمة التجارة الفرنسية بالمغرب عام 1697 معدل ستمائة ألف ليرة فرنسية وكانت السلع المجلوبة الى المغرب هي الصوفيات والقطنيات والورق مقابل الجلود والصوف والصمغ القصدير واللوز والعملية المغربية الذهبية رغم تحطير خروجها من المغرب وكانت ترد عن طريق مرسيلية سلع من فرنسا وإيطاليا والشرق كالحرير وخيوط الذهب والفضة والشب والكبريت والورق والافيون والادوات المنزلية مما تبلغ قيمته ثلثي المجموع أى 400 ألف ليرة وذلك مقابل الصوف والجلود والصمغ والكحل والغازول والقصدير والنجاس وريش النعام والدينار الذهبى (السلسلة الثانية العلويون ج 4 ص 471)

فرانسوا داسيز - فكر فرانسوا داسيز François d'Assise مؤسسة مؤسس هيئة الفرنسيسكان فى تمسيح المغرب فى القرن الثالث عشر الميلادى وقد وجه لهذه الغاية خمسة من الرهبان عام 1219م فى هيئة الدراويش غير أن تحمسهم الخارق أدى الى قتلهم عام 1220م نظرا لسبهم القراءان والرسول عليه السلام وقد قتلهم يوسف المستنصر الذى سمح بعد ستة أعوام بطالب من مليشيته المسيحية بمجىء بعثة ثانية من الفرنسيسكان وأصدر عام 1226م مرسوما ياذن ببناء الكنائس بشرط أن يكون الاسقف من الفرنسيسكان الذين عدلوا عن فكرة تمسيح المسلمين ويظهر ان اول أسقفية اسست بمراكش عام 1233 م بأمر من البابا كريكوار التاسع وكانت تتمتع باقطاعات فى الوادى الكبير بالاندلس منذ عام 1257م غير ان الاسقفية اندرست معالمها من المغرب حوالى عام 1530 أى منذ قيام دولة الشرفاء الذين طردوا المسيحيين من المغرب وهكذا ازدهرت بعثة الفرنسيسكان بالمغرب خلال ثلاثة قرون (من 1230 الى 1530م) (السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3 ص 93) وكان الشعب يثور ضد صلصلة نواقيس الكنائس لذلك عمد المسيحيون الى نوع من الاذان للدعوة الى الصلاة (ص 107)

الفرنسيسكان - أكد كوهلير ان مولاى اسماعيل كان أعظم حماة الفرنسيسكان وأنه منحهم امتيازات ما كان لاية دولة أن تجرؤ على المطالبة بها لهم وأشار الى ظهيرين مؤرخين بيوليوز 1714 و 20 دجنبر 1711 فى شأن امكان اعدام كل من سبهم أو نكل بهم (مجلة ماروك - موند 19 Maroc Monde نونبر 1949)

الفسيفساء - جلب (الى الحكم الأموى) الفسيفساء عام 354م من ملك الروم اقتداء بالوليد فى بناء مسجد دمشق فرجع وفد الحكم بالصانع ومعه من الفسيفساء

320 قنطارا هدية فرتب جملة من الممالك لتعلم الصناعة فابدعوا وأربوا على الصانع الذي صدر راجعا عند الاستغناء عنه (البيان لابن عذارى ج 2 ص 354)

فضالة - فكرت فرنسا فى صلاحية جزيرة فضالة واحتلالها لان القراصنة يجدون فيها ملجأ يأوون اليه انتظارا للمد الذى يسمح لهم بالدخول الى سلا وهو أيضا بالنسبة اليهم مرصدهم يراقبون منه مايجرى فى عرض البحر (الفلاليون السلسلة الثانية ج I ص 335)

الفنون - مدرسة - أسس محمد بن عبد الرحمن على عهد والده مدرسة للفنون بفاس الجديد تخرج منها فئة منهم من توجه الى اوربا لاتمام دروسه مثل الصدر محمد الجباص بانجلترا ومحمد العلمى بايطاليا وغيرهما فى حدود 1300هـ الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367)

الفوضى - لاحظ المؤرخ العالم ليفى بروفنصال أن المغرب كان يرصص وحدته السياسية فى بحبوحة الفوضى (تاريخ الشرفاء - المقدمة ص 9)

فيليب الثانى - وجه زونيكا zuniga الى فيليب الثانى ملك اسبانيا رسالة (مؤرخة ب 1577) بعد اتصاله بالسلطان عبد الملك بمراكش يؤكد فيها أنه اذا ما هاجم الاتراك وهران فان السلطان يفضل ان تشيع اسبانيا والبرتغال عزمهما على مهاجمة المغرب ليكون هو فى حل من مساندة الاتراك (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 312)

الفينيقيون - يؤكد سترابون (58ق م - 25م) فى جغرافيته ان الفينيقيين وصلوا فى جولاتهم بعد سقوط طروا Troie حوالى 1100 قبل الميلاد الى ما وراء اساطين هرقل واسسوا عدة مدن غير ان العناصر الاثرية قليلة فى خصوص المراكز الفينيقية بشاطئ المغرب وهذا هو ما جعل كزيل وكاركو بينو Gsell, Carcopino وغيرهما متحفظين وقد قام خبراء برحلة تنقيبية فى سواحل المغرب (هسبريس 1956) لاحظوا فيها ان تيط مركز بونيقي محقق وتدل المقبريات على ان البونيقيين تغلغلوا داخل التراب المغربى بالاضافة الى مراكزهم الساحلية

ذكر سنطاس P. Cintas فى كتابه حول التوسع القرطجنى بالمغرب (طبعة 1954) أنه عشر على ماثر بونيقيه فى سواحل المحيط الاطلنطيقي

فى رأس اشقار وليكسوس وشالة وأزمور (؟) وتيط قرب الجديدة ورأس كانطان والصويرة ضمن مقابر رومانية ومن ذلك قطع من البرونز وقرط من ذهب وأوان وقناديل وصحون عليها كتابات وهى من النوع الأحمر المعروف غربى البحر المتوسط والمحيط الأطلسى والمتوافر بإسبانيا والمغرب من القرن الرابع الى الثانى ق م

— ق —

القادر (الامير عبد) أقام المغرب مهرجانات دامت ثلاثة ايام عند دخول الامير عبد القادر الجزائرى الى تلمسان وذلك بأمر من السلطان نشر فى مجموع البلاد (فرنسا والمغرب خلال غزو الجزائر - هسبريس ج 13 - عام 1931 فصله I ص 88)

- راجع رسالة من المريشال بوجو الى سيدى محمد بن عبد الرحمن موجهة فى 16 غشت 1844 يشترط فيها للسلام بعد قبيلة طنجة والعمل على احتلال الصويرة تسير جيش الامير عبد القادر ونقل جنوده الى الجزائر واسكان الامير مع ذويه وحلفائه فى طنجة أو الصويرة أو مراسى اخرى تحت المراقبة المغربية وعدم السماح له بمغادرة المدينة وقرار الحدود التاريخية بين المغرب والجزائر (هسبريس 1948 ص 385) ويفهم من رسالة الجواب السلطانى أنه أصدر الامر للشيخ حمدون باعتقال الامير عبد القادر وأقر الحدود وتنازل لفرنسا عن مركز فى لالة مغنية (ص 400) وقد اخذت هذه الوثائق من مستندات المكتبة العامة بالرباط

القاهرة - حبس السلطان سيدى محمد بن عبد الله على القاهرة والاسكندرية نسخا من ابن خلدون وابن خلكان وقلائد العقيان والاغاني ونفح الطيب وتأليف ابن الخطيب (الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 251)

القرصنة - فى 5 غشت 1670 وجه لويس الرابع عشر ملك فرنسا أمرا الى كونت ديستري Le Comte d'Estrée باستخدام قطع الاسطول الفرنسى لمحاصرة سلا والضرب على يد القراصنة وحملهم على طلب الهدنة غير أن هذه التعليمات تغيرت بسبب احتمال شبوب حرب ضد هولندا التى كانت تملك مراكز سواحل غينيا (الفلايون - السلسلة الثانية ج I ص 321) مع الاحتفاظ

بسفينتين أو ثلاث أمام سلا (ص 326) ولم يستطع ديستري احراق المراكب القرصانية نظرا للحواجز الرملية فحاول اقناع صديقه عبد القادر مرينو الذى أقره مولاي رشيد فى قيادة الرباط عام 1666 من أجل احتلال القصبية (ص 386) ويذكر مويت أن مرينو كان فى عام 1670 قائدا عاما للبحرية فى سلا بعد أن عينه مولاي رشيد قائدا على العدوتين الرباط وسلا (ص 384) وورد فى مذكرة ديستري أن مرينو طلب جوازا من القائد الفرنسى للجوء عند الاقتضاء الى السفن الفرنسية (ص 404)

القرءانية (المبادئ) - أكد مولييراس (المغرب المجهول ج I ص 28) أنه تسود فى أعماق الجبال المغربية حضارة حق هى ثمرة المبادئ القرءانية كما تتغلغل ثقافة فكرية مدهشة

القرويين (جامع) - أكد دلفان فى كتابه (فاس وجامعتها والتعليم العالى الاسلامى ص 81) أن جامع القرويين هو أول مدرسة فى الدنيا

القصدير - اكتشف قرب سلا عام 1638م منجم للقصدير أجود من القصدير الانجليزى يعطى 50 فى المائة فى مساحة دائرتها ثمان مراحل أو يزيد (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3)

القصر الكبير - المنصور الموحدى هو الذى أسس القصر حسب الحسن بن محمد الوزان أى ليون الافريقى ولكن الناصرى يؤكد أن سيدى على بوغالب ورد على القصر قبل تتويج المنصور بسنتين ويظهر من مسالك انطونان Itinéraire d'Antonin وهو مصنف روماني مجهول تاريخ صدوره) أن القصر الكبير هذا هو موقع المدينة الرومانية المعروفة Oppidum Novum ومن أسمائها قصر كتامة وقصر صنهاجة (ابن خلدون) وقصر ابن عبد الكريم والقصر والقصر الكبير

القضاء - قضاء الجماعة بالمغرب يوازي منصب قاضى القضاة بالمشرق (نفح الطيب ج I ص 338) ولم يطلق المغرب وصف القضاء على غير الحكام الشرعيين فى حين أطلق احيانا خارج المغرب على الكتاب (صبح الاعشى ج 5 ص 45I) وعلى التجار (البرد الموشى ص 7)

- كان القضاة ياتون لتونس من مراكش قاعدة مملكة الموحدين (الاعلام - عباس بن ابراهيم ج I ص 75)

القطن - كان المغرب يزرع القطن فى الاقاليم الوطنىة المنخفضة عن سطح المغرب منذ العصور الوسطى بل القديمة وقد كتب نائب قنصل فرنسا بالدار البيضاء عام 1866 تقريراً أكد فيه أن انجلترا شجعت مواطنيها عام 1864 على زراعة القطن فى ناحية الجديدة وان الانتاج القطنى فى دكالة بلغ اربعمائة قنطار عام 1865 قيمتها مائة الف فرنك ذهبى وكان فيه نوعان مطلوبان فى اوربا واورليان الجديدة فيهما سدى حريرى امريكى طويل (النشرة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب رقم 51) (راجع مادة ارز)

القناصل - كان بعض قناصلة فرنسا فى المغرب والشرق من الاطفال ومن هؤلاء فرانسوا دوبواى François de Boyer الذى عين وهو ابن اثنى عشرة سنة قنصلا فى اسفى والصويرة واكادير عام 1647 كما سمي فى نفس السنة بقنصلية القاهرة والاسكندرية الكسندر برنار Alexandre Bernard وهو ابن سبع سنين (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3) ، وكانت قنصلية سلا وتطوان الفرنسية تابعة مثل قنصليات الشرق الادنى الى سفارة فرنسا فى الاستانة وهى التى تعين نوابا فى هذه القنصليات وكان القناصلة ينيبون عنهم ابناء هم مثل انطوان شيلان Antoine Cheillan الذى أسلم عام 1666 فاستبدلته فرنسا برجل أسمى (المقدمة)

قنطرة (ابى رقرق) أكد المراكشى (المعجب ص 222) أن الموحدين بنوا على نهر وادى الرمان (أى ابى رقرق أو نهر اسمير وان كان البكرى يجعل موقع اسمير قرب القصر) (راجع افريقية والمغرب - المسالك ص 106) قنطرة من ألواح وحجارة يعبر الناس عليها حين يجزر النهر فاذا مد عبروا فى القوارب

- ذكر ابن سعيد أنه كان فيما بين قصر المجاز وطريف قنطرة عظيمة وصلت ما بين البرين يزعم الناس ان الاسكندر بناها (الاستقصا ج I ص 32)

ويستبعد وجود مثل هذا المعبر نظرا لتعذر الوسائل العلمية حتى فى العصر الحاضر لبناء قنطرة طولها نحو خمسة عشر ميلا اللهم الا اذا كان ذلك فى اوائل العصر الجيولوجى الرابع حيث كانت المسافة قصيرة أو تكاد تكون منعدمة بين العدوتين ويتجلى اتصال هاتين العدوتين من شكلية جبال الريف بالنسبة للسلسلة الجبلية الاسبانية التى هى امتداد لها (Sierra Nevada)

وتبنى الان اليابان قنطرة طولها 70500م وفي الولايات المتحدة قنطرة تزيد طولها على أربعة آلاف متر .

القواد - شعر مولاي حفيظ بأن خير وسيلة للقضاء على رشوة الموظفين هي منحهم رواتب كما اقترح ان يكون تعيين القواد نتيجة نوع من الانتخاب في القبائل يعقبه تمحيص من السلطان لضمانات المرشحين (غزوة فاس للكولونيل بول ازان Paul Azan ص 105 و 6)

القيادات - أضاف السلطان مولاي الحسن الى القيادات الثمان عشرة التي كانت موجودة في المغرب ثلاثمائة وثلاثين جماعة جعل على رأس كل منها قائدا

القيسي (محمد بن سعيد) قاضى المولى ادريس هو محمد بن سعيد القيسي من قيس غيلان سماع مالكا وسفيان الثوري - جذوة الاقتباس ص 13 - ووزيره هو عمير بن مصعب الازدي وقد زوجه المولى ادريس ابنته عاتكة وانزله بفاس في عين عمير (سلوة الانفاس ج ص 215)

— ك —

كاسبارو كورسو Gasparo Corso اخوة كورسيون أهمهم اندريا Andréa كان بالجزائر المستشار الخاص لمولاي عبد الملك السعدي وصديق علوج باشا وقد صاحب المعتصم الى المغرب الى يوم معركة وداى المخازن وكان سفيره في المحادثات قبل نزول سبستيان وبعد وفاة المعتصم عاد الى اسبانيا فأصبح جاسوسا لفيليب الثاني في البرتغال (وغم) السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 157) وبواسطة هذه العائلة من التجار استطاعت اسبانيا ان تبت عيونها في البحر المتوسط قبل وادى المخازن وبعدها وأن تفاوض الجزائر في الكف عن مساعدة الثوار المسلمين في غرناطة (ص 160)

كريستوف - وجه المنصور الذهبي يوم 25 يونيو 1596 ثلاث سفن الى قادس لاعانة كريستوف الذي كان رهينة عنده ولكن المدينة لم تقبل مساعدة المسلمين واقتصرت على المؤن المهداة وقد وجه كريستوف بعد حصار قادس الى المغرب من كان فيها من الاسرى المغاربة على ظهر المراكب المذكورة فيما يلوح (راجع كتاب كوربيط Corbette, The successors of Drak (ص 105)

- راجع نص رسالة ايليزابيث ملكة انجلترا الى احمد المنصور تشكره على الوعد باعانة الدون انطونيو المرشح لعرش البرتغال وتخبره بانتهاء الاسطول الاسباني **Invincible Armada** في 10 غشت 1588 كما توصيه بالامير كريستوف الذى وجهه والده انطونيو رهينة الى ملك المغرب (السعديون - السلسلة الاولى ج 2 ص 151) مقابل قرض مالى ووصل كريستوف الى اسفى مع مبعوث انجليزى وكانت المراكز البرتغالية بالمغرب مازالت محتفظة بحامياتها البرتغالية رغم الوحدة بين الدولتين مما حدا بالمنصور الى الاعتقاد بأن هذه الحاميات تساند انطونيو وكان حامل جواب المنصور الى لندن هو سفيره الرايس احمد بلقاسم الذى اتصل أيضا بانطونيو وقد وعد المنصور بتوجيه المال والعتاد والرجال بمجرد اعلان وصول انطونيو الى البرتغال - ص 180 - ولكن حملة انطونيو فشلت - ص 185 - وأشيع ان المنصور يرغب فى تسليم كريستوف الى ملك اسبانيا فلذلك طلبت انجلترا من الباب العالي التدخل لدى المنصور لتسريح الامير الشاب - ص 188 - وفى هذا الوقت بالذات طلب المنصور من ملك اسبانيا ان يسلمه مولاي الناصر أخ محمد المسلوخ الذى فر الى اشبونة غداة معركة وادى المخازن وكذلك ابن اخيه مولاي الشيخ الذى كان بالجديدة فكانت المساومة بين الطرفين - ص 205 - غير أن اسبانيا اضطرت الى ارجاع الناصر الى المغرب لانه حاول اثارة مسلمى الاندلس واستقر الناصر بملييلية واستنفر القبائل لمحاربة المنصور فى وقعة الركن - ص 208 -

- بعد انهزام المولى زيدان من طرف ابي محلى قرر التوجه بحرا الى السوس فاكترى مركبا هولنديا وكذلك مركبا فرنسيا بقيادة كاسطلان فنقل أهله على ظهر السفينة الهولندية ودفع أمتعته وخزائنه - 73 حملا من الكتب - مقابل أجر قدره ثلاثة آلاف دوكا ووصل المركبان فى 16 يونيه 1612 الى اكادير فنزل مولاي زيدان وأهله من الاول ورفض كاسطلان انزال حمولته قبل اخذ الثمن وفى 22 يونيه قرر الرجوع الى مرسيليا ولكن العواصف أخرته فاصطدم فى عرض سلا بأربع سفن اسبانية وكانت اسبانيا تعطى لنفسها الحق فى حجز كل مركب فرنسى يوجد فى المياه المغربية وقد تجلى غضب المولى زيدان فى الرسائل الموجهة الى ملك فرنسا لويس الثالث عشر الذى لم يرد على التبرؤ من عامله كاسطلان الذى سجن باسبانيا (مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية ج 3) ولذلك فضل لويس عدم اقتبال سفير السلطان احمد الجزولى (1612 - 1613) لان الكتب لم تكن بفرنسا وقد شدد السلطان الخناق على الاسرى الفرنسيين وسجن المبعوث

الفرنسي في آسفى نظرا لرفض ملك فرنسا استقبال سفير السلطان سيدى فارس
وتقاعسة عن التدخل لدى اسبانيا لارجاع الكتب المنقولة الى الاسكوريال وتازمت
العلائق بين البلددين فسجن مازى Mazet وكذلك دوبوى Du Puy
الذى نكل به الوليد واعتنق الاسلام

ويرى لوجندر Le Gendre فى رحلته ان كسطلان لم يتوجه
الى اكادير بل اتجه من اسفى نحو فرنسا ويزعم لوجندر ان المولى زيدان كان عازما
على التوجه الى فرنسا على ظهر السفينة الفرنسية بجواهره وحليه للاستنجد
بملكها ولكن كسطلان أقلع بمجرد ما حمل المجوهرات تاركا السلطان فى البر
l'Etat des affaires cherifiennes P. 11 - 12

الكوديت - تؤكد وثيقة اسبانية بقلم الكونط الكوديت d'Alcaudete
مؤرخة سنة 1554 أن صالح الرايس باشا الجزائر الذى احتل مدينة فاس فى
نفس العام نادى بنفسه ملكا على المغرب باسم السلطان العثماني ونصب أبا حسون
خليفة له وأعانه يهود فاس بثلاثين الف دوكة وانصاعت مراسى الساحل ومدن
المملكة عدا تادلا حيث لجأ السلطان ووجد ستة عشر مركبا فى بادس وتطوان
وشحن اثنين منهما بالذهب والغنائم وبعث بهما الى الباب العالى بقيادة علوج على
(السلسلة الاولى - السعديون - اسبانيا ج 2 ص 151) وقد نقل الى الجزائر
اربعمائة أسير مسيحي وأزيد من مليون دوبل (ص 164)

كونتى (الاميرة) - لعل مما يؤكد خطبة مولاى اسماعيل للاميرة كونتى
الفرنسية وجود أربع رسائل بامضاء عبد الله بن عيشة وجهت احداها الى
بونشا رتران Pontchartrain عام 1699م باسم السلطان حيث أكد
أنه اذا ما قبل لويس الرابع عشر هذه الخطبة فان ابن عيشة سينبجر حينئذ لامضاء
معاهدة حلف مع فرنسا (السلسلة الثانية - العلويون ج 5 ص 479) وقد اثار
هذه الخطبة فى البلاط الفرنسى موجة من الاستهزاء تردد صداها فى قصائد
وفى تمثيلية كانت فرصة للنيل من العوائد الفرنسية فى آخر القرن السابع
عشر ولا يوجد أى نص جواب عن هذا المطلب (ص 477) وقد حمل بعض المؤرخين
الفرنسيين على جهل الدبلوماسية الفرنسية لاساليب اللياقة والحكمة مع المغرب
وجهل الشعب الفرنسى لحقيقة شخصية مولاى اسماعيل الذى وصفه مويث
كسفاك

كيوم بيرار - عند ما كان عبد الملك مريضا قبيل معركة وادى المخازن

عالجه زيادة على كيوم بيرار طبيب يهودى وقبطان وكيوم بيرار هو القنصل الفرنسى
(مقدمة السلسلة الاولى من الدولة السعدية 32 وقد خلف بيرار فى عهد المنصور
ارنولت دوليل Arnoult de Lisle الذى جاء الى المغرب عام 1588م بعد
ان كان هنرى الثالث قد أسس فى كوليج دوفرانس عام 1587 كرسيا للغة
العربية بغية الاسهام فى تقدم علم الطب بفرنسا حيث كان نفوذ اطباء العرب
واسعا وعين ارنولت أول استاذ فيه خلفه بالمغرب عام 1598 الطبيب هوبير
المستشرق وأستاذ العربية

— ل —

لبريرى - كان يطلق احيانا على اسبانيا اسم Librairie لاسيما فى
مشاريع التحالف المغربى الاسباني ضد الاتراك ايام السعديين (السلسلة الاولى
السعديون ج 2 ص 348 - وصف المغرب للرحالة البرتغالى المجهول)
لويس (الرابع عشر) - طلب مولاى اسماعيل فى رسالة مؤرخة ب 12
جمادى الاولى عام 1111هـ (5 نونبر 1699) من لويس الرابع عشر ان يبعث الى
المغرب مهندسين وبنائين لاشادة قنطرة (السلسلة الثانية العلويون ج 5 ص
458 النص العربى للرسالة)

— م —

مارستان (المنصور) - لاحظ المراكشى (المعجب ص 177) ان المارستان
الذى بناه يعقوب المنصور بمراكش لا يظن ان فى الدنيا مثله لما احتوى عليه
من نقوش واشجار ومياه وبرك وفرش نفيسة وادوية واطعمة مجانية وصيانة
لعمل الأشربة والادهان والاكحال وتبادل ثياب الليل والنهار للمرضى وتزويد
هؤلاء بالمعاش فى فترة النقاهة

مازيغان - اشار ابن عذارى (البيان ج 4 ص 393) الى مرسى مازيغان
Mazagan كما اشار اليها البكرى (مختصر نزهة المشتاق - ص 48 -)
وكتبها مازيغن

الماشية - كان المغرب فى عهد مولاى عبد الرحمن يتوفر على اربعين
مليون رأس من الغنم وما بين 10 و 12 مليون رأس من المعز وما بين 5 و 6 ملايين

من البقر ونصف مليون من الابل ومثله من الافراس ومليونين من الحمير ومثلها من البغال (كودار ج I ص 188)

مالطة - كان المنصور السعدى يفدى الاسرى الذمييـن من رعاياه وقد اخرج يهوديا من الاسر من جزيرة مالطة (المنتقى المقصور على ماثر خلافة المنصور لابن القاضى)

المالكي - (المذهب) - حاول يعقوب المنصور محو المذهب المالكي من المغرب باحراق المدونة ونوادير ابن ابى زيد ومختصره وتهذيب البرادعى وواضحة ابن حبيب بفاس والاستعاضة عنها بجمع احاديث من المصنفات العشرة (المعجب المراكشى ص 171)

المتوكلية - مدرسة ابى عنان تعرف بالمدرسة المتوكلية (سلوة الانفاس ج 3 ص 247)

مجاز : مجاز الرمان - وادى ابى رقرق - قد ورد فى مذكرة بالاسبانية والعربية حول غزو يعقوب المرينى تامسنا عام 657 هـ وكان والى رباط الفتح اذاك هو محمد بن ابى يعلى الكومى من قبل المرتضى وقد اشير فى هذه المذكرة الى هجوم 37 مركبا نصرانيا على سلا وفدت بعد ان استنجد يعقوب بملك قشتالة ضد المرتضى ثم حرر ابو يوسف المدينتين وطرد الاسبان عام 658 هـ (هسبريس 1952 ص 53)

المجاعة الكبرى : المجاعة الكبرى استمرت من سنة 619 الى 637 هـ (جذوة الاقتباس ص 17)

المحارس : اشار ابن مرزوق فى المسند الصحيح الحسن (نخب منشورة فى هيسبريس ج 5 - سنة 1925) الى انه كان يوجد بين اسفى وجزائر بنسى مزغنان (الجزائر العاصمة) مدارس ومناظر تتخابر فيما بينها باشعال النيران فى اعلاها وفى كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فى البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين الا والتنوير يبدو فى المحارس للتحذير .

وقد اشار البكرى الى محارس سوسة والمنستير (افريقية والمغرب فى المسالك ص 35 و 84)

محمد (الاغصاوى) - عندما سلم محمد الشيخ المامون بن المنصور العرائش الى النصرارى عارضة محمد بن على الاغصاوى فقتله صبيرا بفاس عام 1017 هـ وفر الشيخ العربى بن يوسف الفاسى واخوه احمد من فاس (سلوة الانفاس ج I ص 266)

المخازن (وادى) : لم تشر المذكرات التى كتبت عن معركة وادى المخازن الى وجود جنود انجليز فى المعسكر البرتغالى عدا ستوكلى Stukley وكذلك السفير الاسباني مندوزا Mendoza الذى اخبر فيليب الثانى فى رسالة بوجود هذه العناصر (السلسلة الاولى السعديون ج I ص 339)

- من جملة قتلى معركة وادى المخازن الشاعر الاسباني الاسباني الشهير فرانسيسكو دو الدانا Francisco de Aldana المدعو القبطان الالهى وهو ممن اعجب به سرفا نطيس وقد دخل الى المغرب عام 1577 فى زى تاجر يهودى مع ديكودوطوريس Diego de Torres مؤلف تاريخ الشرفاء ويقال بان الغاية من هذه الرحلة هى ان فيليب الثانى ملك اسبانيا الذى وجه الشخصيين الى المغرب اراد اقناع سبستيان بخطر الهجوم على المغرب بواسطة شاهد عيان هو الدانا ولكن العكس هو الذى وقع لان سبستيان اصر على عناده واغرى الدانا فرجع هذا الى اسبانيا واعدا بالمشاركة فى الغزو وجعله الامير البرتغالى قائدا للمشاة فقتل وعمره لا يتجاوز احدى واربعين سنة (السلسلة الاولى السعديون ج 3 ص 443) وكان طوريس قد اخبر فيليب الثانى بالمصير المحتوم لهذه المغامرة لان ملك اسبانيا كان عليه ان يمد سبستيان بثلاثين مركبا وستة آلاف جندي (ص 468)

المخزن - كان لفظ المخزن يطلق منذ قديم بالمغرب والاندلس على الدولة او الحكومة (الاحاطة لابن الخطيب ج I ص 86 - نفح الطيب ج 4 ص 462) والحقيقة أن كلمة «مخزن» معروفة فى المغرب منذ القرون الاولى .

المدافع - استعمل الغربيون المدفع لأول مرة فى موقعة كريسى Crécy بفرنسا عام 1342 م وسبقهم الغرناطيون الى ذلك باستخدامه فى احتلال قلعة اشكر سنة 724 هـ التى توافق عام 1324م غير ان ابن الخطيب لم يذكر هذه الالة باسمها وانما اشار الى الالة العظمى المتخذة من النفط التى ترمى بها كرة محماة (اللوحة البدرية فى الدولة النصرية) وقد لاحظ Quatremère

فى المجلد الاسبوعىة (I80جI ص237) ان هذه الكلمة عرفت فى مصر لاول مرة
عام 792هـ (I383 م)

- كان المدفع المسمى ميمونة بين 24 مدفعا هاجم بها المولى عبد الله الغالب
البريجة بجيش من المتطوعين بلغ I20700 من المشاة و 37000 من الفرسان وI3500
من الطلائع كان يقودهم نجل مولاى محمد وذلك عام I562 م ولم يكن فى الحصن
اكثر من 2600 برتغالى (السلسلة الاولى - السعديون - ج I)

مولاى محمد بن عبد الله السعدى كان فى محلته اكثر من مائة وخمسين
نفضا ومن المعلمين الجرائحين والحجامين ما ينيف على المائة رجل (تاريخ
الدولة السعدية ص 5I)

- كان مولاى عبد المالك يهتم بصنع المدافع وقد اشرف بنفسه على اعداد
نحو ثمانية (دو كاستر السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 258)

- لاحظ المؤرخ الانجليزى هاريسون ان المدفعية لم يكن لها اى مفعول على
البنائات المغربية المؤسسة بالطابية سواء فى المدن أو الواحات الصحراوية وهو
شئ ملحوظ الى الان (دو كاستر - السلسلة الاولى انجلترا - 8 اكتوبر I630)

مدرسة (دار المخزن) - فى عام I844م احيلت مدرسة دار المخزن المسماة
ايضا مدرسة فاس الجديد - وهى من بناء المرينيين - الى مدرسة للمهندسين
وقد نظم السلطان ائذاك تدريس العلوم

(المجلد الاسيوية - المجلد العاشر ص I52) الكتابات العربية بفاس
المدن القديمة - يظهر ان بعض المدن الحالية كانت مركزا لمدن رومانية مثل رأس الدير
Rusadir امام مليلية Jagath بتطوان و appidum Novum
بالقصر الكبير وقيل بالرباط و Acra باسفى و Dyris بالاطلس appinum
بشفشاون و Banasa بالبصرة و Vala بتارودانت و Silda أو
Gilda بمكناس

- تحدث المؤرخون عن مدن اند ثر بعضها منذ عهد غير بعيد منها سرنو التى
كتب عنها مارمول وذكر انها على ثلاث مراحل من اسفى وانها قامت بدور هام
فى العراك بين المغاربة والبرتغاليين وتوجد انقاضها اليوم فى المحل الذى يدعى
المرسى (دوتى - مراکش ص I85) كما تحدث ليون الافريقى عن تمراكشت

التي سماها مارمول تمراكش وكلاهما يوقعها على الضفة اليسرى لأم الربيع
(ص 226)

- اشار الشريف الادريسي الى عدد من المدن المغربية التي اندرس معظمها
مثل ايكسيس قرب سلا (اختصار النزهة ص 47) ومغيلة بين مكناس وفاس
(ص 51) وصاع قرب مليلية وكذلك جراوة وترنانة (ص 54) وتشمش
(لوكسوس) قرب البصرة التي تبتعد عن مدينة باب اقلام التي بناها عبد الله
ابن ادريس ب 18 ميلا (ص 109) وماسنة جنوبي البصرة وهنين قرب مصب
وادي اكرسيف (ص III)

- المدينة اسم بلدة تقع حسب مارمول في سفح الاطلس الكبير على بعد
ثلاثين مرحلة من مراکش شرقا وهي محصنة بالاسوار والابراج واهلة بالتجارة
والصناع فيهم كثير من اليهود وارباضها حافلة بالكروم والزياتين واشجار الجوز
(مارمول الجزء الثاني - الكتاب الثالث الفصل 70) ويؤكد مارمول ايضا ان بلدة
اخرى تسمى المدينة كانت تقع على مسافة مرحلة ونصف من الاولى بارض دكالة)

المرابطون - لاحظ صاحب الحلل الموشية (ص 69) ان علي بن يوسف
هو اول من استعمل الروم بالمغرب

- ذكر احمد امين في ظهور الاسلام (ج 3 ص 7 حول الاندلس) في حديثه عن
المرابطين والموحدين انهم « لم يكونوا من سعة الافق والعراقة في المدنية والحضارة
بحيث يستطيعون ان يحكموا الاندلس طويلا »

- تحدث صاحب الانيس المطرب (ج 2 ص 37) عن حدود المملكة المرابطية
فلاحظ ان يوسف بن تاشفين خطب له على 1900 منبر وان ملكه امتد من اقصى
شرق الاندلس الى اشبونة ومن جزائر بنى مزغانة الى طنجة الى آخر السوس
الاقصى الى جبل الذهب من بلاد السودان

مراد الرايس: مراد الرايس هو من القراصنة الالبانيين المقيمين
بالجزائر استطاع الهجوم على الانزرووط وهي احدى الجزائر الخالدات حوالى
عام 1586م وقد سبق للقراصنة الاتراك ان اغاروا عام 1569م على هذه الجزيرة
(السعديون - السلسلة الاولى ج 2 ص 125) وقد لجأ مراد الى العرائش بعد
هذه الواقعة ثم استطاع المرور من مضيق جبل طارق رغم معارضة السفن
الاسبانية (ص 127)

المراكز (الاسبانية) : كان ملك اسبانيا ينفى الى مراكزه بالمغرب الشخصيات التى سقطت حظوتها عنده او التى تثير الفتن (رحلة فريجوس - دو كاست الفلايون السلسلة الثانية ج I ص I29)

مراكش - مروكش هو اسم مراكش فى عهد المرابطين انتقلت الى الاسبانية Marruecos (التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بنى زيرى فى غرناطة وهى مذكرات الامير عبد الله بن بلقين - طبعة ليفى بروفنصال عام 1955 ص 125)

- لاحظ المراكشى فى المعجب (ص 138) انه « تم لعبد المومن رحمه الله ملك افريقية كلها منتظما الى مملكة المغرب فملك فى حياته من طرابلس المغرب الى سوس الاقصى من بلاد المصامدة واكثر جزيرة الاندلس وهذه مملكة لم اعلمها انتظمت لاحد قبله منذ اختلت دولة بنى امية الى وقته »

(**مراكش والرباط**) : نشرت جماعة دو كاستر فى الجزء الثالث (ص 358) من السلسلة الاولى الخاصة بدولة السعديين مذكرة مؤرخة ب 1631 (اى سنة وفاة مولاي عبد الملك بن زيدان) حول المغرب تحدثت عن مراكش ووصفتها بانها اكبر من باريس وان سكانها مترا وحون بين 500 و 600 الف نسمة وان قصر البديع اجمل قصر فى العالم ثم اشارت الى وجود السكر فى ارباض اكادير مع معاصر ووصفت الرباط بانها اجمل وامتع مدينة فى ساحل افريقية جودة ارض وعذوبة ميناء (ولعل فى ذلك بعض الايغال لان صاحب المذكرة ينص على ان قرصان سلا اقتنصوا فى ظرف عشرة اعوام ازيد من الف سفينة مسيحية) ووصفت كذلك جامع حسان بما هو عليه اليوم ووفرة قصب السكر بتارودانت كما ذكرت عن انفا انها مدينة النمل وان تيط مدينة السباع

- لم يتحدث المؤرخون عن تاريخ دخول مولاي احمد بن محرز الى مراكش ويظهر من كلام مويث فى تاريخ مولاي رشيد ومولاي اسماعيل ان ذلك تم قبل شهر ابريل 1675 م

- اعترف دوتى (مراكش ص 18) بانه لاحظ خلال رحلته لجنوب المغرب ان سكان حوز مراكش كانوا يعيشون عيشة اقتصادية اقوى واكثر نظاما من الجزائريين

مروان (ابو) : فكر مولاي عبد الملك السعدى فى اسكان القبائل الرحالة فى القرى وقد وصفه اليفرنى بالميل الى التجديد (وصف المغرب لمؤلف برتغالى

مجهول - نشر فى السلسلة الاولى من تاريخ السعديين ج2 ص231-313) وقد وقع مثل هذا ايام ما سينيسة حيث بنى ما ينيف على 70 مدينة اسكن فيها البرابرة الرحل

- لوحظ فى وثائق دو كاستر ان مولاي عبد الملك هو الملك السعدى الوحيد الذى كان يوقع رسائله بحروف لاتينية وتوجد ثمانى رسائل من هذا النوع مؤرخة بين 1571 و1577 م (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 179) (راجع نسخة من احدهما ص 180) .

المزمة - طمع الاسبان منذ القرن السادس عشر الميلادى فى جرز المزمة الثلاث الواقعة فى الفرضة التى ينصب فيها وادى نكور ووادى غيس وفى مدينة المزمة التى هدمها مولاي الرشيد عام 1666 وهى غير مدينة نكور خلافا لابن خلدون واكبر هذه الجزر هى المعروفة بحجرة نكور حيث اسس الاسبان مركزا عام 1673م

(دو كاستر - الفلايون - السلسلة الثانية ج I ص 21) وقد لاحظ فريجوس فى رحلته ان مرسى البوزيم Albcuzème تقع على بعد ثلاث مراحل غربى نكور وهو موقع مدينة المزمة القديمة وان واليها فى عهده كان هو الشيخ احمد اغراس صهر مولاي رشيد الذى تنازع مع اغراس وهدم مدينته لرفضه معونته لانتزاع فاس من الدلائيين (ص 122) ويزعم ان اغراس كان قد اودع فى قسبة المزمة حيث كان يسكن ، ثلاثة ملايين دينار ذهبى (128م) .

المزمة - اشترى فريجوس Fréjus فى مرسى المزمة دارا بخمس وخمسين دو كا أى 110 ريال (رحلة فريجوس - عام 1666 - دو كاستر - الفلايون - السلسلة الثانية ج I ص 181)

مسجد الشرفاء - يقال بان مسجد الشرفاء فى قبيلة بنى فلواط بالاخماس شمالى المغرب بناه طارق بن زياد عند الفتح الاول (دوحه الناشر لابن عسكر ص 18) .

- مسجد الشرفاء والقرويين منحرفان عن القبيلة وقد الف سيدى العربى الفاسى فى التشنيع على هذا الانحراف واجتماع اهل فاس عن الامر السلطاني لتحسين قبلة مسجد الاشراف (نشر المثنى ج 2 ص 119) .

- مسجد ابى مدين الغوث بفاس كمساجد الريف ليست له منارة .

– قراءة الحزب بعد الصبح والمغرب امر به يوسف بن عبد المومن فى سائر البلاد (جذوة الاقتباس ص 47) كما ان ابا عنان هو الذى جعل باعلى منارة القرويين صاريا من الخشب ينشر فيه علم اوقات الصلاة (ص 31) واول من احدث العلم الازرق بفاس يوم الجمعة فارس بن ابى الحسن المرينى (ص 314)

– اشار ابن الفاخ جذوة الاقتباس ص 28 الى ان مساجد فاس كانت فيما قبل 785 واما فى عصره فلا تحصى كثرة كما ان حماماتها كانت تبلغ 93 فاصبحت لاعدد لها والارحى تبلغ 472

– تحدث مويت فى كتابه تاريخ المغرب فى العهد الرشيدى الاسماعيلى ان عدد مساجد فاس البالى بلغ انذاك ازيد من خمسمائة مسجد صغير علاوة على اربعة جوامع (وثائق دو كاستر – نص الرحلة فى الجزء الثانى من السلسلة الثانية – الدولة العلوية ص I – 199) وهذا الكتاب هو غير اخبار الاسر بالمغرب الذى نشر بعد التاريخ المذكور بشهور عام 1683 بعنوان
Relation de la captivité de sieur Mouette

المسيحيون – كانت المليشية المسيحية فى عهد المولى زيدان خاضعة لقيادة القبطان الانجليزى جوهن جيفار John Giffard الذى كان يساعده القبطان سميث Smith وهو من المع مهندسى اوربا وكان الاول يتقاضى 25 شيلين فى اليوم والثانى 12 بينما كان الجنود الاجانب العاديون يتقاضون 12 بنس فى اليوم (السلسلة الاولى – السعديون – انجلترا ج 2 ص 372 نقلا عن مذكرة جورج ويلكنس Wilkins .

اكذ فوكولد فى رحلته (ص 10) ان المغرب كان يخشى المغير الاجنبى اكثر
هما يخشى المسيحيين .

مضغرة – مضغرة قبيلة مغربية قرب تلمسان (نشر المثنى ج I ص 60)
وذكرها احمد بابا السودانى فى نيل الابتهاج بالطاء (ص 205) .

مصطفى (الدكالى) – سماه دو شاطو التاجر الاول بالمغرب وكان يقطن بجبل طارق ويتقن الانجليزية والاسبانية وقد رحل الى اوربا لاسيما مرسيلية وباريس ولندرة وحصل من السلطان عام 1847 على استغلال مناجم الاثمد قرب طنجة (بعثة ليون روش بالرباط عام 1845 – طبعة 1947 ص 65) .

المطبعة - أسست المطبعة الحجرية بفاس بأمر من سيدي محمد بن عبد الرحمن وقد طبعت اول الامر مجموعة مهمة من الكتب على نفقة بيت المال ثم سلمت للتجار .

المظل - الملوك السعديون هم اول من استعمل المظل فى المغرب حسب نزهة الحادى .

المعادن - فى عام 1846 باع السلطان مولاي عبد الرحمن للجزائرى بودرية القاطر بتطوان معدن نحاس هذه المدينة فلم يوفق فى استغلاله واراد بيع امتيازاه لشركة فرنسية فاسترجع السلطان المعدن بتعويض قدره اربعون الف فرنك للسيد بودرية (كودار ج I ص 172) .

وقد زار محمد الدكالى باريس ولندن عام 1845م وطلب الحصول على احتياز لاستغلال معادن الحديد بالزيادة فرفض طلبه (ص 173) ومنع مولاي عبد الرحمن كل تنقيب من طرف الاجانب عن مناجم الفحم بالمغرب وخاصة فى جبل انجرة (ص 175) .

- تشير مذكرة وجهها اسحاق بالاش الى الحكومة الهولندية مؤرخة ب 1647 الى العثور فى المغرب على مناجم للقصدير والنحاس (دو كاستر السلسلة الاولى - السعديون ج 5 ص 128) وفى عام 1639 كتب نائب القنصل كاسبار Gaspard الى ريشليو يعلمه بالكشف على مرحلة من الرباط عن معدن للقصدير اجود من معدن انجليرا واوفر نظرا لوقوع المنجم فى مركز طول دائرية ثمانى مراحل وقد صدر المغرب لهولندا (السلسلة الاولى - فرنسا ج 3 ص 588) وكان النحاس موفورا باع منه المغرب لفرنسا اربعين الف قنطار عام 1579م كما كان يبيع لانجلترا القنطار باثنين وعشرين فرنك (السلسلة الاولى فرنسا ج I ص 24 و 108)

المعاهدات : راجع النص العربى لمعاهدة ابرمت فى متم رمضان 966هـ موافق يوليو 1559م بين مولاي عبد الله الغالب بالله وأنطوان دو بوربون Antoine de Bourbon ملك نافاريا وهى المملكة القديمة الواقعة على جانبى جبال البرانس شمالى اسبانيا وقد التزم الامير الفرنسى بدفع خمسمائة رجل من النصارى للخدمة فى القصر مع العتاد مقابل تسليم القصر الصغير حيث يمكنه تجديد بناء المدينة وقد حلت المعاهدة كثيرا من المشاكل المتعلقة بالمواطنين وشملت

فوائدها مجموع الفرنسيين لان ملك فرنسا كان عم الامير انطوان . (السلسلة الاولى - السعديون ج I ص 178)

- ينص مشروع المعاهدة بين فيليب الثاني وعبد الملك (عام 1577) على تحظير سلطان المغرب على نفسه تكوين اسطول حربي (السلسلة الاولى السعديون ج I ص 214) .

مشروع معاهدة بين المغرب واسبانيا (1581) -

رسالة من هنري الثالث ملك فرنسا (1580) يؤكد فيها ان مهادنة الباب العالي لفيليب الثاني ملك اسبانيا والبرتغال ستمكن هذا الاخير من الزحف ضد المغرب لذلك يجب تنبيه الاستانة الى الاخطار التي ستنجم عن ذلك (دوكاستر- السعديون السلسلة الاولى ج 2 ص 86) وكانت فرنسا تشجع انطونيو لاعتلاء عرش البرتغال وتحاول اقناع الباب العالي بان ملك اسبانيا المستبد بالبرتغال يحاول احتلال المغرب للنزو بعد ذلك على الجزائر (ص 91) وقد خشى الباب العالي في نفس الوقت من تحالف المغرب مع ، اسبانيا وهدد بالزحف على المغرب وخاف المنصور من وجود مولاي اسماعيل نجل السلطان عبد الملك في القسطنطينية (ص 94) ولم يكن السلطان مراد واثقا من الاميرال علوج الذي اشيع انه يعتزم الاستقلال بالحكم في الجزائر (حوالي 970) وهذا التجاذب في المصالح هو الذي دفع كلا من المنصور ومراد الى التهادن وشجع المنصور على الماطلة في امضاء مشروع المعاهدة المتفق عليها في 2 غشت 1581 لاقرار الهدنة عشرين سنة مع اسبانيا وتسليمها العرائش (ص 98) .

- بلغت الهدايا التي توصل بها احمد المنصور من فيلب الثاني ملك اسبانيا سبعمائة الف درهم للحصول على العرائش مقابل مركز اخر من المراكز التي يحتلها الاسبان بالمغرب ولكن هذه المفاوضات اخفقت وقام المغاربة بتحصيلين المدينة وتدل رسالة اخرى وجهت لملك فرنسا هنري الثالث ان الباب العالي وجه هدايا الى فاس بعد شيوع نبأ المفاوضات المغربية الاسبانية (دوكاستر - السعديون - السلسلة الاولى ج 2 ص 112-114) .

- تشير المعاهدة المبرمة بين مولاي الوليد بن زيدان ولويس الثالث عشر في مراكش (8 صفر 1041-17 شتنبر 1631) الى ان التجار الفرنسيين يؤدون في

المغرب مقابل صفقاتهم العشر والطبلية (دراهم الخراج حسب تاج العروس
ولسان العرب وكانت الطبلية تسمى مكسا قبل بنى مرين وانخفضت نسبتها
الى خمسة فى المائة فى عهد مولاي عبد الرحمن العلوى وسميت بالمستفاذ ولعله
كان فى المغرب كما فى تونس حقا اضافيا يؤديه التجار الاجانب للديوانة زيادة
على 10٪ (السلسلة الاولى - السعديون ج 3 ص 406 مع الهوامش) .

- امضى محمد الشيخ الاصغر مع شارل الاول ملك انجلترا عام 1637
بواسطة راسنبوروخ (Rains borongh) معاهدة تحظر على الانجليز المتاجرة
مع اكادير وماسة والصويرة والا اعتبرت عدوة وعوملت بمقتضى ذلك بينما
وافق سفير السلطان فى لندن عام 1638 جودر ورفيقه روبير بلاك R. Blake
على نص آخر يحظر التجار مع رعايا السلطان الثائرين دون اشارة الى العقوبات
وتنص المعاهدة الاولى ايضا على امكانية امداد ملك انجلترا السلطان عند الحاجة
بسفن حربية لمساعدته على قمع الثوار وتطويقهم وتؤكد المعاهدة الثانية التزام
السلطان بالاعتراف بوجود شركة تجارية انجليزية بالمغرب وقد شعر السلطان
بالمكيدة واتهم سفيره جودر بن عبد الله عندما امتنعت عليه السفن التجارية
الانجليزية المرابطة باسفى عندما طلب منها مساعدته على قمع التهريب بالصويرة
كما لاحظ ان التجارة المغربية اصبحت محتكرة الشركة الانجليزية Barbary
Company (السلسلة الاولى السعديون انجلترا ج 3 ص 328 - 400) وقد
راوغت انجلترا لانها كانت صديقة لبودميعة بسوس كما كانت تخشى من منافسة
التجار الفرنسيين والهولنديين لها اذا ما اوقفت صفقاتها بهذا الاقليم (ص 358)
وجودر هذا برتغالى الاصل اسرو هو ابن ثمانى سنوات وخصى واصبح مستشار
السلطان (ص 365) وقد وجه السلطان سفيره القائد محمد بن عسكر الى لندن
للاحتجاج على متاجرة الانجليز مع رعاياه الثوار فى الصويرة واكادير (ص 523)

- راجع نص معاهدة حول حرية التجارة والدين ابرمت عام 1657 بين
انجلترا ومحمد الحاج الدلايى (السلسلة الاولى - السعديون - انجلترا ج 3 ص
588) .

- راجع النص العربى للمعاهدة المبترمة بين هولندا وعبد الله بن محمد
ابن ابى بكر الدلايى فى سلا بتاريخ حادى عشر ذى القعدة 1068 الموافق 10 غشت
1658 حول القرصنة وتبادل الاسرى (السلسلة الاولى - السعديون - هولندا ج

6 ص 429) وبمقتضى ذلك قررت الاميرالية الهولندية تعويض الرئيس احمد القرطبي عن مركبه المقتنص بمركب جديد يعادله حمولة وعتادا (ص 486) .

- راجع النص الفرنسى لمشروع المعاهدة المغربية الفرنسية المؤرخ من المعمورة (المهدية) ب 13 يوليوز 1681 (وكان عمر بن حدو الحمامي قد احتلها قبل ذلك ببضعة أشهر) فى شان قراصنة سلا وحماية الاسطولين من العبث القرصنى وتبادل الاسرى و اقرار التجارة وتعيين قنصل فرنسى فى سلا او تطوان (الفلاليون السلسلة الثانية ج 1 ص 548 هـ) وقد رفض لويس الرابع عشر التوقيع على هذه المعاهدة (ص 560) مما حدا مولاي اسماعيل الى توحيد سفيره الحاج محمد تميم للتعرف الى نوايا ملك فرنسا (567) .

يؤكد جان ايستيل J. Estelle فى مذكرته (السلسلة الثانية العلويون ج 4 ص 54) ان مولى اسماعيل كان يامل ان يعقد مع فرنسا حلفا هجوميا ضد المراكز الاسبانية فى المغرب فى حين ان سفير فرنسا انذاك (عام 1693) وهو سانت او لو St. Olon لم يكن يهدف الى اكثر من تحرير الاسرى .

- من نصوص مشروع المعاهدة المغربية الفرنسية (1699) وتبادل الاراء كتابة بين عبد الله بن عائشة فى باريس والحكومة الفرنسية تتجلى لنا صورة عن مسطرة المفاوضات الدبلوماسية بين المغرب والخارج (السلسلة الثانية العلويون ج 4 ص 54) ان المولى اسماعيل كان يامل ان يعقد مع فرنسا حلفا - هل تكالف مولاي محمد العالم مع ديوان الجزائر ضد والده مولاي اسماعيل من اجل مساعدته على احتلال مكناس وفاس ؟ (رسالة تاجر فرنسى مؤرخة ب 1705 - السلسلة الثانية - العلويون - ج 6 ص 322) وقد حاول مولاي محمد كذلك التحالف مع فرنسا واسبانيا (ص 326) .

وبذلك تمكن الرهبان بين 1700 و 1718م من افتاك 70 اسيرا (ص 12) فشلت المحادثات المغربية الفرنسية خلال الربع الاخير من القرن السابع عشر نظرا لتشبث مولاي اسماعيل بالمال بل باستبدال ماله من أسرى فرنسين بمن يعينهم هو من بين رعاياه المعتقلين بفرنسا او بالاسلحة والعتاد الا ان فرنسا لم تكن مستعدة للتنازل عن الاصحاء من الاسرى المغاربة الذين كان لويس الرابع عشر يستخدمهم فى تجديد مراكبه كما كان هنالك مرسوم بابوى يحظر على الامم الكاثوليكية امداد المسلمين بالسلاح وكان هذا الوضع يمس

مصالح فرنسا فى حين كانت الامم البروتستانتية متحللة من قيود الرضوخ الى البابا مثل انجلترا وهولندا (راجع السلسلة الثانية من تاريخ العلويين ج 6) هنالك تدخلت جماعة الرهبان واكدت استعدادها عام 1706 لدفع اسير مغربى ومائتى بياستر (600 ليرة) عن كل اسير فرنسى مع اربعة الاف بياستر للوسيط القائد على بن عبد الله (ص 6) وبذلك تمكن الرهبان بين 1700 و1718م من افتركاك 70 أسيرا (ص 12) ولم يكن عدد الاسرى الفرنسيين بالمغرب يعدو المائتين بينما بلغ الاسرى المغاربة ما بين 200 و300 حسب القنصل الفرنسى (1700 - 1705) و 500 حسب الاحصاء المغربى وكان هؤلاء معتقلين فى مرسيليا ودانكيرك (ص 53) ومن بين الاسماء الواردة عبد الله بربيش (سلا) وعبد السلام فنيش واحمد بسير (الرباط) واحمد شمسى (سلا) واحمد صندل وعلى الزناتى (الرباط) وعلى بربيش (سلا) ومحمد الصمار .

- نصت معاهدة 1860 (البند التاسع) على تحمل المغرب لتعويضات الحرب وقدرها عشرون مليون بياستر (Piastre) قوية اى مائة وعشرة ملايين فرنك ذهبى وقد أستقرض المغرب عام 1861 من بنوك لندن مليونى بياستر بفائدة عشرة فى المائة واقترح التاجر المصرفى البريطانى فورد Levis Ford عام 1862 دفع قسط من الغرامة الى اسبانيا مقابل تسليمه حقوق الديوانة المغربية وهى 30 مليون من الخمسين مليون الباقية ولكن المغرب رفض وكذلك اسبانيا لانها كانت تستغل وجود ممثليها فى الجمارك المغربية لفتح ثغرات فى البلاد والتدخل فى شؤونها وقد اصبح المغرب عام 1869 لما شعر بتلاعب تجار اسبان من اجل القيام مقام الموظفين الاسبان فى الجمارك بالمراقبة (هسبريس 1958) (ص 13 - 27)

المعمورة - ذكر مويث ان القائد عمر بن حدو لما احتل المعمورة عام 1681 بعد مرور ست وستين سنة (منذ 1614م) على احتلالها وجد فيها 88 مدفعا من البرونز و 15 من الحديد علاوة على اعتدة اخرى اكثر مما يوجد فى مجموع المملكة (تاريخ مولاى رشيد واسماعيل - خاتمة الكتاب الثانى) .

- معمورة تنسيقت او معمورة اسفى هى مدينة مهدمة تقع بمصب وادى تنسيقت قرب اسفى .

المغاربة - اطلق المشارقة احيانا اسم المغاربة على الافرنج وقد اكد اليروى فى الاثار الباقية (ص 50) ان المشهور هو ان المغاربة هم الفرنج .

لطائف المنن (ج I ص 143) نقلا عن اخيه الشيخ افضل الدين ان صوفيا جاب الارض كلها فلم يجد شيئا من الحلال الا عند عجوز في مدينة مراکش .

المغرب الاقصى - لاحظ ابن عنارى ان المغرب الاقصى كان يقال له فى عصره المغرب الادنى وهو موضع تادلا وتامسنا (البيان ج I ص 307) .

المغرب العربى - تحققت وحدة المغرب العربى سياسيا منذ القرن الاول حيث ولى هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحبحاب مصر وافريقية والاندلس فكان له من العريش الى طنجة الى السوس الاقصى الى الاندلس وما بين ذلك (البيان لابن عنارى ج 2 ص 40) .

ملكية (الاجانب) - يظهر ان مولاى الحسن اصدر امره الى مناء الديوانة بشراء الاملاك التى اقتناها الاجانب مهما كان الثمن (طنجة وناحياتها - سلسلة مدن المغرب وقبائله ج 7 ص 128) .

مليلية - استغل اتراك الجزائر حصن مليلية الاملمى (مارتشيكا Marchica لمرابطة اثنى عشر مركبا تحمل اثنى عشر مدفعا ثقيل لانجاد حسن باشا الذى كان يحاصر مدينة فاس وذلك عام 1558) (السلسلة الاولى - السعديون اسبانيا ج 2 ص 449) وقد اهتم الاتراك بهذا الحصن وسموه الميناء الجديد (ص 467) وقد فكر الاتراك عامى 1553م (960هـ) و 1555م (963هـ) فى امتلاك مدخل مليلية واقامة حصن (و . غ . م . السلسلة الاولى - السعديون ج 3 م 153) .

المنصورية - لم يشر اليها من الخرائطين القدماء Cartographe سوى Battista Agnesi ولكنه يحصل موقعها غلطا بعد انفا (مدن وقبائل المغرب المجلد الثانى حول الدار البيضاء والشاوية ص 33)

- ذكر ابن ابراهيم فى الاعلام (ج 5 ص 123) ان السلطان سيدى محمد ابن عبد الله بنى المنصورية ومساجد اكدال الستة بالرباط ومدينة تيط عام 1182هـ الصورة عام 1178هـ وكذلك انفا وفضالة .

المهدية - كانت تسمى حلق المعمورة وحلق سبو (نشر الثانى ج I ص 126) وهى التى اختطها المهدي الشيعى على يد بعض عماله (ج 2 ص 75) .

سمح مولاى زيدان لهولندا بطرد القراصنة من المهدية واقامة حصن بالساحل وبينما كانت ثلاث سفن هولندية تنتظر عام 1614 تعليمات مولاى زيدان

للنزول وصل 99 مركبا شرايعيا مع سبعة آلاف جندي نزلوا جميعا شمالى المعمورة وفر القراصنة الى سلا (مقدمة السلسلة الاولى الدولة السعدية ج 3) .

المواصلات - ورد فى الذخيرة السنية ان ابا يوسف المرينى بلغه وهو فى تازة ان النصارى احتلوا سلا فركب بعد صلاة العصر فى خمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهرها فتلاحقت العساكر وفر الروم بعد اربعة وعشرين يوما وبني عليها السور الغربى المقابل للوادي من حيث دخل النصارى (ص 103) ولكن ابن مرزوق لاحظ فى مسنده انه خرج من فاس فوصل اليها (اى سلا) فى ليلتين وهو فى نظرى اشد احتمالا .

الموحدون - امتدت حدود مملكة الموحدين من سويقة ابن مكتود بين افريقية وبرقة الى السوس الاقصى الى اخر بلاد القبلة ومن قاصية شرق الاندلس الى شنترى غربيتها (الانيس المطرب ج 2 ص 174) .

- تحدث احمد امين (يوم الاسلام ص 79) عن مملكة الموحدين فقال : « وكانت مملكة واسعة لم تجتمع لأى من الدول الاسلامية من قبل » .

- لاحظ ابن خلدون فى تاريخه ان عمر ان المغرب فى دول الموحدين كان متصلا من البحر الرومى الى بلاد السودان فى طول ما بين السوس الاقصى وبرقة (المجلد الاول - القسم الثانى ص 661) .

- اكد ابن جبير فى رحلته (ص 49) « لا اسلام الا ببلاد المغرب لانهم على جادة واضحة » .

موسى (بن نصير) - لاحظ ابن عذارى ان موسى بن نصير لم يجعل سوى سبعة عشر من العرب على رهائن المصامدة والبربر فى طنجة لتعليمهم القرآن واصول الاسلام وقد دخل بهم الى الاندلس (البيان المغرب فى اخبار المغرب ج I ص 37 بيروت عام 1950) .

مولولاشة - يقول تيسو بان مركز مولاي بوسلهام هو المكان الذى كانت تقوم فيه المدينة الفنيقية مولولاشة Mulelacha وقد كانت الى حد العصور الوسطى من اوسع المراسى واكثرها حصانة فى الشاطئ المغربى (الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية ص 85) .

مونتينى : اشاده مونتينى Montaigne فى فصل ضد الكسل بكيفية وفاة السلطان مولاي عبد الملك كمثال لسيادة الروح على الجسد وقد اكد انه لم يسبق لرجل ان جند نفسه بقوة واستبسال رغم مرضه مثل مولاي عبد الملك
Essais-Livre II. chap. XXI

نابليون (الاول) - فى 1808 هدد نابليون الاول امبراطور فرنسا السلطان مولاي سليمان بأنه اذا ما قام بأى عمل ضد فرنسا فان هذه ستهاجم افريقيا بمائتى الف من الفرنسيين والاسبان (رسالة من نابليون الى دوق برك Grand-Duc de Berge مؤرخة ب 28 مايو 1808 مثبتة فى مراسلات نابليون المنشورة بأمر من نابليون الثالث بباريس عام 1865 - المجلد السابع عشر ص 227)

النار (اليونانية) - استعملها العرب فى ايطاليا وبعض جزائر المتوسط ويرجح أنها تتركب من النفط والكبريت والجير والقار ينتج عن الكل سائل ملتهب يحدث دخانا وانفجارا وقد استعملها الموحدون فى حصار لبلة من أعمال البرتغال .

الناصر (الاموى) - عبد الرحمن الناصر ثامن خلفاء بنى امية فى الاندلس هو أول من أمر باستعمال الكتابة بالهاء للغائب دون الكاف للمخاطب فرقا بينه وبين من دونه (الحلل الموشية فى ذكر الاخبار المراكشية ص 21) .

النقد - وقع العثور عام 1951 فى الانقاض الاسلامية خارج اسوار قصر فرعون (ولعل هذا يؤكد النظرية القائلة بأن وليلى هى غير Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الاموى مع دينار ذهبى دمشقى واحد (هسبريس 1956 ص 133) وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واصطخر وافريقية وجند يسابور ودمشق وحمدان وأقدم تاريخ هو 79 هـ وءاخر تاريخ عام 125 هـ ويبلغ عدد الدراهم الواسطية (بين 85 هـ و 99 هـ ثم بين 103 و 108 هـ) مائة درهم بينما الدراهم الدمشقية تبلغ 27 ومعلوم حسب ابن خرد دبة - أن التجار الصقالبة فى القرن الثالث كانوا يتوجهون من الاندلس الى السوس الادنى (عمالة طنجة) ثم افريقية فمصر فالبصرة فالهند فالصين .

- كانت الاندلس تتعامل بالدنانير السجلماشية (البيان لابن عذارى ج 2 ص 344) .

- عرفت بسوس المثاقيل القزديرية لا لانها مسكوكة من معدن القصدير ولكن لان الذى تولى سكها هو ابو الحسن القزديرى (افريقية والمغرب - مسالك البكرى ص 163) .

— قل الصرف فى أيام عبد المؤمن الموحدى فتعذرت اكثر الحوائج وقد كانت العادة فى المغرب ضرب انصاف الدراهم وارباعها واثمانها والخراريب فيستريح الناس (المعجب المراكشى ص 124) •

— قيمة الدينار خمسة عشر فرنكا ذهبيا (الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا ج 4 ص 46) •

— عثر قرب ابى الجعد على نقود فضية وذهبية منها 34 قطعة برتغالية وقطع ذهبية عثمانية ترجع لعهد السلطان سليم الثالث (عام 1209 هـ - 1794م) و 82 دينارا سعديا أصغر وزن فيها 3ر8 غراما فى عهد محمد المسلوخ وهو يمثل 28 قطعة بينما أكبر وزن يمثل فى عهد زيدان 55 قطعة وزن كل واحدة 4ر9I غراما (هسبريس 1958 ص 29I)

نكور — صالح بن منصور الحميرى افتتح قطر نكور زمن الوليد بن عبد الملك ونزل تمسمان وعلى يديه أسلم بربرها من صنهاجة وغمارة ثم ارتد أكثرهم واخرجوا صالحا ثم استردوه وسعيد بن ادريس هوباتى نكور (افريقيا والمغرب مسالك البكرى ص 9I) ومراسى نكور هى ملوية وهرك وكركط ومرسى الدار واوقتيس والمزمة وباديس وبقوية وبالش مرسى صنهاجة (ص 90) وهادم نكور هو مرسى بن ابى العافية الذى قتل أميرها المؤيد (ص 97) وقد خلط البكرى بين نكور والمزمة (ص 99)



هانون (رحلة) — رحلة هانون كتبت باليونانية وترجمها بوليب Polybe المؤرخ اليونانى الى الاغريقية ويقال بانه عثر على نصها فى معبد اثناء احتلال الرومان لقرطاج عام 146 قبل الميلاد ويظهر ان هانون نزل فى قادس ودرعة والساقية الحمراء وربما غينيا

لاحظ كابريال جيرمان Gabriel Germain (هسبريس عام 1957 ص 205) أن اسلوب رحلة هانون يدل على أن كثيرا من النصوص مزيدة نظرا لصفاء لغتها بحيث يصعب الاعتماد على المعلومات الواردة فيه وقد أكد ان المراكز المشار اليها فى الرحلة الاصلية لايمكن ان تعدو المجال الممتد بين طنجة ولكسوس أووادي لكوس

هنرى (الكاردينال) - الكاردينال هنرى هو الذى تولى عرش البرتغال نحو من ثلاث سنوات بعد وفاة سبستيان (1578 - 1580) وكان وصيا للعرش مع كاترينة النمساوية اخت شارل الخامس وجدة سبستيان لانها تزوجت ملك البرتغال يوحنا الثالث فتنازل عن الوصية لهنرى عام 1562 بعد ان شاركته فيها خمس سنوات

هنين - هنين ناحية فى سواحل تلمسان حسب ياقوت - منها بليدة تاجرة التى منها عبد المومن بن على (معجم البلدان ج 8 ص 484)

هولندا كانت هولندا تمد المغرب بالعتاد والقطع الصالحة لصنع السفن وحاولت فرنسا اقناع السلطان بقطع الصلة مع الهولنديين فكان المغرب يرى أن على فرنسا ان تمد المغرب بذلك بدل هولندا (مذكره جان ايستيل السلسلة الثانية - العلويون ج 3 ص 441)

ي

يعقوب (الموحدى) - المنصور مدفون بتينمل وقد حكى بعض المشاركة وجود قبر للمنصور فى الشام (البيان لابن عذارى ج 4 ص 191)

- ذكر ابن بطوطة انه شاهد ضريح مولاي يعقوب ببيروت بمحل يعرف بالكرك وأنه دخل دمشق أيام نور الدين وهذا لا يصح لانه دفن بتينمل وقد انكر المقرئ ذلك فى النفح فى ترجمة تاج الدين بن حمويه السرخسى .

يعقوب كول - ورد على المغرب حوالى 1655 الاستاذ كولينوس Jacob Van gool (1596 - 1667) لشراء بعض المخطوطات والخرائط من سلا ولم يعثر على قائمة هذه الكتب وأشير فى أحد السجلات الى أربعة مخطوطات منها روض القرطاس (السلسلة الاولى - السعديون - هولندا ج 6 ص ٢٥٥) ويظهر ان هذه الكتب لا تتعلق الا برحلات وتاريخ افريقيا الشمالية (ص 284)

اليمن - لاحظ هانز هوفرفريتز Hanz Helfritz فى كتابه حول اليمن (تعريب خيرى حمار ص 134) التشابه الملحوظ بين الالخان فى اغاني الجنوب العربى وبين الموسيقى البربرية التى تمكن العالم الالمانى كارل ولهم لخمان (1793 - 1851) من تسجيلها فابرز وحدة انشاد الاغاني اصف الى وجود ابنية مرتفعة بالاطلس تشبه تلك التى تقوم فى الجنوب العربى

نفس المظاهر المعمارية كالتنوءات والانابيب الخشبية لنقل مياه الامطار والكوات والثقوب ومن جهة اخرى يوجد نفس التشابه مع الموسيقى المغولية وقد شرح هورن بوستل النمساوى (1877 - 1935) انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى اسيا الشرقية

اليهود - درس شلوش Slonch تاريخ اليهود بالمغرب
فى الجزئين الرابع والسادس من الوثائق المغربية فذكر ان يهود خيبر هاجروا من اليمن عام 628م الى افريقية والمغرب والعراق وسوريا
نشرت مجلة *Revista de Trajas coloniales* فى عدد شتنبر 1925 وثيقة بالعبرائى تزعم ان أول مملكة قامت بافريقيا الشمالية كانت يهودية وجدت بالريف

- خصص المنصور لليهود عام 595هـ لباسا يشبه حداد ثكلى المسلمين فكانت اردان قمصهم وبرانسهم وقلانسهم من لون ازرق (البيان لابن عذارى ج4 ص181)
- لاحظ ليون كودار ان معظم يهود المغرب منحدرون من الاسرائيليين المطرودين فى العصور الوسطى من انجلترا (عام 1290م) وجنوب فرنسا (1395م) وخاصة من اسبانيا عام 1492م (وصف وتاريخ المغرب ج 1 ص 19)

- قام الاسرائيليون فى المغرب بدور هام فى الميدان العلمى وقد لاحظ الشعرائى (الطبقات ج 2 ص 215) أن خلوف المغيلى اليهودى كان شيخ التعاليم بفاس وعنده نزل الابلى العبدى قبل أن يرتحل الى ابن البناء بمراكش .
(راجع بحثنا حول وضعية اليهود بالمغرب خلال التاريخ فى مخطوطنا بالفرنسية *L'islam en marche*)

- أمر أبو يوسف المرىنى مناديا فنادى بفاس الا يتعرض أحد الى يهود الذمة (الذخيرة السنية ص 186)

- من اليهود الذين شغلوا مناصب عالية فى الدولة هارون وزير عبد الحق ءاخر ملوك بنى مرين ويعقوب Jacob Pariente وهارون كارسينى Carsnet
فى عهد مولاي الرشيد وكذلك يوسف وابنه ابراهيم ممران ايام مولاي اسماعيل وشمويل سومبيل Samuel Sumbel فى عصر سيدى محمد بن عبد الله و Josué Corcas صيرفى مولاي الحسن

- فى عام 700 وصل الى القاهرة وزير سلطان المغرب فاجتمع بالناصر محمد ابن قلاوون والامير بيبرس فى أمر اليهود والنصارى ولاحظ انهم فى المغرب

فى غاية الذل والهوان لا يركبون الخيل ولا يعملون فى الدواوين منكرا حال نصارى الديار المصرية ويهودها لبسهم افخر الملابس فآثر كلامه فى أهل الدولة ورسوم ان لا يستخدم أحد منهم فى الجهات السلطانية ولا عند الامراء وأن يلبس النصارى العمائم الزرق والزنانير واليهود العمائم الصفرة واغلقت الكنائس بمصر والقاهرة وألزموا ان لا يركبوا الا الحمر ثم عادوا الى المباشرات بعد ذلك فانتدب السلطان ابن الملك الناصر عام 755 لمنعهم والزمهم بالشروط العمرية (صبح الاعشى ج 13 ص 378)

- لاحظ ابن عسكر فى الدوحة (ص 97) أن محمد بن عبد الكريم المغيلى كان يرى ان اليهود لازمة لهم وألف فى ذلك رسائل وخالفه اكبر فقهاء وقته كابن زكرى وجاء الى فاس لمناظرتهم ستة من مماليكه كلهم فقهاء وعندما شك فيه ابوزكرياء الوطاسى خرج الى توات وبلغت دعوته السودان فأسلم سلطان تنبكتو وأهل عمله واليهود لا يدخلون بلادهم وتستباح أموالهم وقد ادرك ابن عسكر عمر بن عبد الوهاب والشيخ ابا القاسم خجو وجماعة ممن يرون رأى المغيلى فى اليهود

- عائلة باريانط اليهودية Pariente لعبت على مايلوح فى شمال المغرب نفس الدور الذى قامت به عائلة بالاش فى الجنوب وكان شالوم باريانط يزعم أنه رئيس اليهود بطنجة

وظهر يعقوب باريانط فى مليلية عام 1666 حيث كان وسيطا لرولان مع مولاى رشيد (رحلة فريجوس ص 25)

- كان كل يهودى ذكر بلغ خمس عشرة سنة يؤدى فى عهد مولاى اسماعيل جزية قدرها السنوى ستة دنانير (مذكرة جان استيل - 1960 - السلسلة الثانية من العلويين ج 3)

- كان الاسرائيلى يوسف ممران مكلفا بمصالح البلاط عند مولاى اسماعيل وقد قال عنه القنصل هيندورب Heppendorp فى رسالة لهولندا بأنه يتمتع لدى السلطان بنفس حظوة كولبير Colbert بفرنسا (دو كاستر السلسلة الثانية العلويون ج 2 ص 224)

- منح مولاى اسماعيل لليهودى ممران حق التمتع بواحد فى المائة ثم واحد فى المائتين كسمسرة من قيمة البضائع المصدرة أو المجلوبة الى المغرب عن طريق المراسى (العلويون - السلسلة الثانية ج 3 ص 326)

- أشار التاجر الفرنسى فريجوس فى رحلته عام 1666 الى ان مولاي رشيد كان له وهو لايزال بتازا صيرفى خاص وهو اليهودى هارون كارسينى

(راجع الرحلة فى نصوص دو كاستر - الفلايون - السلسلة

الثانية ج I ص 177)

- يظهر ان الجالية الاوربية كانت تسكن منذ القرن الثامن عشر الميلادى فى الملاح حتى بمراكش والرباط حيث كان يقع بسوق القناصل قرب البحيرة وهى بالضبط مقر الملاح القديم قبل مولاي سليمان (هسبريس 1928 ص 8) .

- يقال بأن حزان فاس كان يملك فى عهد السلطان مولاي عبد العزيز بصرف ذلك الوقت ثلاثين مليون فرنك على الاقل (فى رفقة السلطان الخاصة - كابريال فير ص 222)

- لاحظ ميشو بيلير ان بعض قواد الريف استسلموا من اليهود فلم يؤدوا ما بذمتهم فلجا الاسرائيليون الى الحماية الفرنسية فتدخلت فرنسا فى الامر واهتمت دبلوماسيتها بالقضية طوال عشر سنوات حتى اضطر مولاي الحسن الى اداء الديون (المحاضرات والوثائق المغربية 1927)

يوحنا الثالث - راجع نص رسالة من البابا بولس الثالث الى يوحنا الثالث ملك البرتغال مؤرخة من رومة بثامن نونبر 1541 ياذن له فيها بهدم المراكز التى اضطر الى الجلاء عنها بالمغرب وخاصة منها المعابد والكنائس (السلسلة الاولى السعديون - البرتغال ج 3 ص 540)

- يوسف (بن ميمون) - يقال بأن اقدم وثيقة حول يهودى المغرب هى قبر يوسف بن ميمون الموجود بمقبرة ايفران بالاطلس الصغير والذى يرجع تاريخه الى عام 3756 عبرانية أى السنة الرابعة قم . (هسبريس - 1921 ص 325) .

